

العربي
الريف المغربي
أسطورة الإنسان
عبر الزمان والمكان
تنزانيا
إرث المخول
وطموحات الحاضر
والمستقبل

سـانيـو SANYO

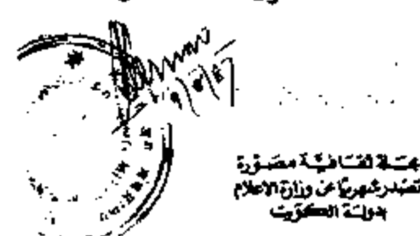
تمتع بمشاهدة أوضح

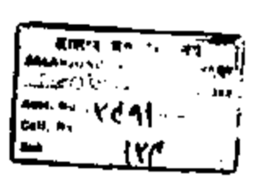






العدد ٣٤٥ السنة الثلاثون أغسطس ١٩٨٧





مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

ص. ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٧٩٧٢٨ - ٢٤١٨٦٢٣ - ٢٤٢٧١١١
برقياً "العربي" الكويت - تلكس: ARB 44041
تليفون فاكسيميلي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

Issue No. 345 Aug. 1987 P.O.Box:748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published By: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - للمكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام علماً بأن:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ١٠٠ مليم	الإمارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٢ درهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهما
البحرين ٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٢ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا والدول الاسكندنافية
مصر ٣٠ قرشا	لبنان ٧ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٣٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	أمريكا دولاران

محتويات العدد



الحرب النووية ص١٨


من يذهب إلى السينما؟ ص ٩٠


خصومة الأديب والفنان ص ١٠٢







د. حسن الساعاتي

د. محمد الجوهري



استطلاعات ومقابلات



«قتاريا» إرث المغول ...... ص ١٣٢



«السوبرنوفا» كارثة فلكية ص ١٥٤

أبواب ثابتة :





عزيزي القارئ

هذا الشهر هو أحد شهور الاجازات عند كثير من الناس ، كالطلبة والمدرسين وبعض العاملين في قطاعات كثيرة ، شهر يتوجه الناس فيه الى الأماكن التي يستطيعون فيها شم نسيم بحر ، أو استنشاق هواء جبل ، أما نحن في « العربي » فقد أعددنا عدتنا على الاستمرار في تقديم مواد مثقفة ومفيدة .

يأخذك هذا العدد من « العربي » الى الريف المغربي ، فقلم سليمان مظهر وعدسة سليمان حيدر قد طافا بريف المغرب ، ريف الذكريات النضالية ، وريف الجمال ، ومن الريف المغربي الى أرض المغول في تتاريا في الاتحاد السوفيتي يطوف بنا سليمان الشيخ هذه الأماكن المجهولة لكثيرين حتى قبل فترة ليست بعيدة ، ويكتب لنا الكاتب الكبير فتحي رضوان عن ألوان الحوار ، كما يكتب الدكتور فؤاد زكريا عن « الحرب النووية وصراع الايديولوجيات » .

أما رءوف توفيق فإنه يحاول أن يجيب على سؤال عالق في أذهان كثيرين منا ، بعد انتشار التلفاز والفيديو ، والسؤال هو : من يذهب الى السينما ؟

وفي « وجها لوجه » نقدم وجهين « أكاديميين » في علم الاجتماع العربي الحديث ، يدور حوارهما حول الرواد في هذا المجال ودورهم ، ودور الجيل الجديد واهتماماته .

ويكتب لنا خالد القشطيني عن الاختلاف والتطابق بين طبيعة الأديب أميل زولا وطبيعة الفنان ادغار ديغا .

وفي العلوم نقرأ عن الضوء ، وكيف يؤثر على حياتنا النفسية والتعليمية وكثير من سلوكيات حياتنا .

هذا بعض ماضمنا هذا العدد من موضوعات ، وهناك موضوعات أخرى غيرها ، طريفة وجديدة وممتعة ، في القصة والقصيدة والطب ، وفي البيت العربي أيضا .

نرجو لك قراءة ممتعة ، وعطلة أمتع ، وإلى اللقاء .

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

مع العالم الثالث

■ لعل أكثر مواقفنا السلبية - نحن العرب - وربما أكثرها إثارة للعجب ، هو موقفنا من تأثيرات العالم الغربي وحضارته ، وربما كان ذلك جزءا من تكويننا الثقافي المعاصر ، أو هو ظاهرة من ظواهر تخلفنا ! هذا الموقف السلبي الذي أعنيه هو نظرتنا الى ثقافات العالم الثالث ، بكل مفرداتها ، وطريقة حياة أفرادها وكيف يكسبون معاشهم ، وكيف ينظمون تعاملهم الاجتماعي .. الخ هذه النظرة التي تتجاوز الاستغراب الى شيء من التفكه وربما النظرة الدونية !



وللأسف فنحن لا نستطيع أن نقيس على وجه الدقة - وبطريقة علمية مقننة - مدى انتشار ذلك الموقف بيننا ، لكن الرصد العلمي الذي يكاد يوصلنا الى قناعة تقول بأن هذا الموقف من الثقافات الأخرى ينتشر في معظم الطبقات والفئات الاجتماعية لدينا ، متعلمة أم جاهلة ، غنية لم

فقيرة ، سافرت حول العالم وجابت أرجاءه وشاهدت ورأت أم فيصل في مدينتها أو حيها أو قريتها ولم تغادرها .

[illegible]

■ فوجىء صحبي ونحن في (موتان)* بالأدب الجم الذي يعد سمة مميزة لسلوك الناس ، وكذلك بالكرم الذي فاق - كما قال - كرم العرب رغم فقر البلد والناس هناك .

وكانت مفاجأته أكبر عندما علم أن الرجال في تلك البلاد يمكنهم أن يتزوجوا من النساء أربعا أو أكثر . واشتدت دهشته عندما قيل له - إنه نظريا - يمكن أن تكون الزوجات أخوات من أم وأب واحد !

ورغم أن الاختلافات بين الشعوب في عاداتها وتقاليدها أمر ممكن بل هو حتمي ، مادامت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعوامل الجغرافية والتاريخية متعددة ، إلا أن الملاحظ أن هناك من يندهش عندما يرى أن هناك اختلافا أو توافقا وتشابها في تلك العادات . فالتصور التلقائي الذي لدى كثير منا هو أن تكون عادات وتقاليد الآخرين مشابهة لما نعرفه أو هي مخالفة تماما لما نعرفه ونتقبله ، أما أن يكون شيء من هذا أو شيء من ذاك فأمر يثير العجب والدهشة ، ولكن الحقيقة أن عادات الشعوب تتماثل وتختلف وتلك هي الحياة .

لقد أثبتت كثير من البحوث العلمية أن خصائص التأثر والتأثير بين الشعوب والمجتمعات ليست كما يقال لنا إنها من نتائج عالمنا المعاصر ، ولا هي من نتائج ثورة الاتصال الحديثة التي حولت العالم المترامي الأطراف إلى قرية صغيرة حسب المفهوم المعلوماتي المتداول . فقد بحث الإنسان منذ القدم - وربما منذ أن وجد - طريقة للتفاهم بين أفراده ومجموعاته ، ونقل خبرته إلى الآخرين ، والأخذ من خبراتهم . إن الاتصال الإنساني الذي يتجاوز اللغة والعرق ، بل وأي حاجز آخر ، كي يربط الإنسان بأخيه الإنسان ، قديم قدم حضارة الإنسان نفسه .

لذلك نجد أن القسمات الحضارية للشعوب - حتى وإن تباعدت في الأرض - تتناقل خبراتها عن طريق التجارة ، وطلب العلم ، وبعثات الاستطلاع ، بل حتى الحروب ، ووجوه أخرى عديدة للنشاط الإنساني ،

* موتان : [illegible] مملكة موتان في [illegible] الهملايا [illegible] الصين شمالا والهند جنوبا وقد كان الكاتب في زيارة لها مؤخرا .

قد يتم فيها التأثير والتأثر ، ويحتدم الحوار ، حتى لو كان هذا (الحوار) بواسطة السيف أو المدفع . وإذا كان ابن خلدون من الأوائل الذين تنبهوا الى أحد طرق انتقال الثقافة ، وهي على حد تعبيره (تأثر المغلوب بالغالب ومحاولة تقليده في أشعاره وتربيته وعمله وسائر أحواله وعاداته) فان هذا السبب مازال قائما ، ومازال يثبت مصداقيته العلمية في حياتنا المعاصرة .

■ أريد أن أقول بأن الحوار بين الأمم والشعوب كان قائما ، وقد يعجب المعاصرون كيف وصلت ثقافات معينة الى مقاطعات جديدة متجاوزة الجبال والبحار وعوائق أخرى ، وتفاعلت هذه الثقافات ، حتى أصبحنا نرى جزءا من أنفسنا هنا أو هناك ، ويرى بعضهم لدينا جزءا من أنفسهم .

كل شعب من الشعوب قد تأثر وأثر في جيرانه ، أو أبعد من جيرانه ، ولا توجد اليوم ثقافة بالمعنى (النقي) غير المختلط ، فكل ثقافة مجدولة بتأثيرات أخرى ، التقطتها وضمتها الى سياقها ، متجاورة أو مندمجة .

لذلك فان أولى خطوات التفاهم الدولي - في نظري - هي الحوار الذي يجب أن يجري بين الثقافات المختلفة ، حوار يعترف بالآخر ولا يلغيه ، ولعل أهم حوار ثقافي نطلبه نحن العرب ، ويجب أن نسعى اليه حثيثا ، هو حوار مع العالم الثالث . هذا العالم المليء بألوان الطيف من الشعوب والثقافات والأديان والعقائد والمواقف والسياسات ، وهو يشكل ثقلا لا يمكن تجاهله على الساحة الدولية اليوم ، ويشكل عمقا وامتدادا على المستوى الجغرافي ، والتنماء ومصالح على مستوى حاجات الاقتصاد والرؤية الجديدة للتنمية والتكافل فيما بين الجنوب والجنوب .

هذا الحوار تجاهلناه كثيرا حتى الآن ، ويممنا وجوهنا شطر الغرب ، نترجم عنه ، نتتبعه ، ونتبهر به ، ونعتمد عليه ، ونفتح معه حوارا سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وحتى نظرتنا الى ثقافات العالم الثالث كانت من منظور غربي ، وقد نظرت الينا دوله من نفس المنظور والتصور ، فجاءت صورتهم في خيالنا مشوشة ، وانعكست صورتنا لديهم أكثر تشويشا .



■ وللثقافة - كما نعلم جميعا - تعاريف مختلفة ، ومفاهيم متعددة ، ويعرف « ريتشارد مالك كيون » الثقافة في كتابه « أصالة الثقافات ودورها في



التفاهم الدولي ، بأنها كافة ناشئة عن تطور تاريخي ، ومن ناحية أخرى أنها مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة ، كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الإنساني ، كالسياسة والاقتصاد والفن والدين ، والمعرفة العقلية بمختلف صورها

ويوجز الدكتور زكي نجيب محمود فهمه للثقافة بقوله :

(أن النسيج الثقافي في بلد ما ، وعند فرد معين من الناس انما هو « الأداة » التي يعيش بها الانسان كيفما كان عيشه ، فان رأيت صورة الحياة العملية قد اختلفت بين شعبين ، أو بين فردين ، فاعلم بأن ذلك الاختلاف مرده الى اختلاف فيما نسميه « الثقافة » ، أياما كانت العناصر التي تتألف منها الثقافة)

مكونات ثقافتنا تقف بين المتساهلين والمتشددين في فتح أو قفل الأبواب

صحيح - كما يذهب الدكتور زكي محمود - أن هناك (خصوصية) في صورة ثقافة كل شعب ، وهذه الخصوصية تتميز ، وتعلن ، وتوضح ، وتشير الى التمايز بين هذا الفرد من هذه الأمة أو الجماعة وبين ذلك الفرد من الجماعة أو الأمة الأخرى ، وفي بعض الأوقات بين هذا الفرد أو الجماعة وبين ذلك الفرد أو الجماعة من نفس الأمة .

لكن مهما حاولنا التوكيد على ما هو (خصوصي) و (ذاتي) فاننا في الوقت نفسه نرى شواهد أخرى ، تؤكد على المشترك والعام في مظاهر

الأقوى في عالم اليوم هو الذي تروج ثقافته وهي تتبع صناعته وتقنيته

العلاقات الانسانية ، وهي تؤكد أن الإنسان أخ الإنسان ، مهما اختلف اللون والعرق أو العقيدة . والنقاء الخالص لثقافة أي أمة هو ضرب من المكابرة ، يقود في النهاية الى التعصب والايمان بنظرية الشعب المتفوق التي تؤدي بالتالي الى الحروب والدمار .

وحتى في الشعب الواحد فاننا نجد صعوبة هذا التطابق الكامل في الثقافة ، ويقول لنا « ايفان ديشاشيك » الذي درس نظام الحكم المقارن : « ان من بين أكثر من ١٥٠ دولة موجودة في العالم يمكن فقط وصف تسع أو عشر دول منها بأنها « قومية » بالمعنى الاحادي العرقي فقط . اما الأغلبية العظمى من الدول الحديثة فانها متعددة الأعراق » .

والتنوع الثقافي ظاهرة حتمية في الحالة ، ولا يجب في الواقع الحقيقة نتحدث عن التطابق ، من أجل قمع التطلع الشرعي للتعبير عن الذات لدى الثقافات المتعددة في المجتمع الواحد ، فما بالك مع المجتمعات الأخرى !

[illegible]

■ من قاعدة التعددية الثقافية يصبح الأمر أكثر تشويقا عندما يوضع في اطار حوار الغرب مع ثقافات العالم الثالث وشعوبه ، تكننا نحن والعالم الثالث ، ونحن جزء منه ، لم تخضع لآليات التكوين الثقافي المعاصر ، وهي آليات تؤسست عليناء عليهم ، وصورتها النهائية هي هيمنة من جانب الغرب ، والتبعية من جانبنا .

وفيما يتعلق بالمشهد الثقافي في عصرنا يمكننا أن نسجل ـ دون خوف من تعميم أو عجالة ـ بأن الأقوى ثقافيا في عالم اليوم هو الذي تروج بضاعته الثقافية والاعلامية وهي تتبع صناعته وتقنيته ، ويبدو أن ما تحدث عنه ابن خلدون مازال صحيحا مع شيء طفيف من التعديل ، حيث أن (الغالب) في عصرنا لا يريد ان يحتل أرضا ، بقدر ما يريد أن يفرض طرق حياة ، طرق حياة في الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة ، وتعتمد دول العالم الثالث على نماذج ثقافية كثير من مكوناتها مستورد ، تعكس قيم التعامل الغربي ، ونمط حياته ، وأساليبه ، وتتآكل الذاتية الثقافية لدى شعوب العالم الثالث ، رغم أن شعوبها وارثة لثقافات أقدم عهدا ، وأكثر ثراء وتنوعا .

قد يغري التحليل السابق بالمطالبة بالنكوص ، والتقوقع ، ورفض الآخرين لمجرد رفضهم ، وذلك مالا نرمي اليه ، بل ولا حتى نلمح .

« فالتصلب الثقافي ، والعزلة عن الآخرين - حتى لو كان مطمحا - لم يعد ممكنا ، فهناك أقمار صناعية تسبح في الفضاء ، وموجات أثير تجتاز البحار والجبال ، وأجهزة اتصال تقتحم المنازل ، وكتب ، وأشرطة ، وانتقال سريع بين القارات ، كل ذلك يمنع التقوقع ، ويجعله أقرب الى المستحيل .

[illegible]

■ بين المتشددين في قفل الأبواب والمتساهلين تقف مكونات الثقافة العربية ، وبصراحة شديدة وفي أحسن الحالات مترددة ، منها أطراف معجبة بالغرب ، مقلدة له ، وفي نفس الوقت نافرة من ثقافات شعوب العالم الثالث ، ومنها أطراف أخرى نابذة للغرب ، بيد أنها لا تقبل أيضا ثقافات شعوب العالم الثالث ، وهناك فئة صغيرة مستنيرة ، تحمل مشعل التعايش والاستفادة .

وينقسم الولاء الثقافي على الساحة العربية اليوم الى قطري ، منقطع عن الآخرين ، مغرق في قطريته ، وشمولي متجاوز كل خصوصيات الاقليمية المشروعة ، وهذا الانقسام يخلق - بين فترة وأخرى - معارك ليس لها سبب حقيقي .

اما الفئة المستنيرة فان موقفها هو تغليب الخصوصية ضمن حدود الغصن في الشجرة ، وقبول الشمولية ضمن الفروع المتعددة ، على قاعدة ان الثقافة العربية بحر واسع تكونت مادته الأساسية منذ آلاف السنين ، وان هذا البحر تغذت فيه تلك الكثير من فروع الانهار والروافد التي حملت بعض خصوصيات المنبع ثم أصبحت جزءا من التكوين النهائي .

فالثقافة العربية في مجملها ليست عربية في المغرب او الخليج او مصر ، ان كانت بلغة عربية وبخلق عربي ، وتعبر عن واقع عربي ، اما الخصوصية الموجودة في تلك الأقطار والأقاليم فهي جزء من الثقافة العربية العامة ، وهي احدى تلوينات الطيف في قوس قزح الثقافة العربية المتعدد الألوان .

[illegible]



■ اذا كانت الثقافة العربية هي كما وصفنا في السابق فهي قادرة وقابلة للتعامل مع العالم الثالث ، فهناك دائرة منه تربطنا بها عقيدة هي الاسلام ،



والعربية لغة الاسلام ، ولعلنا في « العربي » نستطيع ان نقدم شهادة على هذا التفاعل عندما نعدد مايصلنا من رسائل وطلبات من الهند وباكستان واندونيسيا وتركيا ونيجيريا والسنغال ومالاوي .. وبلاد كثيرة مسلمة .. طلبات تريد الاطلاع والالحاح على الثقافة العربية ، لغة الاسلام ، يؤمن أبناؤها بالدين الاسلامي السمح ، ويريدون أن يحصلوا على شيء من الثقافة التي تتكلم بها وهي لغة القرآن .

وتجمعنا محاولات النمو والنهوض من التخلف مع شعوب اخرى كثيرة من العالم الثالث ، فكلانا في دائرة ما يسمى اليوم بالجنوب المتخلف الفقير ، وبالتالي فنحن نستطيع أن نتبادل خبراتنا معها ، نعطيها بلا منة ونأخذ منها بشكر ، ونقربها من فهم مطالبنا العادلة ، ونشرح وجهة نظرنا في القضايا الحيوية التي نؤمن بها في هذا العالم المضطرب . وقنوات التفاعل الثقافي مع العالم الثالث كثيرة ، ثنائية بين البلد العربي الواحد والبلد الآخر ، وجماعية من خلال المؤسسات العربية العديدة .

ولكن المؤسف أن كثيرا من هذه المؤسسات الثقافية العربية المشتركة ، وكذلك جهود الدول الفردية ، انصب معظمها باتجاه الشمال الثقافي ، سواء كان رأسماليا أو اشتراكيا ، ولكنها تقلصت وكادت أن تنضب بيننا وبين دول العالم الثالث .

دول العالم الثالث هي في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، في الحلقتين الأوليين (آسيا وافريقيا) نجد أن صلة الاسلام تربطنا مع كثير من هذه الشعوب ، وعلى الرغم من أن الدين الاسلامي أحد الركائز الاساسية والجوهرية التي تجمعنا بهذه الشعوب ، كذلك يجمعنا بها علاقات ثقافية ضاربة في القدم . ومع الاسلام انتشرت اللغة العربية . صحيح أن اللغة العربية واجهتها صعوبات تتعلق بخصوصيات حضارية لتلك الشعوب ، فإن انتشار الاسلام وفر للعربية قواعد الانتشار ، حيث أن العبادات والمناسك لا تؤدى بصورة كاملة إلا باللغة العربية .

لذلك فإن الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب ، دخلت العربية في خصائص تكوينها اللغوي ، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي تكتب به الكثير من لغات شعوب العالم الثالث كالفارسية والأوردية ، وحتى التركية - قبل ظهور الأتاتوركية - وغيرها من اللغات .

فتلازم الدين الاسلامي مع اللغة العربية يمهد لنا الأجواء لتقيم علاقاتنا الثقافية مع دول كثيرة في العالم الثالث ، على أساس الاحترام المتبادل .

فالعناصر الثنائية اللغوية ليست مجرد عقائد ورموز فقط لكنها أيضا منهج فكر وطريقة حياة وأسلوب تصور ، وهي في نهاية المطاف رؤية متكاملة للحياة .

ودول امريكا اللاتينية ترتبط بها نحن العرب بتاريخ النضال ضد الاستعمار ، وتخليص ثرواتنا القومية ، ومن بعد ذلك التوجه والطموح الى نماء متوازن لصالح الانسان . كل هذه القيم يمكن ان نؤسس عليها تعاونا ثقافيا عميقا نكسب من بعده تأييدا عالميا لمواقفنا وحقوقنا العادلة . . والعالم الثالث بعد ذلك يمثل عمقا جغرافيا لنا ، ونظرة على الخريطة تقول أن افريقيا مثلا هي الفناء الخلفي للوطن العربي ، وهي المكان المتاح اقتصاديا وسياسيا لكي نضيف الى قدراتنا قدرات ، ولكي نعزز معا ـ نحن وهم ـ جبهتنا وموقفنا في مواجهة الآخرين ومحاولات اختراقهم لنا .

■ عظم الانجاز الحضاري المتحقق من اقامة حوار مع العالم الثالث يفوق كل التضحيات التي يمكن ان نقدمها من أجله . . ولكنه فرصة عظيمة تتسرب من بين أيدينا .

لقد أحزنني كثيرا ـ كما احزن المهتمين بالثقافة في العالم الثالث ـ ذلك القرار الذي اتخذ في إحدى اجتماعات اليونسكو في باماكو عاصمة مالي ١٩٧٦ ، القرار يقضي بكتابة اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية واهمال ما عداها !



هذا القرار ـ في نظري ـ هو تغليب (السياسي) على (الثقافي) ، أو بالأحرى هو انحياز ثقافي له مترتبات وأبعاد خطيرة بالجاهين : أولها اقتراب أكثر الى الغرب لدى هذه الشعوب ، وثانيها ابتعاد عن العربية والاسلام .

ورغم خطورة هذا القرار فلم تكن للهيئات العربية ردة فعل وجهد يناسب هذا القرار وخطورته .

ان العوامل التكوينية التي تم ترسيخها عبر مئات السنين ، يمكن ان تتخلخل ويصيبها التعطل ، وربما التشويه ، من خلال اختراق مكونات



أخرى جديدة . وما قرار اليونسكو في باماكو بإسقاط الذكر ، إلا محاولة جادة لتمتين الصلة بين اللغات الأوروبية من جهة ، وإضعاف العلاقة باللغة العربية من جهة أخرى .

أي أن مكون اللغة الجامع الموحد الممهد لأرضية الحوار مع شعوب كثيرة من العالم الثالث أصبح بعد قرار اليونسكو سابق الذكر ليس ذا قيمة . وسوف تتضاءل قيمة الحوار مع مرور الزمن وضياع الوقت المناسب له .

وهذا يحتم علينا أن نشير إلى أهمية ضبط خطوات السياسة مع الاقتصاد ومع الثقافة في إطار العلاقات العربية مع دول العالم الثالث .

كما أن الأهداف الثقافية يمكن الوصول إليها من خلال التعاون الاقتصادي ، فالمشروعات المشتركة والمعونات الاقتصادية يمكن أن ينتج عنها فتح أبواب التعامل الثقافي المؤثر في القطاعات الأوسع من الناس .

[illegible]

■ تجمعنا - نحن العرب - منظمات دولية وإقليمية كثيرة مع دول العالم الثالث ، مثل منظمة دول عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ،

تلازم الاسلام ولغة القرآن يمهد الأجواء لاقامة علاقات ثقافية مميزة

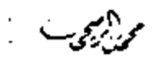
ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، وغيرها كثير . . ولاذا كانت مرحلة سابقة من تأييد حركات التحرير في افريقيا وآسيا قد جعلت لنا سمعة طيبة لدى تلك الشعوب ، وتلتها مساعدة اقتصادية كثيرة ومتنوعة ، فان هذه العوامل المتراكمة تعطينا مفاتيح التعاون الثقافي وتوسيع لغة الحوار مع شعوب العالم الثالث . والخطوات العملية كثيرة ، فالمساعدة في افتتاح جامعة أو مدرسة ، أو زيادة عدد المقاعد الممنوحة لهذه البلاد او تلك من العالم الثالث في مؤسساتنا التعليمية العالية ومعاهدنا الدينية والثقافية ، وإرسال المعلمين والبعثات العلمية ، أو حتى توفير برامج ثقافية سينمائية وتلفازية تخاطب وجدان الشعوب ، والاعتناء بتوصيل نتاجنا الثقافي من كتب ومجلات وصحف ، واقامة أسابيع ثقافية ، وتقوية البث الاذاعي الموجه بلغات شعوب اخرى ، كل هذه الخطوات تفيد كثيرا في توفير لغة حوار حضاري بين شعوب العالم الثالث وبيننا .

لكن هذه الجهود التي تخاطب الوجدان اكثر من مخاطبتها للعقول والأحسام تبقى مكشوفة ومعرضة للاختراق ما لم تغطي بغطائين ضروريين :

الأول : ان ترسم الخطط وتنفذ من خلال مؤسسات قومية تغلب المصلحة القومية بعيدة المدى على المصالح الاقليمية والذاتية
الثاني : أن تتوافق لغة الخطاب السياسي مع لغة الخطاب الثقافي . والأرجح ان الثقافي هو أول ضحايا السياسي اذا تعارض الخطابان .

ويبقى أن نعترف اننا لسنا وحدنا في ساحة العمل الثقافي أو غيره على مجمل ساحة العالم الثالث ، فهناك آخرون لهم اهدافهم السياسية والاقتصادية ويعملون بدأب لاختراق تلك الساحات . كما ان الحوار الثقافي يحتاج الى عقول نيرة يقظة واجهزة تنفيذ ومال وفير يساعد في كل ذلك .

« القرية الصغيرة » التي أصبح عليها العالم تعج بمختلف البرامج والسياسات التي تحاول السيطرة علينا وعلى الآخرين . والتسابق رهيب على غزو العقول . وان لم ننسق بيننا فان الغزو يهدد بأن يطولنا ، وهو يحاول من حولنا بكل قوة !





وصراع «الأيديولوجيات»

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

لو قامت الحرب النووية ، فماذا سيحدث بعدها لعقول الناس ، وكيف ستكون اتجاهاتهم السياسية ، واختياراتهم (الأيديولوجية) ؟

لقد أثار دهشتي أنني لم أجد اجابة على هذه الأسئلة فيما قرأت من الآثار المحتملة للحرب النووية ، مع أن رفوف المكتبات قد امتلأت بدراسات تتحدث عن الخسائر البشرية والمادية الهائلة التي ستلحق بالعالم ، اذا ما نشبت مثل هذه الحرب ، وقدم بعضها تفاصيل دقيقة عن أعداد من سيموتون من جراء الضربة الأولى ، وأعداد من سيهلكون بالضربة الثانية ، وازدادت التفاصيل دقة ، فتحدثت بعض الدراسات عن الفارق بين خسائر المهاجم والمفاجأ ، وحددت مقدار الدمار الذي سيلحق بمركز سقوط قنبلة ذات قوة تدميرية معينة ، والتخريب الذي سيحدث في المناطق المحيطة بهذا المركز ، حسب درجة ابتعادها عنه . وتناولت دراسات لا حصر لها أخطار الاشعاع المباشر وغير المباشر في المدى القريب والبعيد . وآخر الاتجاهات في هذا الصدد نظرية « الشتاء النووي » التي عرض صاحبها ـ وهو العالم الفيزيائي الفلكي المشهور « كارل ساجان » ـ صورة مخيفة لعالم ما بعد الحرب النووية الذي تخيم عليه سحب كثيفة ، فتنخفض درجة حرارة الأرض الى حدود لا يحتملها الانسان ، وتقضي على معظم أشكال الحياة على سطح الأرض ، وتتلف التربة الزراعية ، وتجعل ظهور أي محصول نباتي أمرا يكاد يكون مستحيلا .

منتصر ومهزوم

لكن الأمر اللافت للنظر حقا هو ندرة الكتابات التي تتحدث عن التأثيرات التي يمكن أن تطرأ على

(أيديولوجية) مضادة أو منافسة .

لكن هذا « السيناريو » الذي يدور في أذهان المخططين (الاستراتيجيين) لحكومة « ريجان » على الأخص ، وعلى أساسه تمد ميزانيات الدفاع خلال العقد القادم على الأقل ، في أقوى وأغنى دولة في العالم ، وتكرس الموارد البشرية والمادية بغية تحقيق التفوق المطلق في أي حرب نووية مقبلة ، يظهر هذا السيناريو عنصر يبدو في ظاهره بسيطا ، وإن كانت له في حقيقة الأمر أهمية حاسمة ، وأعني به نوع التغييرات الذهنية و (الأيديولوجية) التي يمكن أن تؤدي إليها حرب نووية شاملة ، ومع ذلك فإن هذا العنصر يظل مفتقدا في كافة الخطط التفصيلية الدقيقة التي يرسمها مروجو « حرب الكواكب » ، بالرغم من أنه هو المبرر الرئيسي لتلك الجهود الشاقة ، والأموال الطائلة التي تبذل في سبيل تنفيذ هذا البرنامج .

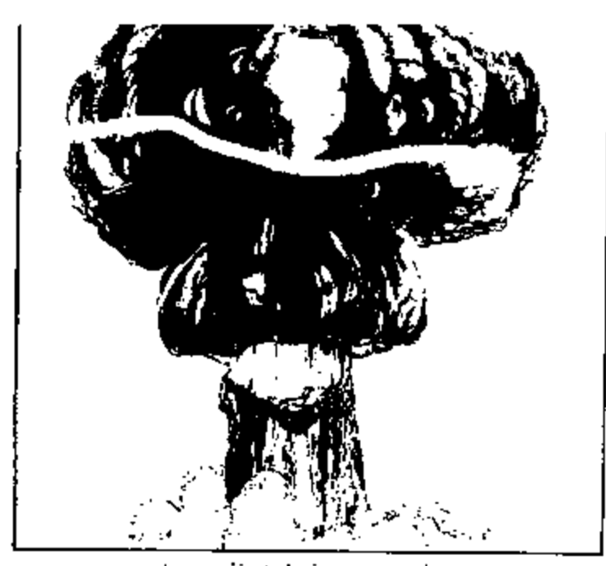
فلم يسمع أحد عن بحث حاول أن يقدم إجابة تفصيلية وعملية بقدر الامكان على السؤال الحاسم التالي : إذا افترضنا أن التفوق التقني الأمريكي قد ضمن بقاء نسبة معينة من سكان العالم ، ومن سكان أمريكا على الأخص بعد الحرب النووية الشاملة . فهل سيظل هؤلاء الباقون الأحياء وسط مظاهر الفناء والخراب في العالم المحيط بهم رأسماليين أو مؤمنين بالرأسمالية ؟ وهل سيكون الانتصار العسكري في مثل هذه الحرب انتصارا للايديولوجيا السائدة حاليا في المعسكر الذي يعتقد أنه سيحرز هذا النصر ، أم أن هذه الحرب نفسها لابد أن تؤدي إلى تغييرات جذرية في نظرة الانسان الذي يعيش بعدها إلى العالم ، وإلى علاقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ببقية البشر ؟

افتراضات وأسئلة

سنفترض أن المجزرة الكبرى قد اشتعلت في العالم ، وأن الأسلحة النووية القادرة على قتل عشرة أضعاف سكان العالم قد استخدمت ، وسنفترض أيضا أن الدفاعات الوقائية التي تتيحها « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » قد نجحت في تدمير مظلة من أشعة الليزر ، أدت إلى تدمير نسبة كبيرة من صواريخ الخصوم ، سواء تلك التي أطلقت من البر أم من البحر أم من الجو وسواء كان إطلاقها من مواقع متحركة في غواصات تجوب أعماق المحيطات ، أو ثابتة تختفي في صوامع تحت الأرض ، أيضا أن هذا النظام الدفاعي المحكم قد أدى إلى بقاء نسبة معينة من الشعب الأمريكي على قيد الحياة . لأن أشد أنصار برنامج « حرب الكواكب » أنفسهم لايزعمون بأنه سيكون نظاما دفاعيا تاما لكل صواريخ العدو ، بل يعترفون بأن نسبة من هذه الصواريخ ستفلت منه ، وستصيب أهدافها . وبأن القوة التدميرية للصاروخ الواحد الذي يحمل رءوسا نووية متعددة قادرة على سحق مدن عديدة بكل من فيها من البشر ، فكيف سينظر هؤلاء الناجون من المحرقة إلى العالم وإلى أنفسهم وإلى مجتمعهم ؟

إن هؤلاء البشر الذين يقضون رعبا ، والذين خرجوا من مخابئهم المحصنة بعد شهور طويلة من العزلة عن العالم الخارجي ، وعانوا خلال تلك الشهور أهوالا لاتوصف ، ليس أقلها تلك الحرارة الشديدة المتولدة عن وجودهم في أماكن مغلقة فترات غير عادية ، فضلا عن الصدمات النفسية التي تثيرها أهوال الحرب ، والتوقعات المخيفة في كل لحظة . هؤلاء البشر يستحيل أن يعودوا إلى أسلوب الحياة والتفكير الذي كانوا يعرفونه من قبل . فأهل الكهف العصريون هؤلاء سيتعرضون للموت بالاشعاع بعد خروجهم ، ولن يجدوا حولهم إلا الدمار المرعب ، وسيبحثون عن الغذاء وعن الكهرباء وعن الماء غير الملوث فلا يجدون من ذلك شيئا . فهل يمكن أن يظل هؤلاء رأسماليين ، حتى لو كانت البلاد الاشتراكية قد سويت بالأرض ، وحتى لو كان كل من ينتمي إلى (أيديولوجية) مخالفة قد أصبح رمادا ؟

هل ستصدق هذه الانتصار (جنرال موتورز) و



(جنرال الكتريك) و (جنرال ديناميكس) ؟ وهل سنحتفل بـ (آي . بي . أم) و (اي تي تي) ؟ وهل سيكون هناك مجال لاجتماع عالمي لادارات الشركات العملاقة ، المتعددة الجنسية ، ذات القدرات الجهنمية والشبكات الأخطبوطية ، ليشرب مدخنوا السيجار من أعضائها نخب الانتصار الذي استأصل العدو من جذوره . وترك العالم كله خاليا لهم . يصولون ويجولون فيه كما يشاءون ؟

إن هذه الشركات لن تجد عندئذ عمالا قادرين على الانتاج . ولا خامات ومواد قابلة للتصنيع ولا أسواقا مستهلكة للمنتجات ، بل انها لن تجد انفسها وسط الدمار الشامل مقرا تمارس فيه نشاطها ، او وسائل تتصل عن طريقها بالعالم ، ولن تستطيع اعادة بناء هذا كله طوال اجيال كاملة .

ولكن الأهم من ذلك هو التغيير العقلي الهائل الذي لابد ان يطرأ على تلك الفئة القليلة التي خرجت من غابتها حية . اذا افترضنا بأن هناك قد أمكن حدوثه . فهل يعقل ان هذه الفئة التي عانت أقسى تجربة مر بها البشر طوال تاريخهم سوف تتطلع وسط مقابر الموت والدمار الى الكسب والتوسع وغزو الأسواق ؟ وهل سيكون للطموح الرأسمالي الى الربح والمبادرة الفردية مكان في ذهن انسان يحيط به الخراب والآلام طوال حياته وحياة ابنائه واحفاده ، ويرى الناس يتساقطون من حوله كالذباب في كل يوم من ايام عمره ؟ وهل سيكون للمال ، وللأسهم والسندات والبنوك والبورصة معنى في هذا الجحيم المقيم ؟

إنسان مختلف

باعتقادي أن بشاعة التجربة ستنتج إنسانا مختلفا كل الاختلاف عن ذلك الذي سبقها ، وأن النقاش القائم بين الرأسمالية والاشتراكية أو الشيوعية لا يكتسب معناه إلا في إطار الظروف الموضوعية للعالم « الحالي » ، أما في ظل الأوضاع التي تولدها حرب نووية شاملة فإن ظروفا جديدة كل الجدة ستفرض على حياة البشر ، يفقد فيها هذا الصراع كل معنى له ، ولابد أن تسفر من الوجهة (الأيديولوجية) - عن شيء مختلف كل الاختلاف ، قد يكون من الصعب الآن تحديد معالمه ، لكنه سيكون قطعا بعيدا كل البعد عن الرأسمالية كما نعرفها الآن .

ولو كان لي أن أجازف لقلت أن ما يمكن أن يسود ، في ظل هذه الظروف الغريبة ، هو شكل معدل من أشكال الدعوة إلى الحفاظ على البيئة التي تتبناها الآن جماعات « السلام الأخضر » وغيرها ، وذلك لسبب بسيط هو أن مشكلة إيجاد بيئة تتيح استمرار الحياة البشرية ستظل وقتا طويلا جدا ، هي المشكلة المسيطرة على عقول أولئك الذين ظلوا على قيد الحياة وسط أنقاض الحضارة البشرية .

وهنا يصبح باستطاعتنا أن نجيب عن التساؤل الهام الذي طرحناه من قبل ، ولم نجد له حتى الآن إجابة شافية ، وأعني به : لماذا لم تظهر دراسات كافية للنتائج (الأيديولوجية) المترتبة على الحرب النووية الشاملة ؟ وذلك لأن دراسة هذا الموضوع من زاوية (الأيديولوجيا) ستكشف عن حقيقة أساسية ، يحرص أساطين التسلح والمطالبون بالحرب النووية على إخفائها ، وهي أن النظام الذي تشن هذه الحرب من أجل خدمة مصالحه لابد أن يختفي في أعقابها أيا كانت النتائج التي تسفر عنها ، وأن الطبقة الرئيسية التي تبتكر أبشع أسلحة الدمار ، وأقوى وسائل الدفاع ، إنما تهدم نفسها بنفسها لو حققت الهدف الذي تعمل من أجله ، وإذن فالخاسر الأكبر في الحرب القادمة لابد أن يكون من الوجهة (الأيديولوجية) هو الخاسر الأكبر .

هي معركتنا أيضا

ويظل بعد ذلك سؤال أخير عسير : هل هم يجهلون هذا ؟ أغلب الظن أنهم لا يجهلون ، وأنهم على وعي بأن الحرب التي يدبرون لها هم أنفسهم ستكون « حمقاء » ، مادامت ستؤدي إلى عكس المقصود منها ، بل إنهم على وعي بالمأزق الفكري لعملية التسلح النووي في عالمنا المعاصر، ذلك المأزق الذي يتمثل في أن هذا التسلح إذا حقق أهدافه بنشوب حرب فسوف تقضي هذه الحرب على النظام الذي هيأ لها الظروف الملائمة ، أما إذا لم يحقق أهدافه ، ولم تقم الحرب ، فسيكون معنى ذلك أن صناع الأسلحة وتجارها قد أرغموا العالم كله على ارتكاب أكبر عمل جنوني في تاريخه ، وهو أن يستنزف أثمن موارده البشرية والمادية في إنتاج « لعب » عبثية ، لن يستخدمها أحد .

وأغلب الظن أيضا أن هذا هو بعينه المقصود ، فأسلحة الدمار الشامل تنتج من أجل الإنتاج لا من أجل الاستخدام ، لأن الإنتاج عملية مربحة إلى أقصى حد ، أما الاستخدام فسيكون الجميع فيه خاسرين ، ومن هنا كان من واجبنا - نحن شعوب العالم الثالث - أن نحدد موقفنا من هذه المشكلة بوضوح قاطع ، ما دمنا نعيش في عالم ينفق على إنتاج تلك اللعب المميتة التي لن تستخدم أضعاف ما يكفي لحل جميع مشكلات التخلف والفقر والمرض والجهل في مجتمعنا ، فمن واجبنا أن نكون على وعي بأن معركة (الحد من التسلح) هي معركتنا ، قبل أن تكون معركة أمريكا والسوفييت ، أو حلف الأطلنطي وحلف وارسو ، لأننا أكبر الخاسرين من هذا الجنون اللاعقلي الذي يرغمنا صناع الأسلحة وتجارها على أن نقبله ، وكأنه حقيقة أساسية من حقائق الكون . □

أقوال

■ « إن الكويت تود أن تؤكد بأن الاجراءات التي تمت أخيرا هي إجراءات تجارية بحتة ، تتعلق بتأمين مصالحها التجارية والاقتصادية ، وهي بعيدة كل البعد عن أي شكل من أشكال التدخلات الأجنبية في المنطقة » .

راشد عبد العزيز الراشد

وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي

■ « لن نسمح بأن يصبح المواطنون أقلية في بلادنا ، وعلينا الانتباه إلى مخاطر الاعتماد والاتكال على العمالة الأجنبية » .

السلطان قابوس

سلطان عُمان

■ إن أول التجديد هو أن تقتل القديم بحثا .

أمين الخولي

■ مأساة الشعب الفلسطيني ليست مجرد مشكلة سياسية محلية في الشرق الأوسط ، إنها مأساة تمسنا جميعا ، لأنها تكشف السر عن العنف والظلم الكامنين في صلب حضارتنا .

ج . م . لوكليزيو

روائي فرنسي



خرجنا وهذا العدد ماثل للصدور بوفاة زميلنا الفنان الكبير رسام الكاريكاتير « نبيل السلمي » ، إثر أزمة قلبية ألمت به ، وهو أوفر ما يكون عطاء لفنه ، ولمجلة « العربي الصغير » التي ولدت على يديه ، وشبت ، ومازال المستقبل له ليكمل مشواره فيه ، وروعة الصحبة .

كان في نبيل السلمي تميز براءة الفطرة ، وصفاء النفس ، فهو يمشي مع الخيال إلى أقصى إمكاناته ، ويخاطب أرق الأفكار ذكاء ، والأقدر على اكتشاف لغة الحس ورقة القلب المنفعل بآلام الآخرين ويتحمل المسؤولية ، وكانت له صورة من شخصيته الهادئة ، هدوء من أدرك أن الصخب لا يجدي ، وأن المظاهر لمحة على صاحبه ، وأن الصوت العالي يتبدد في الفضاء الواسع ، وأنك لكي تعبر لابد أن تعمل في صمت ، وفي صدق ، وفي أمانة ، لكي تصل رسالتك ، وتسهم في إفهام من يعملون في صمت وصدق وأمانة .

قد لا تسمح لنا المساحة ولا الوقت بالحديث عن هذا الفنان بما يستحق شخصه وفنه ، وبالتأكيد فإن لنا عودة للحديث عن فنه ومكانته ، ولا يسعنا في هذه السطور وأمام هول الفاجعة سوى أن نتضرع إلى الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الغالي بواسع رحمته ، وأن نتقدم إلى أسرته ومحبي فنه وأصدقائه في الوطن العربي بخالص العزاء .



الحوار ألوان

بقلم : فتحي رضوان

الحوار حاجة انسانية لازمة قلما يستغني عنها الانسان .. منه ما هو داخلي يقيمه الانسان مع ذاته ، ومنه ما هو مع الآخرين .. فما هي « ألوان » الحوار التي قصدها الكاتب ؟

ربما لا أكون موفقا اذا قلت أن الحوار وسيلة متخلفة . في حين اريد ان أؤكد إنها وسيلة عاجزة غير مؤثرة في اقامة علاقة عقلية بين رأيين أو مذهبين أو فردين أو جماعتين .

ان بعض مفكري العرب المحدثين راجعوا صفحات التاريخ الانساني منذ البداية حتى اللحظة التي تكتب فيها هذه السطور ، فلم نعرف أن فيلسوفا أقنع فيلسوفا آخر بنظريته . كما لم يقنع سياسيا ممثلا لدولة أمامها وآنه بالاسلوب الجذاب والفعال الخلاب ، والحجة الصادقة ، والبينة القاطعة ، ان يخرج السياسي الممثل لدولة اخرى عن اعتقاده ويسلم لزميله المتحدث الرائع . والمحاور البارع بما قاله وألقى من الحقائق والمعلومات لينهي ما كان بينهما أو بين دولتيهما من نزاع . وهدأت السيوف في اغمادها والخناجر في قرابها . وبقيت الجيوش في ثكناتها لم تبرحها .

وقد رأينا على مدى التاريخ الانساني . مذاهب سياسية تنشأ ، وعقائد دينية تولد ، ومدارس فكرية

تقدم . ورأينا لكل مذهب وعقيدة ومدرسة ، أنصارا ودعاة يبشرون بفكرهم ، ويروجون لعقيدتهم ، ويجادلون عن مذهبهم بالخطبة الأخاذة والحوار الذي يسد على الخصم المنافذ بعنف أو برفق ، وبالحديث البسيط المسترسل الذي لا تحس فيه بنبرة الاعتزاز بالنفس ولا الرغبة في الظهور ثم تتوالى الكتب رسائل صغيرة . فأسفارا ضخمة فمجلدات تنوء بثقلها الجمال في القوافل ، وكلها دفاع عن تلك المذاهب ، ومقارعة عن صدقها ورد على خصومها ثم يهدأ غبار المعارك فإذا كل شيء في مكانه . وإذا الناس يزدادون تعصبا للمذهب بعينه أو يعرضون عنه ، ويغادرون هذه الدنيا وهم لم يسمعوا شيئا مطلقا من هذه الأسفار الضخمة . ولا تلك المجلدات التي تعد صفحاتها بالمئات .

حوار لا ينتهي

ولكن الشيء الذي لا يمكن تفسيره أن الحوار لم ينقطع بين الناس من المذهب الواحد ، وبين الناس من المذاهب المتباينة ، وبين أناس طي تريد أن تحاور وتجادل ، وهي لا تنتمي إلى عقيدة . ولا تنحاز لأسلوب فكر . الحوار إذن حاجة انسانية لا يستغني عنها ولا يعيش بغيرها . وهناك حوار لا نعترف به ، ولا نعطيه حقه من العناية والدراسة ، والتأمل هو الحوار مع النفس

وليس حتما ان يكون الحوار مع النفس بالصوت المسموع ولكنه يحدث بالصوت المسموع في أكثر المسرحيات والخطب والمراثيات التي قالها أصحابها لأنفسهم وهم يتصورون أنفسهم أنما يجادلهم أو جماعة جالسة على مقاعد مصفوفة تسمع وتستمع وتهز رؤوسها بالموافقة أو تلهب أيديها بالتصفيق وهي لا وجود لها ، ولكنها انبثقت من خيال الكاتب أو المسرحي أو الخطيب .

هذا الحوار الذي لم تسمعه ولم يسمعه أحد هو أعظم أنواع الحوار الانسان تأثيرا وان كان حديثا من طرف واحد ، ولكن اليه ينسب أكبر الأفكار وأعظمها وأجلها وأنبلها . ففي هذا الحديث الذي لا يبغي به المتحدث أن يفرض رأيا ، ولا أن يكسب نصيرا من الحوار الذي يوحي الى صاحبه أولا بالأفكار ، وثانيها بالتغيير والتعديل ، وثالثا بالاقتناع والطمأنينة .

واذا التقى اثنان من مذهب واحد تماما . وللعجب . يبدآن في الحال حوارا . ليتبينا بعده أنهما جد مختلفين وان ما يفهمه أحدهما من مذهبه يفهم الآخر نقيضه . فاذا هما خصمان لدودان وخصمان متناقضان ، واذا الحوار الهادىء المريح قد استحال الى قذائف متطايرة ولعنات متصاعدة . تتلامس لها الأيدي وتتقبض بينها أسارير الوجه وقسماته ، وينصب العرق ، ويشيح كل منهما عن صاحبه بوجهه كرها وضيقا . ثم يهدآن ثم يستأنفان الحديث . فاذا هما متصالحان يتودد أحدهما للآخر . وإذا الخلاف الذي أجج القتال بينهما يتبخر فلا يجدان له أثرا . ولا يحسان لوقته لذعا ويحسان أنهما أقرب ما يكون أحدهما من الآخر . ولكن إلام انتهيا وعلام اتفقا ؟ لا شيء مطلقا . والموضوع الذي دار حوله الخلاف باقي في موضعه لم يتقدم خطوة ، ولم يتحرك من مكانه قيد شبر .

من الحوار الى الخصومة

والغريب انه اذا التقى فردان من مذهبين وعرف كل منهما أن صاحبه على النقيض منه ، دار بينهما الحديث هادئا خاليا من العنف كأنهما لا يجدان ما يدعو الى التصادم فكل منهما قانع بمذهبه مكتف به ، وكل منهما يعلم أن استمالة صاحبه الى مذهبه أمر لا أمل فيه ، ولا نفع منه . فاذا ما ساءت علاقتهما لسبب لا يمت الى العقيدة بصلة رأيت كلا منهما ميالا الى الاشتباك على الآخر ، والامساك بتلابيبه ، واذا بالحوار المذهبي يشتعل ويتقد ويتحول مع الزمن الى خصومة معلنة . فلا يلتقيان الا ويستثير صاحب

بكلمة أو حماية . وفي الحالتين تتماسكان وتتجدد هذه الحالة . ولسنا نذكر هذا المثل لمجرد بيان صورة من

صور التوتر الذي يسود علاقات أصحاب المذاهب والمواقف المتباينة ، وانما لنستمد من هذه العلاقة بين الأفراد للعلاقة بين المجتمعات . في أكثر الدول أو مجموعات الدول التي عاشت حياتها تخشى مجموعة اخرى ، وتتوجس من كل حركة تصدر عنها ، أو خطوة تقدم عليها ، ثم تنشب الحروب وتستمر لسنوات والمراقبون يحسبون أن الخلاف مرده المذهب . فاذا ما تغيرت الظروف ، تجاوزت الظروف الجديدة الأوضاع السياسية القديمة ، التقت المجموعتين المتصادمتين وقد تلطفت العلاقة بينها .

وكل منها على مذهبه . وكان هذا : خلاف المذهبي قد وقع ونشبت بسببه حروب طاحنة ومعارك دامية ، فالمانيا وفرنسا تحاربتا قبل النازية وبعدها . تحاربتا وانتصرا في ظل بسمارك ، ثم تلاقيا في ظل غليوم ثم تحاربا والمانيا في ظل هتلر فكأن الشعب الذي قيل إنه اندفع الى القتال لم يلتق بالصدفة .. ولم يؤججها وكان التنافس على الأسواق الذي قيل انه السبب الثاني والذي تزيا بزي المذاهب لم يجد للجماعتين علاقة .

فالتنافس بين الجماعات البشرية ضرورة اجتماعية وحين يتزيا بزي العقائد يزداد تأصلا ولكنه في الوقت نفسه يؤدي الى تداعي هذه المجتمعات والى احداث صور من الصراع يتضح به التقدم ويتلون به التنافس . وتبحث عن الحوار فلا تراه ، لم يجد العلاقة في أسسها ، وانما صاحبها ولم يصلح تلك

العلاقة متى صلحت وانما عاصرها والغريب أيضا اننا بعد ان حسبنا ان الحوار لا يحسم مشكلة من مشكلات الفكر المستعصية ولا يقرب بين متنافرين ولا يؤثر في فرد أو جماعة اعتبرت ما منهجا يحاول الحوار تحويلها عنه أو زحزحتها عنه . فانه ـ أي الحوار ـ

مستمر ومؤثر وفعال ولا يخلو هذا التناقض لهذا الحوار الذي نعنيه هو حوار داخلي لا تسمعه الآذان ، وان

كانت الضمائر تتابعه وتتأثر به وتحرص عليه ولا تتجاهله أبدا . فالجماعات المتناظرة المتباغضة لا تنقطع عن مخاطبة الجماعات التي تقف منها على النقيض ، ولكنه خطاب عجيب ، خطاب لا تخرج منه الشفاه ، ولا تنطق به الألسنة ، فالحديث بين الشيوعية والنازية ، والحديث بين الديموقراطية والديكتاتورية ـ والحديث بين الرأسمالية والاشتراكية بل الحديث بين المتدينين والملاحدة ، وبين المسلمين والمسيحيين دائم وموصول ومؤثر . وكله لا يسجل في كتاب ، ولا تحمله رسالة ولا يلقى في محفل . انه التساؤل الدائم الموصول الذي يبدي دهشته واستغرابه ـ وربما ضيقه واعتراضه بآراء الآخرين ومواقفهم . والذي يبدو على قسمات الوجه واشارات اليد . ونغمات الصوت وهو يخرج صدر الذين وجه اليهم : فالملاحدة يسمون في كل



خطة من المؤمنين المتدينين. كيف تعمى عيون هؤلاء القوم عن رؤية آثار الله في كل مكان، ألا يرون أن هذا الكون بأسراره وعجائبه لا يمكن أن يأتي من فراغ. ألم ير هؤلاء الذين خلت قلوبهم من الايمان والتسليم بقدرته المحيطة، ان هذا الكون بنظامه المستمر، والسائد المستقر، وخضوعه من ألفه إلى يائه لقواعد واحدة في أقصى الأرض وأدناها، في الصيف المتقد الحرارة، والبرد الذي تتجمد له الأطراف.

النازيون والديمقراطية

ولا يختلف النازيون والفاشيون عن الحزب بالنظريات الديموقراطية، والايمان بسيادة الأمة، وتمثيل الفرد للمجموع بصوته، وكون النائب المنتخب من دائرة هو الحارس على حقوق الشعب والممثل له، وما يصحب صدور القرار في الحكم الديموقراطي من أدوار طويلة تعتقد بها حكومة الديمقراطية من خصائص الحزم، ما يهدد دولها بالمخاطر. ولكم سخروا في مقالاتهم وصورهم بقادة الديمقراطية الذين يكونون عادة شيوخا ذاوين ذوي شوارب تغطي شفاههم ويبدون حكماء متهالكين. في حين زعماء النازية والفاشية رجال ممتلئون بالحيوية متمتعون بالقامات الممدودة والخطوات العسكرية في حين تبلغ أصواتهم بمكبرات الصوت ويليها عنان السماء مع هتاف الجمهور الهادر

واستمع إلى الحوار غير المباشر بين المذاهب والجماعات المختلفة الذي لا تنطق به الشفاه، وإنما ينطق به لسان الحال.

وجملة القول ان هناك حوارا يتم بين الخواطر التي في الصدور ويلقاها الذين يمعنون النظر في شئون البشر، ويقارنون بين أحوال الناس ويقارنون بما يلاحظونه وما يمر بهم من الظروف والتحولات مر البرق الخاطف فيهتزون من الأعماق ويخيل لهم ان ما تعلموه مهتز من القواعد فيتشبثون بها ويقبضون عليها كما يتشبث الممسك بالجسر وهو يخاف من النار، ويكاد يفقد اتزانه.

هذا الحوار الصامت الناطق المستمر والمتقطع هو الحوار الذي يصوغ في الواقع الأفكار والخواطر والعقائد والميول، والذي يدفع الناس إلى التصادم والتماسك، وبغيره لا يكون للفلسفة وجود، ولا لمعترك الرأي والفكر أثرها الباقي والدائم، فهو في الواقع خلاصة تاريخ البشرية، وسر عظمة المبدعين والثوار.

ولكنه مع ذلك مغبون الحق، مجحود المكانة شأنه شأن كل العظائم في حياة الناس □





■ ليس ثمة أمة استطاعت أن تنهض من غير أن تطهرها نار
(غاندي)

■ من العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير، ولكن العظيم بحق هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء.
(مكسيم جوركي)

■ لم أطمئن قط إلا وأنا في حجر أمي. (سقراط)

القصيدة الدافئة

شعر : شوقي بغدادي



كَمْ حَبَّةٍ جَنَيْتَ
من بستاننا الأمين ؟
كَمْ لَوْزَةٍ في أوّلِ الصيف ،
وكَمْ تينٍ ، وكَمْ عِنَبٍ
قَطَفْتَ في تشرين ؟
كَمْ ضِحكةٍ خَبَّأْتَ في طَيِّها
ساقيَ الحزين ؟
كَمْ كَبْوةٍ في السِّرِّ ،
ثُمَّ كَمْ صَراحةٍ ،
وكُنْتِ تَسْتحين ؟
كَمْ جُملةٍ قيلتْ لِمَعْنىً واحدٍ ،
كُنّا نُعيدها ، ونَسْتزيدُها
في جلسةٍ واحدةٍ مَيْنْ ؟
كَمْ بمعْطَفٍ زَرّرتُه عليكِ في البَرْدِ
وأنتِ تَمْرَحين ؟
وكَمْ فَراشَةٍ رَفَّتْ على الفساتينِ
التي تَلْبَسين ؟
كَمْ قُبلَةٍ على اضواء ،
كَمْ صدقٍ ،
وكَمْ رنينْ ؟
الله ، ما أطول ذلك الحنين .
ها أنذا أراك من عشر سنين .
من عشرين ،
كأنني الآن تعرّفتُ إليك .
الآن أحببتك .
قبل لحظة رأيتُ عينيك تُحدّقان بي ،
وتُلغيان كلَّ أمرِ الحشد الذي يفصِلُ بي .
فلا أرى سواهما ،
ولا أقولُ كلمةً إلا إليهما
الآن صافحتك في الزِّحام .
ثُمّ تحت شجر الطريق حاورتك .
ثُمّ إذْ تأخرنا عن الجميع ،
واستفاقَ بُلبلٌ في شُرفةٍ قريبةٍ ،
وعلّقتْ إحدى العجائز الحنونات
على تأخرنا بقولها : « جلوين » ! .
الله ، كَمْ مَرَّ مِنَ الأيامِ ،

كَمْ فاتَ مِنَ السِّنينْ ؟ .
لَيْسَ سِواكِ الآنَ ،
لَيْسَ غيرُ الحُبِّ العتيقِ ،
ليس سِوَى ذِكْرَى عَتِيقَةْ
في صَوتِنا المُشْتَرَكِ حتى آخرِ الطريقِ ،
ليس سِواكِ رَفيقةً لَهُ
في كلامِ الحريقْ ؟

ماذا جَرَى للشجرِ المائلِ نحوَ النهرِ ،
ينحني ، وينحني ،
ويصرخُ في وَحشةٍ ،
لانتشالِ الغريقْ ؟
ماذا جَرَى للرَّجُلِ البَشُوشِ ؟ ؟
كانَ وَجْهُهُ صَباحًا ،
وفي المساءِ نكهةُ المدينةِ النّابضةِ الأصواتِ ،
وابنَ الحارةِ العريقْ ،
ماذا جَرَى لِلُقْمَةِ الخُبْزِ ،
ولِلمُزَاحِ ،
والزِّيارَاتِ ،
وعزفِ جَرَسِ البابِ
الذي يُعْلِنُ عَنْ صَديقْ ؟
ماذا جَرَى لِخُطبةِ الجُمُعَةِ ،
والمُصَلِّينَ ،
وتلكَ السِّربِ مِنَ الحَمامِ ؟
كانَ يَمسحُ الرِّيشَ على الأكتافِ ،
ثُمَّ صارَ لا يُطيقُ مَرآنا ، ولا نُطيق .
ماذا جَرَى للطيرِ ، والغزلانِ ، و[illegible] ،
والصِّغارِ ، والكلامِ ، والسَّلامِ ، والهواءِ .

والزِّيرِ ، والقنديلِ ؟
ياليتني البحرُ الذي يصطحبُ الأنهارَ
والصوتُ الذي صِرتُ له صَدى ،
أفكِّرُ الآنَ بها ،
[illegible]
فلابُدَّ أنني أسابقُ المُنى ،
أعرفُ أنها على الطريقِ ،
أنها تسبقني دوماً ،
وأنها بالجسدِ الغضِّ الذي لها
تختصرُ السَّفَرَ برحلةٍ مفاجئة ،
وتسبقُ الروحَ بقفزةٍ نحوي ،
وأنْ تكونَ دائما
البادئة .
كيفَ أجاري قِصّةَ القميصِ ، و[illegible] ،
وكركراتِ الجرسِ الفضّي
إذ تطلقُها مثلَ [illegible] بَغْتَةً
فيشهقُ القلبُ من المفاجأة ؟ ؟
كيفَ أجاريها إذا انطلقَتْ واستعجلَتْ
وهي هادئة ؟

ياليتني أحبُّها غدا
كما أحبُّها اليوم
لقد تَسَلَّلَ الصقيعُ ،
حتى أعذبَ الكلامِ ،
إلا على القصيدةِ الدافئة ،
أكتبها ،
وأصطلي بوهجها ،
وتشي بأنها المُلهِمةُ القارئة .



بقلم : الدكتور محمد عمارة

من أكثر المصطلحات المثيرة للجدل التي يكثر ويشيع استخدامها في حياتنا الفكرية الراهنة .. مصطلح «التغريب» !

ففي «الصراع» بيننا وبين الحضارة الغربية .. بل وفي مناطق وميادين «الوفاق» بيننا وبينها ، يكثر استخدامنا لمصطلح «التغريب» !

في المعارك الفكرية التي شهدتها حياتنا الثقافية ، منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة التي شارك فيها أنصار التبني الكامل للنموذج الحضاري الغربي .. ودعاة الرفض الكامل لهذا النموذج ، والقائلون بالتوسط بين هذين النقيضين ، شاع ويشيع الاستخدام لمصطلح «التغريب» !

شيوع وغموض

ومع هذا الشيوع .. يعجب المرء لحمل هذا المصطلح حملا بقدر كبير من التعميم والإبهام والغموض .. الأمر الذي يدعو إلى التأمل : ماذا يعني ؟ وماذا كانت مدلولاته ؟ وما هي آثاره التي تجسدت في واقع أمتنا ، منذ أن هجمت علينا الاستعمار الغربي ، وحضارته قبل نحو القرنين من الزمان ؟ .

لقد جاء الغرب إلى بلادنا في غزوته الاستعمارية الحديثة ، وقد وعى دروس غزوته الصليبية في العصور الوسطى .. فلقد كان في الغزوة الصليبية ، مجردا من الفكر والحضارة ، ليس لديه ما يغري أهل البلاد التي سيطر عليها فرسانه الصليبيون ، الذين كانوا كما قال الفارس المؤرخ أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) : كانوا «بهائم ليس لديهم سوى فضيلة القتال» ، فلما استطارت فروسيتهم المسيحية فروسيتنا الإسلامية ، واندحرت غزوتهم واستسلمت حصونهم ، ثم جلوا وراءهم .

بعد قرنين من الزمان ـ في أثر في عقل الأمة الإسلامية ، يغري بالاكتفاء والاستلهام والتقليد ... فكان جلاء قوات الغزو انجازا كاملا للاستقلال الوطني الكامل ...

جاء الغرب في غزوته الحديثة ، وهو على وعي كامل بهذا الدرس .. وكان عازما على أن يلحق عالم الإسلام بالمركز الغربي الحاقا مؤبدا ، فخطط ، منذ البدء ، لتلافي مصيره في غزواته الصليبية .. فالاحتلال العسكري ، لا بد يوما أن يستفز الحس الوطني فيجليه .. والنهب الاقتصادي لابد وأن يستفز المصالح القومية فتنتزع الأمة ثرواتها من مغتصبيه وشركاته .. والأيدي العاملة الرخيصة التي تمتص احتكاراته جهودها ، لابد وأن يوقظ الاستغلال حسها الطبقي فتثور على هذا الاستغلال .. اذن .. كيف السبيل لتأبيد تبعية عالمنا الإسلامي للغرب وحضارته ؟

المركز والهامش !

لقد بدأ التطفل على بلادنا أشبه فيتامينا ، دون ان نفطن الى أنها « طعم » و « طعام » يؤدي تناوله الى ترسيخ فكرة : أن الغرب هو « المركز » وماعداه فهو « الهامش ـ التابع » فالشرق الأدنى » هو كذلك لأنه الأدنى من المركز الغربي .. وكذلك « الأوسط » و « الأقصى » ، إنه هو « وحدة القياس » لم يعد على هذا الغرب ، حتى غدت مفاهيمه وتجاربه ومذاهبه ، بل « وتقاليعه » هي أول مايقفز الى ذهن « النخبة » و « الصفوة » التي تغربت ، كمعايير ووحدات قياس ، عندما يُفكر في أمر من الأمور .. فليبراليته هي النموذج لليبراليينا ، وشموليته هي النموذج للشموليين منا .. ومذاهبه الأدبية والفنية هي الغاية والنموذج .. وفلسفته هي الفلسفة .. والروح المادية الحاكمة لعلومه الانسانية هي التي سرت في دراساتنا لهذه العلوم الانسانية .. وكل ماهو غربي فهو المتحضر ، وماعداه رجعية وتعصب وتخلف متلكئ في مجرى تطور التاريخ .

وعلى درب « التغريب » هذا ، وفي ميادينه يستطيع الباحث أن يرصد الكثير من المعالم والشواهد التي تلتمسها تزاحمه جهودنا » و « معارك » و « أفكارا » و « مغامرات » حاول بها الغرب وعملاؤه ، والذين خدعوا بشعاراته أو اندهشوا وانبهروا بزخرف معاديه ، إغراء أمتنا بالالتحاق بحضارته الغربية والتخلي عن درب « التواصل الحضاري » الذي يحمل بحثنا المأمولة ذات امتداد متطور لحضارتنا المميزة ....

فـ « بالتبشير » خلق للمذاهب الدينية ركائز وكنائس في بلادنا ، انتزعت أرضا اتصلت بمراكز اللاهوت في بلاده .. وكان ذلك على حساب اسلامنا حينا ، وعلى حساب كنائسنا الوطنية الشرقية في أغلب الأحايين .

جانب من دور الاستشراق

و « بالاستشراق » الذي ارتاد أصلاؤه ميادين تحقيق مخطوطات تراثنا ، والكتابة عن مذاهبنا وفرقنا وتحصيلاتنا .. سلط الضوء على كل مايؤدي الى ضعفنا وتشرذمنا ، لتسهل التبعية بالحضارة الالحاق .. فوجهت جهود كثيرة من الدراسات الاستشراقية ، لتسليط الأضواء على الشرق الفكرية ، والأقليات النافرة ، وللمذاهب الدخيلة ، تعطيها أكثر من حقها ، وتضفي عليها جلالا لاتملكه .. وبثت أغلب هذه الدراسات في عقول قرائها ، أن أسلافنا لم يكونوا غير نقلة وحفظة لتراث اليونان ، ليؤكد في هذه العقول اقتناع بضحالة إبداعنا لمستقبل متميز ونهضة مستقلة ، طالما أن التميز والاستقلال ليسا أكثر من خرافة ، حتى في تاريخنا الحضاري وتراثنا الذي نفخر به ونتيه .. وحتى الدراسات التي لم تقل ذلك ، ولم تقصد اليه ، جعلت معاييرها في تقييم تراثنا معايير غربية ، فأسهمت هي الأخرى في تكريس روح التغريب في ثقافتنا المعاصرة .

وانطلاقا من « المعايير الغربية » التي جعلت حضارة الغرب ، وتطوره التاريخي « وحدة

القياس » في كل شيء ، شهدت ساحات الفكر في بلادنا ، تحت هيمنة الاستعمار ومرحلة التغريب ، الكثير من الدعوات التي قامت حولها المعارك الفكرية . .

فالمستشرقون يدرسون « مقدساتنا » كتاريخ بشري ، لا قداسة له . . وفي هذه الدراسات خير للخطأ والجهل والمغالطات ، غمز ولمز كثير . . وعلى هذا الدرب سار متغربون ، تناولوا بعضا من مقدساتنا بنفس الروح وذات المعايير .

واللاتينية عندهم قد أخلت المكان للغات القومية . . فرأيناهم يدعون الى حلف العربية ، وإحلال العاميات المحلية مكانها . . متجاهلين الفروق الموضوعية التي تميزنا عنهم في هذا الميدان . . فنحن أمة واحدة ، أما هم فقوميات وأمم عدة .

وأن العربية ، فضلا عن أنها رباط الوحدة القومية للأمة الواحدة ، فهي لسان « الاسلام - الدين » ولم تكن كذلك اللاتينية في علاقتها بالمسيحية .

والذين دعوا الى ذلك ، لقصور زعموه في وفاء العربية بمتطلبات النهضة العلمية الحديثة ، لم يقولوا لنا : كيف استطاعت العربية يوما أن تكون لسان العلم العالمي ؟ . ولم يقولوا لنا - أيضا - على ستنهض بهذه المهمة - عوضا عن العربية - العاميات المحلية ؟ لم يقولوا شيئا من ذلك ، فلقد كان الهدف واضحا : ازاحة العربية لمصلحة اللغات الغربية الوافدة ، واستخدام الفصحى في اللهجات العامية .

لتنفصم عروة وثقى من عرى وحدة الأمة . . وفوق ذلك وقبله ، جعل العلاقة منبتة بين حاضرنا ومستقبلنا ، وبين تراثنا الحضاري المكتوب بالعربية ، وذلك حتى لايكون هذا الحاضر والمستقبل الامتداد الطبيعي لماضي الأمة الحضاري ، وإنما الهامش التابع للمركز الغربي وحضارته الغربية . فلما فشلت هذه المعركة ، خاضوا معركة أخرى دعوا فيها الى الابقاء على العربية مع كتابتها بالحرف اللاتيني ، لتغترب الأمة ولتغترب عن دينها وتراثها . . تحقيقا لذات الأهداف المبتغاة من « التغريب » !

التحديث

وحتى يزعموا بأن « تحديثنا » لابد وأن يكون « تحديثا » على النمط الغربي ، وأن خيارنا في الخلاص من مشكلاتنا لابد وأن يكون « خيارا » غربيا ذهبوا يزعمون بوحدة خط التطور في تاريخنا وتاريخهم . منطلقين من الاستعلاء الذي يريد أن يفرض على الأمم والشعوب « النمط الغربي » لا للمستقبل فقط ، وإنما للماضي وتطوره الحضاري أيضا ! .

فكما كانت علاقة دينهم بدولتهم « كهانة » و « ثيوقراطية » ، و « تفويضا إلهيا » و « حكما بالحق الالهي » زعموا أن إسلامنا كان كذلك ، وأنه قد جعل خلافتنا الاسلامية حكما مطلقا ، الخليفة فيه يستمد سلطانه من الله ، لا من الأمة ... وولايته على دين الناس ودنياهم عامة ومطلقة كولاية الله سبحانه ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، على الناس . . .

ولما كانت مسيحيتهم قد طلبت أن يدع الناس ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . لأنها رسالة روحية مهمتها خلاص الروح وتنظيم مملكة السماء ، ولادخل لها في سياسة الدولة ، وتنظيم المجتمع ، وتنمية العمران المدني . . فلقد حاولوا تصوير إسلامنا مسيحية ، ليجردوه من جوانبه المدنية ، فزعموا « أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، ماكان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين ، لاتشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لدولة ، وانه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة ، وانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، وانه ماكان الا رسولا كإخوانه من الرسل ، وماكان ملكا ولا مؤسس دولة ، ولا داعيا الى ملك » .

وهم بذلك لاينكرون حقائق التاريخ وحدها ،

بل ويتنكرون لحقيقة التمايز بين الحضارات والأمم في أنماط التطور .. فإذا كانت هيمنة الكنيسة على الدول والمجتمعات الغربية ، قد أصابتها بالجمود والجهل والتخلف في كل الميادين ، فإن احتكام أمتنا إلى شريعتها هو الذي أثمر أزهى عصور ازدهارنا الحضاري ، وقمة استنارتنا وانطلاقتنا ، ولم تدخل أمتنا إلى طور التراجع والتخلف والجمود إلا عندما أزاحت دول العسكر المماليك الصبغة الإسلامية عن قطاعات من الواقع ، وعن القانون الذي ينظم حركة هذا الواقع .

دوائر الولاء

ولما كانوا قد حلوا مشكلة استبداد كنيستهم بسلطتهم وفق « المعيار الانجيلي » : « دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، فلقد أرادوا أن تكون « علمانيتهم » التي تفصل « الدين » عن « الدولة » ، هي النهج الذي يحكم علاقة الاسلام بالسياسة في بلادنا ، فارتبط تزايد نفوذهم الاستعماري بين ظهرانينا ، باستبدال قانونهم المعبر عن فلسفة حضارتهم ـ بفقه المعاملات الاسلامي ، الذي هو القانون الطبيعي للأمة الاسلامية ، المتسق مع عقائدها والمحقق لمقاصد شريعتها ، والذي تكن له الاحترام .

وعلى عكس مفهوم حضارتنا « للأمة » ـ وهو المفهوم الذي برئ من عصبية العرق ـ حتى لقد وفق وجمع وألف بين الولاء للدوائر « الوطنية » و « القومية » دونما تعارض أو تناقض .. على عكس هذا المفهوم رأيناهم يزرعون في واقعنا الفكري والسياسي « المفاهيم القومية » للحضارة الغربية فشاعت ، تبعا لها ، في عقول البعض وتوجهاتهم وبرامج أحزابهم التناقضات بين هذه الدوائر ، ورأينا من يقف عند الدائرة « الوطنية » دون « القومية » ومن يفصل ، بل ويتنكر للدائرة « الوطنية » و « الاسلامية » معا ، مانحا ولاءه فقط للدائرة « القومية » لأن المفاهيم والمعايير الغربية لهذه المصطلحات ، وتطبيقات تلك المفاهيم ، قد صنعت ذلك في التطور القومي لأمم الحضارة الغربية .

الميراث والحقيقة

نعم .. لقد نجح التغريب الاستعماري ، مستخدما سلطانه السياسي والعسكري والاقتصادي ، ومستفيدا من هيمنته الاستعمارية على ميادين التأثير الفكري وأدواتها في بلادنا ، ومستندا إلى الانجازات الرائعة ، التي حققتها نهضته الحضارية الحديثة .. نجح في خلق « نخبة » و « صفوة » متغربة من أبناء أمتنا ، أغلبها سلك هذا السبيل عندما انبهر بروعة الحضارة الغربية وهو يقارنها بتخلفنا الموروث عن ظلم واستبداد دول العسكر التُرك والمماليك ، ظانًا أن هذا « الميراث » هو حقيقة الاسلام وحضارته ، فاعتقد ـ « مخلصا ـ وواهما » أن السبيل إلى التقدم ونيل مغالبة الغرب ، والانعتاق من قيوده الاستعمارية ، هو في استعارة الحضارة الغربية بحلوها ومرها ، بخيرها وشرها .

فدعا إلى أن نكون غربيا ، نصيب كما يصيبون ، ونخطئ كما يخطئون . وحتى يلحم من منطلقات هذه الدعوى ويصنع لها الميراث ، ذهب ليزعم الأمة انها والغرب يجمعها جامع حضاري واحد هو حضارة البحر المتوسط ، وأن هذا الجامع هو أكثر الجوامع الحضارية أصالة وعراقة وجدوى في تاريخنا ، وأن غيره من التأثيرات الحضارية ـ الشرقية ـ أو آسيوية (اسلامية) ـ انما هي عابرة وسطحية ومرذولة .

وإنصافا للحقيقة ، ولهذا الفريق من النخبة و « الصفوة » المتغربة ، فإن الكثيرين من أعلام هذا الفريق ، قد عاد ـ بعد مرحلة الانبهار ـ فراجع مواقفه ، وانحاز إلى التيار العربي الاسلامي ، ومنهم من انتقد مرحلة « تغربه الفكري » ومنهم من فعل ذلك ، عمليا من خلال ، الاهتمامات التي ركز

علينا في إنتاجه الفكري الجديد ..

لكن فريقا آخر من الذين تغربوا لم يكن دافعهم إلى تبني هذا « الخيار » والدعوة إليه « حسنا » المخلصين « المبهورين بالحضارة الغربية ، والساعين إلى إنهاض الأمة كي تتحرر من هيمنة استعمارها .. وإنما كان دافعهم الكراهية للاسلام والرغبة في إزاحة نمطه الحضاري من النهضة المنشودة ، فكان النموذج الغربي في الحضارة هو البديل ، الذي ليس لديهم سواه ، كي لا نصطبغ نهضتنا بالاسلام الذي يكرهون .

جهد على الجبهة الحضارية

وهذا الفريق من المتغربين هو الذي تكون من عدد من المسيحيين الشاميين ، الفارين من تسلط الدولة العثمانية ، فبلور تيارهم المتغرب على أعتاب دار المعتمد البريطاني في مصر ، ثم جعلوا من صحيفة المقطم سنة (١٨٨٩ - ١٩٥٢ م) مدرسة لهذا اللون من فكرية التغريب .. ولقد نحا نحوهم وسار على دربهم نفر قليل من أبناء مصر وغيرها ، حمل للاسلام العداء الذي يحملون .. وكان سلامة موسى سنة (١٨٨٨ - ١٩٥٧ م) الصوت العالي لهذا الفريق .. فهو القائل : إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة ، لأنها تقوم على أصل كاذب ، فإن الرابطة الدينية وقاحة ، إننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا .. ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان .. وحكومة ديمقراطية برلمانية ، كما هي في أوروبا ، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون ، أي « ثيوقراطية » دينية ، وكلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي .. يجب علينا أن نخرج من آسيا ، وأن نلتحق بأوروبا ، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها ، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا ، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب .

هكذا أرادوا بالتغريب ، نفي « الاسلام - الحضاري » عندما أنكروا التمايز الحضاري تاريخيا ، والخصوصية الحضارية للأمم العريقة في مواريثها الحضارية ، ومن ثم أنكروا التمايز في سبل اليقظة والنهضة الحديثة ، وأرادوا بـ « الخيار الغربي » في « التحديث » تأبيد تبعية أمتنا العربية الاسلامية للمركز الغربي والهيمنة الغربية .

وهكذا وجدت دعوات اليقظة الاسلامية وحركاتها وجماعاتها - منذ أواخر القرن التاسع عشر - أن التحديات والعقبات التي تواجهها وتجابهها ، قد أضيفت إليها خطر « التغريب » ، فكان عليها أن تبذل جهدا ملحوظا على الجبهة الحضارية ، لصياغة مشروع حضاري عربي إسلامي ، يكون دليل اليقظة الاسلامية إلى النهضة المستقلة استقلالا حقيقيا عن الحبائل والشراك التي صنعها ويصنعها الاستعمار على جبهة « فكرية التغريب » .

ومنذ تلك المرحلة أضيف هذا التصدي إلى المهام الأولى لليقظة الاسلامية .. مجابهة الجمود بالاجتهاد والتجديد .. والتصدي للغزوة الاستعمارية بالجهاد والتحرير . □



■ كلمة واحدة رقيقة أصغي إليها حيًّا ، ! خير عندي من صفحة كاملة كلها تمجيد ، في جريدة كبرى ، حينما اكون قَدْ مِتّ ودُفِنْت .

(فولتير)





استطلاعات

جسر بين الحضارات
صلاح حزين

بلاد النخيل والنرجيل
صادق ياسين

وللعلبة بالنباتات الطبية في الكويت
يوسف زعبلاوي

- أكذوبة الثقافة اليهودية — د. عبدالوهاب المسيري
- جسر من كلمات ونور — د. عبدالعزيز كامل
- المجهود العربي في العلوم الأساسية — د. أسامة الخالدي
- أزمة المديونية في العالم الثالث — نعوم ابراهيم عبود
- قضية التعريب في الجامعات السورية — أبو المعاطي أبو النجا
- الذكاء والذاكرة — د. فوزي اسماعيل الحسن
- السينما والأنواع الأدبية — محمد يوسف
- الشتاء النووي — د. سعود عياش
- الدلفين أفضل أصدقاء الإنسان — سمير شعبان
- امهات للايجار! — د. غسان حتاحت
- القيم الفكرية والجمالية في أعمال الفنان سامي محمد — محمد مزعل
- وجهاً لوجه: د. فاطمة المرنيسي وعلاء الدين محسن

د. محمد الرميحي - د. عيسى درويش - د. محمد موفاكو - د. محمد صادق زلزلة
د. سلمان قطابة - د. احسان صدقي العمد - د. محمد الكبرا - جار النبي الحلو



بقلم : الدكتور علي شلش

● لم يسمع كثيرون بابن حسون ، بل لقد نسي كثير من الباحثين أنه أول من أصدر صحيفة عربية في البلدان الأوروبية ، وأول من نظم الشعر المرسل ، وأول من ترجم شيئا من الأدب الروسي إلى العربية . لقد كانت حياته رحلة طويلة ، مليئة بالخلافات والاجتهادات ● .

لا بد للباحث في طوايا الصحافة والشعر العربيين خلال القرن الماضي أن يستوقفه اسم هذا الرجل الظريف المغامر . فهناك إشارات إليه في كتب تاريخ الصحافة والشعر ، وهناك أيضا بعض بقاياه الصحافية والشعرية في بعض مكتبات القاهرة ولندن . ومع أن ما كتب عنه قليل لا يغني الفتيل ، إلا أنه يتميز تميزا لا تتوفر لكثيرين . فهو أول من أنشأ صحيفة عربية خارج بلاد العرب ، وأول من نظم الشعر المرسل في أدبنا الحديث ، على عكس ما هو سائد في دراساتنا من نسبة أول محاولة نثرية لأحمد فارس الشدياق ، بل إنه أول من ترجم شيئا من الأدب الروسي إلى العربية ، ومع أنه لم يكن في حياته أوضع من ثار على علم - كما كان يتصور - إلا أن المصادفة وحدها قد أتاحت له أن يوضع في مكان الريادة ، والأمر الذي لا يحتمل شكا أنه لو كان ذا موهبة لتبدلت حاله ، لكن حظه المسعود منها هو الذي أطفأ ناره ، وأنزل عليه بسرعة ، حتى لم يعد باقيا منه اليوم سوى الريادة بمعناها التاريخي .

وبسبب هذه الريادة التاريخية سننظر في آثاره وأعماله ، لنرى أي نوع من الرجال كان ، وإلى أي مدى سارت محاولاته الصحافية والشعرية ، حتى استحق مكانة الرائد ثلاث مرات : مرة في الصحافة ، ومرة في الشعر ، وأخرى في الترجمة .

حياة قصيرة حافلة

لعل أهم مصدر عن حياته وأعماله المقال المطول الذي كتبه عيسى اسكندر المعلوف ، ونشره مسلسلا بمجلة « المقتطف » في القاهرة عام ١٩١٠ م ، ثم أعاد نشره فيليب دي طرازي عام ١٩١٣ م في الجزء الأول من كتابه الضخم « تاريخ الصحافة العربية » ، ففي هذا المقال ذكر المعلوف أن حسون من أصل أرمني ، هاجرت أسرته إلى حلب منذ قرنين ، حيث ولد عام ١٨٢٥ م ، وتعلم ، وأتقن الخط العربي ، ثم درس اللاهوت ، واللغة الفرنسية ، والتركية ، والأرمنية ، والعبرية ، فضلا عن الرياضيات ، « وكان نابغة في جودة حفظه وذكائه ، حتى أنه نظم الشعر وهو تلميذ في الثالثة عشرة من عمره ، وطاف في لندن ، وباريس ، وجهات مصر ، واستنسخ كتبا كثيرة ، ثم عاد إلى الأستانة » - كما يقول المعلوف -.

وكان بينه وبين أدباء عصره في سورية ، ومصر ، وتركيا ، مراسلات ومساجلات ومشاحنات ، ولا سيما مع أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) .

وفي الأستانة مال حسون إلى الصحافة ، فأنشأ عام ١٨٥٥ أول جريدة تصدر بالعربية في عاصمة الخلافة العثمانية ، وكان اسمها « مرآة الأحوال » . لكنها لم تستمر طويلا ، بسبب انتقاده للعثمانيين ، وتعرضه لبعض الساسة ، وبسبب هذه الصحافي - أيضا - تعرض للسجن بعد إغلاق صحيفته ، لكنه ما لبث أن نجح في الفرار من سجنه ، فيمّم وجهه صوب روسيا ، أصدق أعداء الدولة (العلية) العثمانية في ذلك الوقت ، وهناك « أطلق لسانه بالانتقاد على الحكومة » العثمانية ، كما يقول المعلوف أيضا ، ثم رحل من روسيا إلى فرنسا ، فانجلترا .

وفي الأخيرة أصدر مجلة اسمها « رجوم وغساق إلى فارس الشدياق » ، لم تتم أكثر من عددين ، في يومين متتاليين (٤ ، ٥ ، مايو) عام ١٨٦٨ م . وكانت - كما هو واضح من اسمها - مخصصة للهجوم على غريمه الشدياق الذي يقال إنه عاداه في الأستانة ، وألّب عليه سلطاتها ، وبعد توقف هذه المجلة أصدر صحيفة باسم « أل سلم » ، عام ١٨٧٢ م ، خصصها للمال والاقتصاد ، والتنديد بالأتراك ، والتقرب من روسيا ، ولكنها لم تدم طويلا كزميلتها ، فشغل نفسه بعدها بكتابة الشعر والترجمة ، حتى أعاد إصدار « مرآة الأحوال » عام ١٨٧٦ م أسبوعية سياسية ، ثم توقفت بعد أقل من عام ، وأخيرا أصدر مجلة أخرى عام ١٨٧٩ اسمها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » ، وكانت تصدر كل أسبوعين ، ويكتبها شعرا كما يقول المعلوف ، وبعد أشهر أخرى توقف عن نشاطه الصحافي ، وتفرغ إلى نسخ كتب التراث ، وتصحيح حروف الطباعة العربية في أوروبا ، ومساعدة بعض المستشرقين في تحقيق عيون التراث ، وقد توفي عن ٥٥ عاما سنة ١٨٨٠ م ، وقيل إن السلطان عبدالحميد بعث إليه من دس له السم في الشراب .

مرآة الأحوال في لندن

ذكر المعلوف أنه رأى العدد السادس عشر فقط من « مرآة الأحوال » اللندنية . ولكننا رأينا عددين منها بالمكتبة البريطانية في لندن ، فضلا عن ٢٥ عددا بدار الكتب في القاهرة في مجلد واحد ، يضم العددين (٢ ، ٢٤) الموجودين في لندن ، وهذه الأعداد الخمسة والثلاثون الأولى من الإصدار الثاني للجريدة في لندن . أما أعداد الإصدار الأول في الأستانة ، وكذلك أعداد الصحف الأخرى التي أصدرها في لندن ، فلا توجد في القاهرة ، ولا في أوروبا ، ولا أدري إن كان قد بقي منها شيء في بيروت أم لا ، لكن المفروض أن دي طرازي قد اطلع على بعضها حين أرخ لحسون وصحفه في كتابه الضخم .

وقد صدر العدد الأول من « مرآة الأحوال »

اللاتينية في ١٩ أكتوبر ١٨٧٦ م . وكانت أول جريدة عربية تصدر في بريطانيا ، وقد صدرت في أربع صفحات من قطع نصف الجريدة العادية المعروف (التابلويد) ، وكان اسمها يتصدر رأس الصفحة الأولى بخط كبير ، تلي تحته ، بخط أصغر ، عبارة « في السياسة والأخلاق » ، وعلى يمين الاسم درج حسون على نشر ما يوازي خمس عامود بمتوالات « شروط الاشتراك » مع عنوان الجريدة في لندن ، ثم يظهر أسفل الاسم سطر بعرض الصفحة ، أشبه بقفل لبيانات الجريدة ، تليه الأعمدة الثلاثة التي تتألف منها الصفحة ، بقياس نحو ١١ سنتيمترا لكل عامود ، ويسري هذا التصميم على أعمدة الصفحات الثلاث الباقية ، باستثناء بداية الأعمدة من أول الصفحة .

في شارع الصحافة

صدرت الجريدة في البداية في أحد شوارع حي غرب لندن ، المعروف حاليا عند السياح ، ثم انتقلت إلى شارع آخر مشهور هو « ستراند » ، ابتداء من العدد ١٥ في ٢٥ يناير ١٨٧٧ م ، حتى تكون « بجوار جميع الصحف (الجرنالات) الانكليزية الشهيرة ، وليسهل تناول كل ما يناط بها » كما يقول حسون ، فشارع ستراند هذا امتداد لشارع فليت ، أو « شارع الصحافة » المعروف .

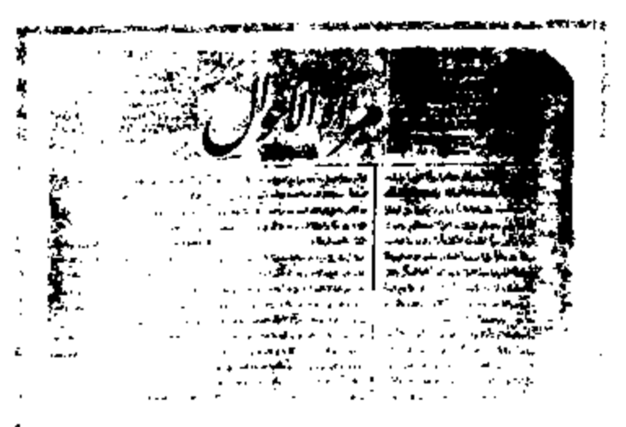
وكان حسون يكتب أعداد الجريدة في البداية بخطه الجميل ، ويطبعها على الحجر ، ثم بدأ في صفّها بحروف أعدها وحسنها بنفسه ، وكان يطبعها أيضا على ورق سميك نسبيا ، ثم تغير الورق ابتداء من العدد ١٨ في ١٥ فبراير ١٨٧٧ م إلى ورق خفيف ، كي يسهل شحنها في القالب ، بل كان حريصا على إخراجها بشكل لائق ، ولا سيما حين درج على كتابة موادها بالخط ، فهو يترك فراغات بيضاء بين الموضوعات والأخبار ، ويستخدم العناوين أحيانا ، أو الفواصل السطرية أحيانا أخرى ، دون عناية بأدوات الترقيم مثل الفاصلة أو الفواصل .

ومن الواضح أن إصدار صحيفة عربية في لندن في ذلك الوقت لم يكن أمرا سهلا ولا مربحا ، ولا بد أن حسون كان يقوم بأعمال المحرر والخطاط والطابع والموزع ، ومع ذلك كان يساعده في تحريرها والترجمة لها بعض معارفه وأصدقائه ، مثل لويس صابونجي ، وعبدالله مَرّاش اللذين هاجرا من الشام إلى لندن حينذاك واحترفا الكتابة والصحافة .

استهل حسون افتتاحية العدد الأول مشيرا إلى عهد الصحيفة الأول بقوله : « مرآة الأحوال كانت فيما قد سلف تنشر كاسمها ، مرآة تتجلى فيها حقيقة الأحوال ، وفعال الرجال ، إن صالحة فصالحة ، وإن طالحة فطالحة ، فكانت بها أصحاب السيف ، ونصبوا لها فخاخاً ، وما برحوا يمكرون ، حتى توصلوا إليها عمداً بغيهم وعدوانهم ، فعطلت زمنا عن كشف مظالمهم ، واتخذت طريقها في البحر سرباً ، تطلب عند الانكليز مأمنا ، وقد جعلت الحرية لها شعارا ، لا تنتقد أحدا ما لم يأت منكرا ، ولا تمدح أحدا ما لم يحسن العمل ، تقول بلسان حالها لأولياء الأمور : من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

ثم تحدث عن برنامج الجريدة ، وخطتها ، وكيف أنها لن تنشر الأخبار الأوروبية إلا بعد غربلتها ، لتنشر الملائم منها ، مرة كل أسبوع ، فضلا عن نبذة وافية عن أسعار البضائع ، كما تحدث عن أسلوبها فقال : « ومعولنا في كتابة هذه الصحيفة على اللغة المألوفة ، والاصطلاح ، يشترك فيه الخواص والعوام ، لأن الغلط المشهور خير من الصواب المهجور ، لا سيما في مواد التجارة » .

وعلى هذه الخطة سار حسون في صحيفته ، وإن كان قد ركز على أحوال الدولة العلية ومصر ، فلم يخل عدد من الأعداد الخمسة والثلاثين من التنديد باستبداد الأتراك ، وظلم الولاة العثمانيين



النصف العلوي من العدد الأول لمرآة الأحوال في لندن

لرعاياهم ، ولا سيما في الشام ، بل إنه نشر ترجمة كاملة للدستور العثماني الذي وضعه مدحت باشا عام ١٨٧٦ م ، وعلق عليه تعليقا مادحا . ثم هاجمه بدعوى أنه وضع على غير أساس ، لأن الدستور في رأيه أشبه بسقف البيت ، ولا يمكن أن يوضع السقف على غير أساس أو جدران . وكان في الوقت نفسه يثني على روسيا وقيصرها ، نكاية في الأتراك ، ويهاجم الخديوي إسماعيل ، منددا بإسرافه ، وتجريده حملات عسكرية إلى أفريقيا بغير طائل ، أو استخدامه الرقيق في حرث أراضيه بدلا من الحيوانات ، وتدخله في التجارة ، وتعطيله تجارة الأهالي . ويبدو أنه كان يحصل على معظم أنبائه العثمانية والمصرية عن طريق معارفه وأصدقائه في الأستانة والقاهرة . وكان ينقل أخبارا كثيرة من الصحف البريطانية ووكالة (رويتر) .

ومن الأخبار التي كان ينشرها ، ويحررها بطريقته الساخرة الركيكة خبر في ٢ نوفمبر ١٨٧٦ م ، هذا نصه .

« كثر موت المواشي في الإقليم المصري ، حتى أن ولي عهد الحكومة والوزراء والمأمورين استعاضوا بجمهورات الخيل حميرا ، وتنوعوا في الحمار ثمنا لفراهيته وخفته ، والبهيمة بحملها ، وعلت سوق النواهق وثمنها على ما أخبر (الدايلي نيوز) الصحيفة الإنجليزية المعروفة حينذاك) بتاريخ أمس من ستين ليرة (كانت الليرة تعادل جنيها استرلينيا) إلى مائة ليرة ، والراغب يزيد فيما يريد »

وتوقفت مرآة الأحوال

في العدد ٣٥ الصادر في ٦/ ٦/ ١٨٧٧ م أعلن أنه « تخلصا من مشقة الطبع بالليثوغراف ، وإجابة لطلب الأكثرين من المشتركين ، وإنجازا لوعدنا المتقدم ، قد عولنا على طباعة المرآة بالحروف » ، ثم

أعلن انقطاع الجريدة عن الظهور استعدادا لتلك الفترة ، شهر أسبوعين أو ثلاثة ، مع تعويض المشتركين بحساب ٥٢ عددا في السنة . « والقول - كما يقول - أما سدّي بالمعروف طاعة تشرح الصدر ، والخاطر ، وتقي من الكلال الفاتر » .

ولكن يبدو أن حلمه لم يتحقق ، فسرعان ما أوقف الجريدة ، وفسّر ذلك - فيما بعد - بقوله : « صدّني - وقاكم الله - ضعفٌ عن القيام بكتابة مرآة الأحوال ، وامتنع تصديرها بحروف الطباعة لما تقتضيه علاوة أضعاف النفقة التلغرافية . ولم يزل محلّ المرآة رهن تقفيها » . ومعنى هذا أن سر توقفها كان نقص المال ، مما ينقض فكرة أنه كان عميلا للروس ، فلو كان الأمر كذلك لقام هؤلاء بدعم الجريدة ، لا سيما بعد أن دخلوا - عام توقفها - في حرب مريرة ضد السلطان عبدالحميد ، لكن هذا لا ينفي بالطبع إمكان مساندته ماليا من جانب بعض أثرياء عصره ، ولا سيما السيد برغش ، سلطان زنجبار الذي مدحه في الجريدة أكثر من مرة .

الشعر في الأزمات

كان الشعر ملجأ رزق حسون في الأزمات ، أو النكبات على حد تعبيره ، ولا سيما ، في الحنين إلى أولاده الذين تركهم في الأستانة ، وقد ذكر المعلوف أنه ترك سبعة مؤلفات ما بين مطبوع ومخطوط ، منها ثلاثة كتب ، ورسائل مختصرة في السيرة الهجرية ، والطباعة العربية ، والأربعة الباقية دواوين شعرية ، لكن أحد هذه الدواوين ليس له ، وهو « ديوان حاتم الطائي » الذي استنسخه عن مخطوطة قديمة ، وطبعه بخطه في لندن من ٣٢ صفحة عام ١٨٧٢ ، وأصدر أيضا ، بعنوان « النفثات » ، طبعه في لندن عام ١٨٦٧ م ، وعرّب فيه ٤٩ حكاية شعرية للشاعر الروسي كريلوف ، كان قد وضعها على طريقة (بيدبا الفيلسوف الهندي) في « كليلة ودمنة » ، ولافونتين الفرنسي في « خرافات عيسوب » ، ثم أضاف حسون إلى حكايات كريلوف بعض قصائده هو في الوصف والمدح والشكوى وهجاء الشدياق ، حتى أن الأخير قال فيه : « كان حسون لصا ، وله سرقات فأصبح عبلا وله نفثات » .

وقد اطلعت بجامعة لندن على نسخة من الطبعة الأولى لهذا الديوان ، وكذلك على نسخة من الطبعة الأولى لديوان آخر بعنوان « أشعر الشعر » ، ظهر في لندن عام ١٨٦٩ م ، وفيه نظم فصلا من سفر أيوب ، ونشيد موسى ، وسفر الجامعة ، ونشيد الأنشاد ، ومراثي أرميا ، ويبدو أن عقيدته الدينية كانت قوية ، وأن محنه وغربته قد ضاعفتا ورعها ، فهو يذكر في مقدمة هذا الديوان أنه نظم سفر أيوب أيام اعتقاله في الأستانة . والديوان كله يقع في (١٣٦) صفحة من القطع الكبير ، غير مرقم الصفحات ، مكتوب بخط حسون الجميل ، وعلى صدره إشارة إلى أنه « سُجِّل في الديوان الملوكي (أي أنه أعلم للملكة فيكتوريا في ذلك الوقت) في لندن المحمية ، وحُرِّمت طباعته على الناس كافة ، إلا بإجازة من ناظمه » ، وعلى الصفحة الثانية بعد الغلاف - المجلد بالجلد - عبارة تقول : « هذه النسخة بخط الناظم ، طبع منها مئة وإحدى ليس غير ، يختم بها الأسياد ، ويعطيها الأصدقاء » . وفي هذا الديوان - أيضا - أورد حسون تجربته الرائدة في الشعر المرسل ، ولكن قبل أن نعرض منهما يحسن أن نعرض لديوانه السابق « النفثات » ، لنرى إلى أي مدى أهلته خبرته الشعرية لخوض هذه التجربة .

كان « النفثات » أول أعماله الشعرية المنشورة ، وفيه شغلته مشكلة القافية إلى حد كبير ، حين حاول ترجمة حكايات كريلوف شعرا عربيا ، ويبدو أن الأصل الروسي لهذه الحكايات كان منظوما على هيئة مقطوعات ، وهذا ما أسلمه حسون في ترجمة الحكايات إلى شكل شعري عربي ، حتى يتيح لنفسه التخفف من رتابة القافية الواحدة ، والاقتراب من استرسال الحكايات ، فلجأ إلى المراوحة بين البحور الكاملة والمجزوءة من جهة ، والمراوحة بين القوافي من جهة

أخرى . ومن أمثلة ذلك استخدامه للمزدوجة والثلاثية والرباعية . وبالرغم من ركاكة تعبيره الشعري نحواً وصرفاً ووزناً نورد هنا جزءاً من حكاية ترجمها بعنوان « بستاني وجار » ، وفيه يقول :

« جُنَيْنة لنزهة النظار
تشقها جداول الأنهار
محفوفة بالورد والأزهار
محدقة بالكَرْم والأشجار
من سائر الأعناب والأثمار
وسلطة العصفور والغربان
تستهلك الغلّة بالمقدار »

ثم تمضي الحكاية على هذا النحو كالموشحة ، ولكنها تتفاوت في مستوى النظم والاجادة

بين المرسل والعمودي

ومن الطريف أن هذا السعي وراء شكل يناسب الشعر الروسي لا يلبث في قصائد الديوان التي تنتمي إلى حسون نفسه – ١١ قصيدة – أن يختفي ، ويحل عنه التزام كامل بالوزن والقافية الواحدة . وكأنه يسعى إلى التجديد عند الترجمة وحدها . وهذا ما نجده أيضاً في ديوانه الآخر ، « أشعر الشعر » الذي حل تجربته في الشعر المرسل . فهو صياغة شعرية تقليدية لسفر أيوب ، مع بعض أجزاء من أسفار أخرى من « العهد القديم » ، باستخدام القصيدة المرسلة القافية .

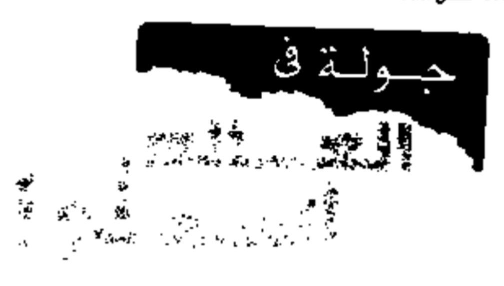
جاءت تجربته في الشعر المرسل – على أي حال – وسط تجارب أخرى ، اتبع فيها تجاربه في الديوان السابق في المزدوجة والرباعية وتصريع الأبيات ، أي توحيد القافية في شطري البيت الواحد ، فضلاً عن المراوحة بين القوافي . أما في الفصل رقم ١٨ من سفر أيوب هذا فقد بلغ على يد حسون ٢١ بيتاً ، جاءت على لسان (بِلْدَد) الشوحي كما في أصل السفر ، ويستهل الفصل بقوله (بغض النظر عن الركاكة) :

كم لكلام واضمروا أشراككم
تعقلوا ولنتكلم بعد ذا
نّا حُسِبْنا مثل بهيمة وفي
عيونكم صرنا مُنَجَّسينا
يا من غدا في غيظه وسخطه
لنفسه مفترساً مستهلكا
هل من جراك الأرض تعرى تخلى
والصخر عن مكانه يزحزح

وعلى هذا النحو الضعيف يمضي في نظمه ، حتى البيت الحادي والعشرين . ومن الواضح أن النص كله لا ينم عن موهبة بارزة ، وإنما يمكن أن تعد قيمته تاريخية ، فهو أول محاولة لإرسال القافية في شعرنا الحديث ، بالرغم من ضعف وضوح خصائص الشعر المرسل المعروفة في الآداب الأوروبية ، بل إن العنصر القصصي أو الدرامي فيه قد أخذ الشاعر بحرصه على حبس معنى كل بيت داخل شطريه ، دون جريانه عبر البيت التالي ، مما أضعف الوحدة العضوية في النص كله فمن السهل تغيير موضع الأبيات ، وترتيبها دون إضرار ببنية النص الدرامية ، وإذا جاز ذلك في الشعر الغنائي فلا يجوز في الشعر المرسل .

وإذا كانت الريادة تتطلب الوعي بالتجديد والالحاح على الابتكار ، لا مجرد التعبير عن نزوة عابرة ، كما حدث مع الشدياق في تجربته المرسلة غير الناضجة عام ١٨٥٥ م ، أو مجرد التعبير عن رغبة لتجديد كما حدث هنا ، فإن ما فعله حسون في النهاية قد انتظر نحو ٣٥ سنة ، حتى جاء من هو أكثر منه موهبة ، ففي عام ١٩٠٦ نشر الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي قصيدة مرسلة القافية ، فدفع بتجربة الشعر المرسل في العربية خطوة إلى الأمام .

غير أنه يبقى لرزق الله حسون الحلبي فضل الريادة التاريخية في هذه الجبهة ، كما في جبهة الصحافة خارج بلاد العرب ، وترجمة بعض الأدب الروسي إلى العربية ، وهي ريادة قد توضح اسمه في الأذهان ، وإن كانت لا تجعل منه ثائراً على علم ! □



بقلم الدكتور سمير رضوان

كلما أمعنا الفكر في عالمنا بصراعاته ومخالفاته ، ترسخ يقيننا بصحة القول الشائع : « لاجديد تحت الشمس » . فاذا ما دققنا النظر في العالم السفلي تحت أقدامنا ، لن يسعنا الا أن نضيف : « ولاجديد تحت سطح الارض . » .

ربما لايخطر على بالك وأنت تطأ الأرض بقدميك ، أن تحت كل قدم منهما عالما بل عوالم ـ كاملة من الأحياء تتجاوز في أعدادها مجموع ما على الأرض من بشر بملايين الأضعاف ، أحياء تسعى في سبيل الرزق وتتكاثر او تتعاون فيما بينها . وتتصارع ، وتموت وتفنى ، أحياء تتباين كثيرا في أساليب حياتها ، وفي أحجامها وأشكالها ، منها المسالم الوديع والعدواني الشرس ، منها مايعتمد في حياته على مجهوده الذاتي ، ومنها مايسطو بخبث على مجهودات الآخرين . ولسوف أصطحبك ـ لدقائق معدودة ـ في جولة تحت أديم الثرى لتشاهد من أسرار الوجود مالايقل اثارة عما تشاهده فوق الأرض . هلم بنا الى مركبة تبلغ في دقة حجمها أن ألفا منها لاتكاد تشغل مساحة النقطة التي تأتي في نهاية هذه الجملة . فليس بامكاناتنا ـ الا بمركبة دقيقة كهذه ـ أن نتجول في العالم السفلي بسهولة ويسر .

ربوع العالم السفلي

أول ماسوف يسترعي انتباهك في هذه الجولة هو أن أحياء التربة يوشك وجودها أن ينحصر في الطبقة السطحية التي لاتتجاوز في سمكها حوالي ثلاثين سنتيمترا . كما سوف تتبين أن هذه الطبقة الرقيقة من سطح الارض ليست مصمتة كما قد تبدو في ظاهرها . وسوف تجد نفسك محاطا بعدد لانهائي من حبيبات التربة التي تتباين كثيرا في أحجامها . فمنها الدقيق الذي لايتجاوز قطر الحبيبة منه قطر المركبة

التي نحن بداخلها ومنها الكبير الذي يبلغ الألف هذا القدر . ومهما كان حجم هذه الحبيبات ، فهي جميعا تتشابه في مادتها الكيميائية ، اذ تغلب فيها مادة ثاني اكسيد السيليكون ، وهي المادة التي يتكون منها الرمل . ودروب العالم السفلي لاتعرف الطرق المستقيمة الا نادرا ، بل هي في الواقع مجموعة من المنعطفات والمتعرجات والكهوف . فالتركيب الشبكي المذكور تتخلله فراغات ودهاليز صغيرة وكبيرة لا أول لها ولا آخر ، وتحتل هذه الدهاليز نصف مجموع حجم التربة تقريبا ، وهي تحتوي على الهواء والماء . ولسوف نشعر بشيء من الاختناق داخل هذه الفراغات كما سوف تضايقك روائح كريهة تنبعث من هنا وهناك ، ذلك لأن محتوى هواء التربة من الاكسجين قليل بينما ترتفع نسبة ثاني اكسيد الكربون مرتفعة . اما الروائح الكريهة فسببها غازات مثل كبريتيد الهيدروجين الذي ينتج من أنشطة احياء كثيرة في التربة . وعلى ذلك يمكنك



أن تتصور أن احياء العالم السفلي يعانون بصفة دائمة من نقص الاكسجين . ولسوف يبدو لك أن حبيبات التربة الدقيقة تغلف كلا منها طبقة رقيقة للغاية من الماء المذاب ، فيه كثير من المواد العضوية وغير العضوية التي تصلح كغذاء لأحياء التربة . وحتى لو جفت التربة لفترات طويلة واندفع الهواء في دهاليزها المظلمة تظل حبيبات التربة ممسكة بطبقات الماء من حولها بقوة . وأحياء التربة لاتبتعد كثيرا عن حبيباتها لتبقى قريبة من هذا المورد الغالي . تماما كما تعيش الاحياء فوق سطح الارض قريبا من مصادر المياه والغذاء . وهناك على البعد ترى اسطوانة ضخمة ملساء تخترق طبقة التربة لمسافة كبيرة وتلتصق بهذه الاسطوانة مباشرة أعداد لاحصر لها من أحياء التربة . وهي تشبه أحد الواحات الخصبة التي تعج بالبشر في قلب صحراء قاحلة ، وما هذه الاسطوانة الملساء سوى أحد جذور النباتات الراقية يقوم بفرز مواد كيميائية كثيرة تمثل وليمة شهية للكائنات الدقيقة الحية وفي جولتنا ترى كتلا عديدة ، داكنة اللون ، مختلفة الحجم هي في الواقع مواد عضوية في أطوار مختلفة من التحلل . هذه الكتل كانت أجزاء من نبات مات ، أو دودة ، أو بقايا اوراق وفروع ، سقطت في التربة . هذه الكتل هي الاخرى تمثل واحات غنية تعج بآلاف الملايين من سكان التراب .

الساكنون تحت التراب

اذا أمعنت النظر ، فسوف تتبين أن ألوان الأحياء تحت سطح الارض تتباين كلما تعمقت في التربة ، فهي على السطح مباشرة خضراء فاقع لونها . أما أسفل ذلك بمليمترات معدودة فمعظم الاحياء خضراء مشوبة بزرقة ، واذا تعمقت الى مستوى الظلمة التامة اختفى اللون الأخضر من الاحياء تماما ، وكانت في معظمها عديمة اللون ، أو مصفرة ، أو داكنة . ولسوف ترى أن سكان التراب يشبهون الاحياء فوق التراب في أنهم ليسوا في الواقع

سوى مجموعات من النباتات والحيوانات المختلفة ، ولكن يميزها جميعا أنها مخلوقات صغيرة للغاية ، والحقيقة أن أصغر الأحياء على الاطلاق هي التي تعيش في جوف التربة ، بينما أضخمها على الاطلاق - كما هو معروف - هو الحوت الذي يعيش في المحيطات . ويقتصر تركيب الفرد الواحد من سكان التراب - في الغالب - على خلية واحدة ، قد تصل دقتها الى حد أنك لو صففت ألفا منها جنبا الى جنب لما جاوز هذا الصف مليمترا واحدا . والطحالب والبكتريا الخضراء المزرقة هي أكثر سكان التراب شبها بالنباتات الراقية ، حيث تقوم جميعا بعملية التمثيل الضوئي . لذلك فوجود الطحالب والبكتريا الخضراء المزرقة ينحصر في المليمترات العليا من التربة حيث يتوفر الضوء . ويمكنك رؤيتها كمساحات خضراء على سطح التربة اذا ظلت مبللة لأيام عديدة متتالية على أن هذه الأحياء الخضراء قد يندفع بها دفعا الى جوف التربة حيث الظلام انظر مثلا : هاهي دودة الأرض تحفر أنفاقها حافلة في التربة ، وما أن تبلغ السطح حتى تلتصق أعداد غفيرة من الأحياء الدقيقة الخضراء بسطحها وتشاطر الدودة رحلتها مرة أخرى الى الأعماق ، وتحتك سطحها بحبيبات التربة فتكسر الخلايا الخضراء على أعماق متفاوتة ومعظمها يموت في هذه الظلمة ، ويصبح طعاما لأحياء أخرى والقليل منها يحمله القدر مرة أخرى الى السطح حيث الضوء . والطحالب هذه غذاء شهي لكثير من سكان التراب ، مثلما يأكل الانسان والحيوانات العشبية نباتات خضراء . أما الحيوانات من سكان التربة فنعرف منها بالحيوانات الأولية . ويتكون كل فرد منها أيضا من خلية واحدة على أنها من أكبر خلايا أحياء التربة نسبيا . وتعيش معظم الحيوانات الأولية في التربة على حساب أحياء أخرى . تماما كما تعيش الحيوانات فوق سطح الأرض على حساب أحياء أخرى هناك . وتفترس الحيوانات الأولية أساسا الطحالب والبكتريا ، انظر الى خلية الحيوان الأولي كيف تقترب من فريستها الدقيقة وتلفها في تجويف صغير يزداد عمقا حتى تصبح الفريسة في جوف خلية الحيوان الأولي كلية ، ثم ها هو يفرز أنزيمات يهضم الفريسة ، ويمتص منها غذاءه ثم ينقبض ليلفظ مخلفات الفريسة الى الخارج مرة أخرى ، وكما ترى لا يختلف الأمر كثيرا عما يحدث فوق سطح الأرض .

ومن سكان التراب أيضا البكتريا والفطريات ، أما البكتريا فهي أصغر أحياء التراب حجما ، وأوفرها على الاطلاق عددا ، فقد يحتوي الجرام الواحد من التربة على ما يزيد عن ألف مليون خلية بكتيرية ، كما أنها تتباين في أنواعها ، ومعظمها - أحياء مسالمة لا علاقة لها بالأمراض الوبائية ، ورغم صغر أحجامها الا أنها أنشط أحياء التربة قاطبة - وهي المسئولة عن تحلل معظم المواد العضوية في التربة ، فتلعب بذلك دورا حاسما في خصوبتها . أما الفطريات فمعظمها كائنات خيطية الشكل - خيوطها منطرحة بكثافة في التربة الغنية ، وألد أعدائها أنواع البكتريا التي كثيرا ما تهاجم خيوط الفطريات في مناطق ضعيفة منها . وتسطو على ما بداخلها من مادة عضوية فيموت الفطر . فلا تتعجب حينما تشاهد أن الفطريات سرعان ما تنتج وحدات جرثومية مستديرة جدرانها تستعصي على التحلل - وتكمن المادة الحية بداخلها بمجرد نفاذ المادة العضوية من التربة ، تاركة كل خيوطها الواهية طعاما لبكتريا التربة وحينما تتحسن الظروف ، تنمو الوحدات الكامنة مرة أخرى على شكل خيوط الى أجل مسمى . ولا تحسبن أن الفطريات كائنات مسالمة تجاه باقي أحياء التربة ، فلو أمعنت النظر هناك لرأيت احدى الديدان الاسطوانية الضخمة وقد ساقها سوء حظها الى شبكة فطرية معقدة ، فتعثرت - مثلما تتعثر الحشرات في خيوط العنكبوت ، وها هو الفطر يمد خيطا غائصا في جسم الدودة ليحقن داخلها مادة تشل حركتها تماما ، فتصبح وجبة شهية له . وفضلا عن هذ

الأحياء الدقيقة تحتوي التربة على أنواع مختلفة من الحشرات والديدان وكلها ـ من وجهة نظر التطور ـ كائنات أرقى مما ذكرنا من سكان التراب الأخرى .

أحياء تأكل وتتنفس وتتكاثر

ولسوف يخيل اليك ـ أثناء جولتنا ـ أن معظم سكان التراب لايأكل . فالصورة التي تعرضنا لها من قبل ، والتي شاهدنا من خلالها حيوانات اولية تلتهم احياء اخرى دقيقة ، أو حتى مواد عضوية غير ذائبة ، تلك الصورة ليست في الواقع اكثر اساليب التغذية شيوعا بين أحياء التربة . بل الشائع أن تنتشر المادة الغذائية الذائبة في الماء خلال أغشية الخلايا الى الداخل ، دون حاجة الى أن تلتهم الخلايا غذاءا صلبا . هكذا تتغذى البكتريا والفطريات والطحالب . أما الطحالب فتمتص من الخارج العديد من الاملاح غير العضوية اضافة الى ثاني اكسيد الكربون الذي تصنع منه جميع المواد العضوية التي يدخل في تركيبها ـ تماما كما تفعل النباتات الراقية . وعلى ذلك فهذه الأحياء تمثل مصدرا اساسيا للمادة العضوية اللازمة لاحياء اخرى في التربة الفقيرة مثل تربة الصحراء أما حيوانات التربة الأولية ـ فكما شاهدنا ـ تلتهم طعامها كما تفعل الحيوانات الراقية ، منها مايلتهم الطحالب ومنها مايلتهم البكتريا ، ومنها مايلتهم كتل المادة العضوية الصغيرة الميتة . وسوف نتبين أن كل نوع من الحيوانات الاولية يستسيغ نوعا واحدا أو انواع قليلة من الكائنات الاخرى . أليس هذا نفسه مايحدث فوق سطح الارض ؟ حيث لاتأكل الحيوانات كل مايصادفها من عشب ، انما تأكل صنفا وتعرض عن ذلك . وهناك القليل جدا من الحيوانات الاولية التي تتغذى بأسلوب مشابه لاسلوب البكتريا والفطريات حيث تنتشر المادة الغذائية الذائبة خلال أغشيتها الى داخل الخلايا وقد يبدو هذا الاسلوب بسيطا في مظهره ، ولكنه في الواقع غاية في التعقيد ، فالأغشية الخلايا تتحكم من خلال آلية معقدة في نوعية المواد التي يسمح لها بالمرور الى الداخل . فتسمح للمواد المفيدة وتحول دون مرور المواد الضارة . وأحياء التربة تتنفس كما تتنفس الاحياء فوق سطح الارض . فهي تأخذ الاكسجين لتحرق به المادة العضوية . فتتوفر الطاقة اللازمة لشتى أنشطتها ، ثم انها تطرد ثاني اكسيد الكربون الى الخارج ، وهي ليست مزودة بفتحات تنفس خاصة مثل الأحياء الراقية ، ذلك لأنها تتنفس الاكسجين الذائب في الماء والذي ينتشر خلال أغشية الخلايا كما تنتشر المواد الغذائية . وهناك احياء في التربة تستطيع توليد الطاقة في غياب الاكسجين . وهذه قدرة يندر أن تتوفر للاحياء الراقية فوق سطح الارض . ولسوف يخيل اليك أن أحياء التربة لاتمارس الاتصال الجنسي كأسلوب للتكاثر كما يحدث فوق الارض . فمعظم الاحياء تتكاثر بالانشطار البسيط أو من خلال انتاج براعم صغيرة سرعان ماتكبر . كما أن الفطريات الخيطية يكفي أن ينفصل جزء منها كي ينشأ من هذا الجزء فرد جديد . وهذا هو مايعرف بالتكاثر اللاجنسي ـ وهو هذا الأكثر شيوعا بين سكان التراب ، على ان التكاثر الجنسي يحدث ايضا في بعض الانواع بأساليب مختلفة ، ليس هنا مجال التعرض لها .

أحياء تتعاون وتتحالف

سوف ترى اثناء جولتنا أن الكثيرين من سكان التراب يتعاونون فيما بينهم تعاونا يحسدهم عليه الاحياء الراقية . وتوشك ان تعتقد ان عالمهم هو عالم السلام الدائم بيد أنه ليس كذلك . وتعاون سكان التربة ضرورة لازمة لبقاء هذه الأحياء في مثل هذه البيئة القاسية حية وقادرة على التناسل . وصور التعاون كثيرة فيما بينها تكاد تكون مماثلة لها . هل شاهدت اثناء رحلة بحرية طيور النورس وهي تلازم السفينة لتلتقط مايلقي به البحارة من مخلفات الطعام ؟ وهل

رأيت القطيها من الذئاب أو من الجراد لين أوى وهي تتربص صابرة حتى يفرغ سبع من التهام مايشبعه من فريسة صادها قوة ، وما ان يمضي حتى تنقض هذه القطعان من كل اتجاه ، والطيور الجارحة من السماء على بقايا الفريسة ، فتأتي عليها ؟ أليس النظر جيدا لهذه الصورة المتكررة من حولنا في جوف التربة كثيرا ، فها هي بكتريا وفطريات قوية تنقض على مواد عضوية معقدة التركيب مثل السليلوز والبروتينات وغيرها ، فتهضمها وتحللها الى مواد عضوية بسيطة التركيب تستهلك جزءا منها كغذاء . وهناك خلف حبيبات التربة أنواع اخرى من بكتريا وفطريات لاتقوى على هضم المواد المعقدة فتأخذ نصيبها من المواد العضوية البسيطة التي أنتجتها الاحياء الاقوى . وهناك صورة اخرى جميلة للتعاون بين بكتريا التربة لتوفير الحاجات الغذائية ايضا . فمعظم البكتريا التي تحيى في التربة ينبغي أن تحصل على واحد أو اكثر من الفيتامينات المعروفة والا هلكت ، على انها تستطيع ان تنتج بنفسها كل الانواع الاخرى من الفيتامينات . وتختلف انواع البكتريا في كم الفيتامينات التي تحتاجها ، وتلك التي تستطيع صنعها . ولكنها في مجموعها معا تتضافر لتغطي حاجات بعضها البعض من الفيتامينات المختلفة . فما يعجز هذا النوع البكتري عن صنعه يزوده به نوع آخر ، ويأخذ منه بالمقابل ما لا يستطيع هو انتاجه وهو اسلوب يشبه مايحدث فوق سطح الارض بين بني الانسان ، حينما تعقد الدول صفقات تجارية لتبادل السلع بمقتضاها . ومن صور التعاون ايضا ان تستهلك احياء هوائية الاكسجين في مناطق صغيرة في التربة ، فتهيء بذلك الظروف لحياة بكتريا لاهوائية يقتلها الاكسجين ، تبقى في حضنها لاتغادره . كذلك تفرز بعض الاحياء أحماضا عضوية تهيء درجة من الحموضة اللازمة لحياة أحياء اخرى . كما ان هناك بكتريا وفطريات تتغذى على مواد سامة في التربة فتقتل بذلك انواعا اخرى كانت

هذه السموم لاشك ستقتلها . وثمة صورة اخرى للتعاون أكثر بين سكان التربة تعرف بالتكافل . وفيها يرتبط فردان مختلفان من الاحياء ارتباطا حيا لا ينفصم مدى الحياة ، ورواضح انهما ما اجتمعا الا على خير ، اذ انهما يتبادلان في هذه الرابطة منافع لايستقيم حياة أي منهما بدونها . خذ مثلا التكافل بين انواع من الطحالب وأخرى من الفطريات ، ينتج الطحلب - خلال التمثيل الضوئي - مايكفيه ويكفي الفطر من مادة عضوية ، أما الفطر فيحتضن الطحلب في حنان موفرا له الحماية والأمان ، ويزوده بالماء والاملاح غير العضوية اللازمة لنموهما . وروابط تكافلية اخرى عديدة ، مثال ذلك روابط بين حيوانات اولية وبكتريا ، وفيها يلتهم الحيوان الاولي خلية بكترية ويخيل اليك انه فتك بها ، لكنه لايهضمها انما يهيء لها مسكنا مريحا في جوفه ويزودها بكل ماتحتاجه من غذاء واكسجين في مقابل أن تنتج البكتريا مايكفيها ويكفيه من بعض الفيتامينات ، وهناك امثلة لاحصر لها من هذه العلاقات التكافلية واسعة الفنون ، وان كان العلماء لم يتوصلوا بعد الى كنه المنفعة المتبادلة في كثير منها . هذه العلاقات التكافلية - مازالت موجودة - لكنها مع الأسف لم تعد شائعة بين الاحياء فوق سطح الارض . وقد تتكافل أحياء التربة الدقيقة مع نباتات راقية وبالتحديد مع جذور نباتات العائلة القرنية كالفول وفول الصويا والبرسيم وغيرها . انظر الى تلك الخلية البكترية العصوية الشكل التي تقترب بحذر من شعيرة جذرية لنبات الفول ، ولاحظ كيف ترحب الشعيرة بها متجاهلة كل هذا الكم الغفير من خلايا البكتريا الاخرى القريبة منها . وأوضح صور هذا الترحيب هو ذلك الانبعاج الى الداخل الذي تحدثه الشعيرة عند طرفها ، وكأنها تدعو هذه الخلية للدخول . وهاهي خلية البكتريا تلبي الدعوة الكريمة وقد افرزت الشعيرة بافرازات من مواد غذائية شهية لاتستطيع البكتريا مقاومتها . ثم الانبعاج الى الداخل يزداد

جحفا ، فيتكون نفق طويل داخل انسجة جذر النبات تملؤه الخلية البكترية فيه حتى نهايته فتجعد انسجة الجذر وقد تتشكل على صور عقد وغير ، يحيط بها من جميع الجهات ويوفر لها كل اسباب الراحة والغذاء . فيطيب لها المقام هناك فتتكاثر وتنمو انسجة الجذر من حولها لتكون العقدة التي نراها بالعين المجردة على جذور الفول . ومع ان الخلايا البكترية في هذه العلاقة التكافلية الا ان تنتج انزيما خاصا بها يساعد في تثبيت النيتروجين الغازي في التربة في صورة مادة عضوية نيتروجينية تكفيها وتكفي النبات مدى الحياة . ومن أعجب انماط التكافل في التربة تلك العلاقة القائمة بين نوع من النمل ونوع من الفطريات انظر الى ذلك القبو الصغير في احد اركان خلية النمل ، ولاحظ أن النمل قد شغل بجمع اجزاء من ورق نبات معين يستخدمه لتغذية الفطر . والغريب أن الفطر لاينمو الا على اوراق هذا النوع النباتي . وما أن ينضج الفطر حتى يقتصص النمل جزءا منه لغذائه اما الجزء الاخر فيزوده بكمية جديدة من الاوراق لينمو ويتكاثر عليها .

أحياء تتصارع وتتنازع

وهو صراع ، يتسم بالشراسة والضراوة والعدل في آن واحد ، حيث لاتتناقض القسوة مع العدل بل انها تواكبه وتؤازره . فسكان التراب لا تتصارع ابدا من اجل سيادة او مجد ، او بحجة حقوق تاريخية كما يفعل البشر . انما تتصارع فقط من اجل الغذاء في بيئة هي - في الواقع - اشد البيئات بخلا على ساكنيها لاحظت من قبل النقص الشديد في نسبة الاكسجين في التربة ، كما تألفت من الروائح الكريهة تنبعث من هنا وهناك . فلنعلم الآن ان المواد الغذائية التي قد تكون موجودة بكثرة في التربة لايصبح منها متاحا لغذاء الاحياء الا قدر جد ضئيل في كل عام ، يتراوح ما بين ١ الى ٤ في المئة فقط مما هو موجود . أي ابدا القيت في التربة بورقة نبات فانها تحتاج كي تتحلل كلية الى سنوات تتراوح في عددها مابين ٢٥ الى ١٠٠ سنة كاملة . وحكمة الله في ذلك ظاهرة . فسكان الارض شرهون الى الغذاء . فلو كان متاحا تكاثروا بمعدلات رهيبة السرعة . وعلى ذلك فلو اصبح كل الغذاء في الارض متاحا لهم دفعة واحدة لتكاثرت هذه الاحياء لتصل اعدادها الى حدود ستهدد بلاشك وجود كل الاحياء الاخرى على كوكب الارض

ويحول بين سكان التربة وبين المواد الغذائية فيها عوامل كثيرة لامجال هنا للتعرض لها . على اننا اردنا بهذه الاشارة ان توضح السبب في ان احياء التربة تتصارع على الغذاء . فمن الواضح أن القدر المتاح منه دائما قليل ، وابسط صور الصراع تتجلى في ان المتصارع الاقوى هو الاسرع في معدلات التكاثر . ومن ثم فهو الذي يحوز معظم ماهو متاح من غذاء . ولايترك الا القليل - ان ترك شيئا على الاطلاق - للمتصارع الاضعف ، ويصبح الصراع اكثر ضراوة من ذلك في كثير من الاحيان حيث يعتدي سكان التربة الاقوياء على ضعافهم.ولقد سبق سكان التربة البشر في اختراع اسلوب الحرب الكيميائية.فالمتصارع القوي هنا ينتج مواد سامة توقف انشطة المتصارع الضعيف ، وربما تقتله . وهناك متصارعون اكثر شراسة يتجهون اضافة الى ذلك انزيمات تحلل جدران واغشية أعدائهم يتغذون على محتوياتها . ومن اشد اسلحة الحرب الكيماوية فتكا المواد التي نعرفها اليوم تحت اسم مضادات الحيوية والتي استخلصنا بعض منتجاتها من احياء التربة لتتخذه لنا دواء نتطبب به . . والغريب ان اكثر من نصف انواع البكتريا في التربة لها القدرة على انتاج مثل هذه المواد . اما اشد المعارك ضراوة في التربة فهي معارك الافتراس والتطفل . فالكثير من الحيوانات الاولية ، والقليل من الفطريات تفترس احياء اخرى . كما شاهدنا من قبل.وينبغي ان نشير هنا الى ان هذا الصراع الشرس يلعب دورا حاسما في استقرار التوازن الطبيعي بين سكان التربة ، حتى لايطغى نوع على اخر . □



قصة قصيرة بقلم : ليلى العثمان

تصيح وتمسي ولا شيء غير جبينك يا صويلح تصهلان . كجواد ظامئ . في بقاع نهارها ، وبراري ليلها المعتم ، فتحدثك عيناها بتلك النظرة الأخيرة الحمراء . تتقرصان في قلبيهما ، ولمسها تنور النظرة كحد سكين جائع . تفجر الدم ، فتحس طعم السائل الأحمر بين أسنانها ، وينكسر فرحها . وكآبة تزرع الذبول على وجهها الأسمر الملوح ، وتتآكل حتى منابت الصمت في داخلها . وتحسس صدرها . وتضم قبضتها عليه بقوة . تخشى أن تفر الحقيقة أسئلة ، وتجمد مثلنا هنا ، وتعلن أنها القاتلة .

هي تذكر آخر مرة لمحتك فيها . كنت في عنفوان الشباب ، وكانت تمسك بمكنسة « المرفع » . تكنس الدهليز . عندما طرقت الباب ثلاث مرات ، ولم تفتح لك . لقد ترددت ، وانتظرت حتى جاءت أمها ، وأشارت بيدها بحركة تفهمها البنات أمثالها ، فتوارت خلف الباب . لكنها أطلت على وجهك من خلف الشق ، واشتهى قلبها .

صوت أمها حين لمحتك :

- أنت ؟

ارتعش صوتك :

- نعم يا خالتي ، أريد « فيها » . هل هي هنا ؟؟

تأكدت أمها قبل أن تجيب :

- اسمع يا صويلح . .

- نعم يا خالتي

رن صوتها بأمر حاد :

- إذا أردت فيها فقابله في الخارج

تلعثمت أنت :

- ولكن يا خالتي . أنا . . أنا . .

قاطعتك .

- أعرف . أنت رفيقه ، ومثل أخيه ، ولكن لا تنس أن عندي بنتا قد كبرت ، ولا تنس أيضا الجيران والناس . ودخولك ربما . ربما . .

صوتك رد هادئا حزينا :

- نعم . أفهم يا خالتي .

ورجتك أمها :

- لا تظن أنني طلبت منك محالا . تدرك يحبك ، ويثق بك ، ولكن ، أنا . . وبكل رقة الحب والعتب سالت كلماتك :

- أمرك . أمرك يا خالتي

وحين أغلقت أمها الباب شعرت وكأنه يطبق على وجهك ، ويصهر فرحك ، ويهرس شفتيك الكبيرتين ، ويمزق قلبك إربا إربا . حتى أوشكت أن تراها تتناثر أمامك على التراب ، وتطرح .

أحسست كأن خطوتك ثقيلة لا تستطيع حملك . وأدركت بأنك لم تتحرك ، رغم أن أمها قد صفقت

الباب ، وصحلت الصرخة ، وهي تلفظ بكلمات سريعة ، لم تفهمها ، ليثبت وحدها في الدهليز ، وقد تورم حزنها في داخلها ، وألصقت أذنها بالباب ، وخيل إليها أنها تسمع دقات قلبك المجروح ، وتسمع خطواتك الرائحة في التراب شهيقا حارا ، وحسي قلبها انهيارات ، بعد أن تأكدت أن أمها ابتعدت تماما ، وانفتحت الباب ، وما خاب الظن فقد رأتك واقفا ، تتسلل نظراتك ، وتنهمر من عينيك دمعات مالحة .

ـ حين تصافح وجهاكما حدثت باسمها :

ـ عائشة .

عجلت ، وأرادت أن تغلق الباب ، لكن يدك الصلدة حالت دونها ، قلت لها :

ـ أنا أحب بيتكم ، لقد تعودت أن أراك .

فأرعشها اعترافك المتهدج ، لكن يدها امتدت ، وأبعدت يدك عن قبضة الباب ، وأغلقته مرغمة ، واستندت عليه خشية أن ينفتح ثانية وتلج منه ، وبحنف قلبها كالعصفور ، فقد كان طعم اللحظة مرًّا ، وبكت .

كم تعذبت تلك الليلة ، تقلبت ، وأكل جمر الليل الموحش من لحم جنبيها ، وداس بأظلافه الثقيلة على صدرها ، فتوجعت ، وأنت أنات متواصلة ، وكانت تدرك أنها فقدتك ، وفقدت تلك النظرات الحلوة التي كانت تفر من عينيك ، مثل حمامات صافيات ، لتحط بمناقيرها على وجنتيها الملتهبتين ، فتزرع حبيبات أمل ، وبراعم شوق ، كثير وكثير .

وبكت تلك الليلة ، فقد عرفت أنها كبرت ، وأنك بأمر من أمها لن تدخل ، وأنك ستلقى ، فهدا ، في مكان آخر غير البيت . حاولت أن تبعد وجهك ، وأن تنسى لحظة صغيرة ، لتفحص العينين المسهدتين ، وتنسى الروح ، لكن رائحة وجهك تختلط برائحة الغرفة ، ورائحة ارتعاشها ، ويظل وجهك منتصبا مثل بدر يحتمي خشلوة ليلة داكنة ، وظلت الأفكار تحرث في أرض عقلها ، ترى ما الذي تعانيه أنت بوحدتك ؟ هل تتوجع مثلها ؟ أم تراك تود اقتلاع قلبك الذي تعيش به ؟

لا تدري متى نامت ، لكنها تعرف متى انتزع الصحو في عينيها ، حين جن الشارع بالصراخ .

صرخات أمك تشق صدرها ، كما شقت أشعة الشمس بكارة الصباح انفلتت مثل كف شريرة ، وصفعت الأبواب ، كل الأبواب ، حتى وصلت إلى بابهم ، وفتحت أمها الباب ، واندلعت أمك كالمجنونة ، بوجهها الأسود المقهور ، ولسانها الأحمر المتدلي كلسان كلب لاهث ، وارتمت على الأرض ، وأخذت تنبش تراب الدهليز المبلول وتعفر به وجهها ، وأمها تحاول أن تفهم :



ماذا حدث يا أم صويلح ؟

ورشقت أمك دمعًا

صويلح جن .. فقد عقله

لقد فقدت هي تلك الصورة المشع حولك . وبقيت غيوم الثقت حولها . تضيق عليها . وتحصرها في دائرة لا ترى فيها سوى وجهك الفتي وريث سواده من وجه أمك . عينان الواسعتان . واهدابهما الطويلة الملتوية . وأنفك الصغير . وشفتاك المتفتحتان . ورسمه أمك اسمها كمحا بالقم امس . والبيت مفتوح بنقل خطوات المهجور . والجدران ونتبن امس . فهل تصدق عيناك ما ترى ؟ هل ام صويلح قد اصبحت امامها ؟ - فشدائست منطرفة حول أسطح البطن . ورقصك احاسر مرسومة محرقة حمراء . وقد حلقت بها الغيم . من ريش الدجاج . ورمش ميول الدبكة . وفي وسط ذلك معلق عقدا من حب محصور الطماطم الصغيرة . وتحدث تدور . وترقص . وتصرخ صيحات . وتمضي في بعد . وتنمو تلك البهجة . ثم تتحسس الصحن في أنفك . وتمسح حلوسه وتقضها . وأمها تراقبك مذهولة . وأنت صائر إلى جنون . وهي من خلف عيونها الداكنة تركت مرددا . تر ترو . لو أي شيء . غير صويلح المملوح الذي كان بالأمس يدق الباب ويدخل عند مهد حتى تغلق الباب في وجهه

حولك تلتف أولاد الفريج ، اخي . يشدونك . ويعيرون عليك . يضحكون . ويتصايحون :

المجنون .. المجنون

يعض رجال حاولوا الإمساك بك لتهدأ . لتستقر في وقفتك ورقص تحمحم مؤخرتك صارخا :

بس يا صويلح

لكنك لم تهدأ . بل تندفع الى الباب . وتدخل . وتجلس قرب أمك . وتمد قدميك المقيرتين . وتقط لسانك . وتقلد أمك في عويلها وولولتها . وتنثر التراب على شعرك . وأمها حولت مشفقة ان تقترب منك . ولم تذكر اسم الله عليك . لكنك رفضت وجهك اليها . ورحمت كل ما في ثغرك وبصقت عليها . وضحكت .

وهي .. أضحت خائفة . تقف امامك بلا حاجز . وتنظر اليك وانت في حلقتك المرئية . وتتمنى لو يلتفي تطرك تظرها . لكنك أبدا لا تفعل . بل تدور برأسك في كل اتجاه . وتحدق بكل شيء . بكل تسرجوه . والعيون مساعدة ما هي .. مساعدا عينيها . وقلبها الذي يتفطر ألما وأسفا

هكذا .. يا صويلح .. في ليلة واحدة تتحول آسنان حقائك . وتصير مجنونا . ولا تعرفها . وبصحو مثل الشمس . في نهد - احوجها بناه إليك لاعب . وأراح كرمة الأطفال تحرسه عبرهم بك . وتنب من عتبة الباب . وترتمي منهوكا قدرستك يا صويلح . وحضنتك . وقبلتك . وتوسل إليك :

صويلح .. بني .. بني .. تعال .. تعود إلى عقلي وتمدد متناقلا فانتفضت تفسك من الأرض . وجريت . فاستمعت له وانت تعم تمزقات ثوب شعري . والحلم .. حول صدرك .. الفصي . وتصدر موسيقى . تمزقت خطوات المتطايرة . والتربة على رأسك يهتز . وتتطاير بعضه . ويتساقط على كتفك وتلتصق به . وتتوارى أنت وأخوتك داخل الغرفة . وصوت أمها المرير يناشد أمك الباكية

يا ام صويلح .. كيف حدث هذا ؟؟

لسان امك اللاهث يتبلل بعصافة وهي تروي :

سمعت يهذي هذيانا متواصلا في الليل . ولما أخذ صوته يرتفع . قمت . وقد ظننته يحلم . لكنه صرخ . وانتصب أمامي واقفا يضحك بلا سبب . وصرخت لذي ضحكاته . وحنت عليه . وسميت . وتعوذت من الشيطان . وجئت له بكوب ماء . فاوقعه من يدي . فابتعدت عنه . فتهاوى على الأرض . وصمت . قلت لنفسي : لقد نام . واقتنعت ان ذلك حلم مزعج . وعندما صحوت فجرا قلت اتفقده واطمئن عليه . لكنني لم أجده في

مكانه . بحثت عنه ، فلقيته في حوش الدجاج ، وقد نتف ريشها ، فصرخت فيه مؤنبة ، فهاج مثل ثور في وجهي فخفت ، وركضت ، فركض ورائي ـ كما ترين ـ حتى وصلت الى هنا . لقد فقد عقله . آه يا ولدي ، يا وحيدي .

قالت أمها .

ـ سأكلم جارنا أبا محمد ليأخذه الى « الملجأ » .

صرخت أمك :

ـ لا . . لا . . لا . .

ـ يابنت الحلال قد يؤذي الناس اذا تركته هكذا .

بكت أم صويلح وأكدت :

لا ، صويلح حبيب ، لا يؤذي أحدا ، اتركوه ، فقد يرد له عقله اليوم ، أو غدا ، الله رحيم .

ورددت أمك ثلاث مرات « لاحول ولا قوة إلا بالله » قبل أن تلتفت نحو غرفة فهد ، وكأنها تأمل أن تخرج منها صاحيا معافى .

وهي . أتصدق عائشة ، لتوارت في مكان ما ، وانحشرت رأسها بين ركبتيها ، وسدت أذنيها في محاولة لمنع الهتاف الصارخ بداخلها ، لكنه يثور مع كل دمعة تقفز مالحة من العين . بكت ، ليتك أنك صرت مجنونا ، وليت ذلك « الصويلح » رفيق أخيها ، والوجه اللطيف يحبها ، وصرت مجرد مجنون ، يشفق عليه الناس ، ويتضاحك خلفه الصبيان مرددين « مجنون » . سمحت أمها لخطواتك أن تدخل ثانية الى البيت ، والى غرفة فهد .

ومضت الأيام مؤلمة ، وصرت يا صويلح تدخل البيت متى تشاء ، تسبقك « عصا الخيزرانك » ، وموسيقاها ، وتيجان الريش على رأسك ، وقد سقط الحاجز ، فلما بعد أن تأمرك بمغادرة البيت صارت تأمرها هي كلما دخلت عليهم قائلة :

قومي يا عائشة ، أعطيه ماء وحلاوة .

وأوامر أخرى تلسع قلبها :

ـ لا تبهره ، لا تسخري منه .

وتبلع عائشة غصتها ، وتحنو عليك ، وتراقبك ، وأخوها فهد يلاعبك « الكرة » . أو يجلسك قربه ، ويقص عليك قصص الليالي القديمة ، وتنظره لك لا تخلو من شفقة . لكنها تتحول أحيانا الى قسوة إذا علا صوتك بالصراخ أو ازداد هرج رقصاتك الغريبة ، يصرخ فيك . فإن لم تستجب يلطمك على الأرض ، ويدس على رأسك حتى تتأوه وتعلن الطاعة العمياء .

وهي . تراقب المشهد ، وتلسع ضحكتك ، وعيناك المحمرتان اللتان تفوحان غضبا مركزتان على وجهها ، ساقطتان في بحر عينيها يتبع منها مرارة الذل والكسر القهير ، وتدنو من أخيها فهد ، وترجوه :

ـ خلاص يا فهد ، خلاص .

تسألك ورأسك مايزال تحت قدمه :

ـ صحيح يا صويلح ! ستهدأ ؟

وتتأثر جسالك ، وتضحك ، وتهز رأسك « بنعم » ، ويحررك قدم فهد ، فتلملم نفسك وتجلس وعيناك نحوها ، فيها شكر ، وحب ، وفي عينيها مشاكلة للمغلوب على أمره .

أصبحت تدخل كل البيوت يا صويلح ، وصار أهل البيوت يمنحون لك العلب الفارغة والخرز ، والمسامات القماش التي تصنع منها شرائط ، تلفها كالحزام حول خصرك ؟

ترقص في أحواش الناس حتى تلتهب عيناك ، ويهلل لعابك ، وهم يتضاحكون ، ويشدون أطفالهم الى الصدور حذرا وخشية أن تؤذي أحدا منهم .

أمها أيضا تركتك معها ، لا تمنعها ، لكنها لا تغفل أن تنبهها بحركة تذكرها أنك مجنون ، وقد تؤذيها ، فتهز رأسها ترضية لأمها ، وتصمت ، وفي قرارها تعلم أنك لن تؤذيها أبدا خذوف لوجهك ابتسامة مالحة ، وأنت تجلس بقربها ، وتلقي بصوت شجي تحس كأنه يخصها هي وحدها ، وتختار أغنياتك لتصيرها رسائل حب مهموسة إليها ، وتظل عيناك ، وعيناك وحدهما تنظران إليها ، وتورثان ورطا ،

وترتاح هي للنظرة ، وتحس أن حاجبيها ترفرف وتحط على اصفرار وجهها ، فتبدان ربيعا ، وتتمنى لو كانت اللحظة تجمعك معها وأنت لست فاقدا لشيء ، إنها لم تصدق بعد ، لكن كل ماتراه وتسمعه يوحي بخبلك ويؤكده ، حتى أخوها فهد لم يعد يلاطفك ، ولا يلاعبك ، بل تحول حبه الى شفقة ، ثم الى قسوة واحتقار .

كم مرة رآه يركب ظهرك ، ويأمرك أن تسير به على أرض الحوش المتربة . وكم سال الدم من ركبتك ، وفي الشارع كان يعاملك كتميمة ، يأمرك أن تأتيه ، فيهزأ منك الأولاد ، وهم يدسون « الخبّ » في ثغرك

أنت يا صويلح مجنون ، وجنونك يمتد حتى يصل حد السخرية من الناس . قلت لأحد الصبيان إنك دخلت يوما على أبيه في الحمام ، فرأيت ، قيلا ، قد نبت له ، في ذلك اليوم خرج إليك الرجل فاقدا صوابه ، وأمسك بك ، وزج أصابعه في فمك ، وشق أطراف شفتيك حتى سال الدم . وعندها

يا مجنون ، هل أشق كل وجهك حتى تخرس وتتوب ؟

من الذين شاهدوك فهد مخبرها ، فقد قال إن مسموعك حمراء ، ظفرت من شدة الألم ، وأنك بصقت كتلا ، كتلا من الدم ، ما إن خرجت يد الرجل من فمك ، لكنك رغم هذا حدثت بضحك صارخ . وداعبت الرجل واعظا ومتسائلا :

سأتوب ، ولكن كيف نبت لك الفيل ؟

قبل أن يمسك بك ثانية ، كنت تهرول والطلب في رقبتك ، تتصافق ، وتترنح والأولاد يصرخون وراءك :

المجنون .... المجنون

صار جنونك يا صويلح الى بيتها مشروعا ، هي وحدها التي تعاملك بود وعطف ، ولا تسخر منك ، ولا تعترف مرة أنك مجنون ، بل تجلس إليك ، وتحدثك ، فتفيض من صوتها حقول عشب حانية .

ترطب قلبك ، وتؤنسك وأنت أمامها صامت أغلب الأحيان ، وتسافر بعينيك في المكان ، وتحطان على وجهها النادر الأليف ، وتستقران على شفتيها اللتين لا تفتآن ترجوانك أن تتخلص من العلب ، والريش ، والأحزمة ، وكل « الخراطيش » الكثيفة التي سورت بها حتى قدميك ، لكنك تشد على أشيائك ، وتنبطح أمامها مثل الكلب الوديع في حضور سيده .

عائشة في حوش المطبخ منحنية تنظف بعض القدور . لمحتك فتأمّلت . تسبقك موسيقاك ، واقتربت ، وهويت بقربها . وطلبت مساعدتها بصوتك القديم . فضحكت بدلال وسألتك :

- هل تعرف كيف تغسل المواعين ؟

- أعرف

- وتعرف كيف تطبخ ؟

- وتغير صوتك .

- لا . هذه مهنة البنات

قلتها بكبرياء واضح ، وبعقل ، وارتجفت هي ، وأحست سخونة الكلمات والمعنى ، وهتفت .

- صويلح !؟

- يا عيون صويلح

وانتصبت أمامها ، ولمحت وجهك وقد عاد الى ماكان عليه قبل شهور ، قبل أن تصرخ أمك صرختها ، وتعلن جنونك . ومرة ثانية صدر عنها السؤال المندهش :

- صويلح

وتلفت برأسك سريعا لاستجلاء ما في المكان ، وحين اطمأننت مددت ذراعيك نحوها ، وحضنت كتفيها ، واقتربت ، ودنوت أكثر فأكثر ، فشممت رائحة وجهك ، وعرقك ، مختلطان برائحة شيء عذب تعرفه قبل إعلان جنونك .

وتراجعت الى الوراء مرتعشة ، لكنك اقتربت أكثر ، وألصقت شفتيك بخديها ، وامتصصت القبلة ، كأنك تمص رحيق زهرة ، وتمالكت ،

وسقطت يداها . وهزها الخوف . وعطت . فانفلتت الهمسة من قاع صدرها :

- صويلح

- عائشة

ويزغ فرح في وجهها رغم هتمة الخوف .

- ها أنت تعرفني

أومأت برأسك :

- لقيتك يوما

لتراجف صوتها :

- صويلح . . أنت ؟!

- نعم . أنا صويلح الذي يحولك . ويحبك

- صويلح " ماذا تقول ؟؟"

شهقة كانت وليس سؤالا . وانفلتت من بين يديك . وهربت . لكنك خفت بها قوصمتها إلى درج السطح المتزوي . والتصقت بها أكثر . وحرستها . وتوحد الجسدان في لحظة . وهي ترتجف مثل سعفة . وأنت تغمس أصابعك في شعرها المتناثر . وتقاطر شفتاك قبلا أحمر على وجهها وعنقها . وجسدها الذي يقشعر من اللذة . ويرتعشها . ويرفضك . ويتحول سعيرا من الغضب ينفث معه ذراعها الرخيز لتصفع وجهك وتصرخ .

- يامجنون . يامجنون . .

سكت على الكلمة لتؤكدها . فشددت عليها . وحضنتها بعنف لتوقظها من القلق .

- لست مجنونا . ولم أكن أبدا . المجنون يا عائشة .

دفعتك في صدرك الذي تراكض دماؤه . فوقفت . ثم انتصبت . ووقفت أمامها مطاطئا . وهي تقذف إليك سؤالها . وتشير إلى (عراجينك) وأثوابك :

- وهذا . ماذا تسميه ؟ أليس جنونا ؟

وابتسمت وطرزت النظرة الواثقة في عينيها .

- إنه الطريق لأراك .

تسارع رفيف أهدابها . وتناثر صوتها المبهور

- لا أصدق . لا أصدق !

وانفرجت منها شائبة . ومسحت على وجنتيها المشتعلتين :

لأنك أردت أن تحرمني منك . فكانت هذه وسيلتي . ولا أحد يعاقب المجانين . وفجأة صمت العالم أمامها . إلا صوت الغضب النازف من صدرها . فشحنت قوتها . وعدت التراعين . ودفعتك من صدرك . وأسقطتك على الأرض لتعثرت عليك وتطاير بعض ريشك . وانهال عليك صراخها .

- ليتك كنت مجنونا حقيقيا . كنت ستعيش . أما هذا الذل !

وبصقت عيناها نظرة احترقت قلبك . دليل في خطاك وصوتها يطردك :

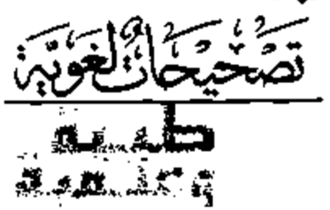
- اخرج . لا أريد أن أراك . وسأخبر أمي . والناس . وأهلها . وسأعلن حقيقتك . وأفضحك .

تجمدت مكانك يا صويلح . شدتك الأرض إليها . فاخرا فمك . مذهولا . يائسا . وحزينا . وخرس لسانك *

وغرست النظرة العاشقة . ولم تستطع أن تدافع عن نفسك . وعن حبك . وعن عنيك . وتركتك ملتصقا في أرضك . وولت هاربة . وعلى الأرض كنت ترى شيئا عزيزا يتساقط . وأقدامها تدوس عليه

اتكأ الليل على صدرها . واتكأنا الحمل الثقيل . ولم تنم حتى أشرق الصباح . وشقت صرخة أمك السكون . فتراكضت الأقدام لتلتف بأصحابها نحو بيتكم . ليشاهدوا المنظر

* ومن النافذة أطلت . ولمحتك تترنح عند الجدار المقابل . عيناك دامعتان . وأصابعك العشر مفتوحة . تنز منها سيول دماء . والسكين التي ذبحت بها أصابعك مغروزة في كبدك . وأحد الرجال يحاول إسنادك لكنك وأمام عينيها الأملتين عاريت . ☐



بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

يستعمل الناس في مجال الطب والعلم بعض المصطلحات في غير مواضعها عن جهل أو تجاوز ، ومنها هذه المصطلحات الواردة في هذه المقالة مع تصحيحات لها .

الأكلينيكي - والأكلينيكية

إن هذه الكلمة ترجمة لفظية لكلمة [illegible] الأجنبية التي تعني : التعامل مع المريض في سريره ، وملاحظة حالته ، ومعالجته ، وذلك للتفريق بين هذه التعاملات وبين العلوم الطبية الأساسية والنظرية . وقد عربها البعض بقولهم : الاكلينيكي ، والاكلينيكية . فقالوا : الفحص الاكلينيكي ، والأمراض الاكلينيكية . والصواب : السريري ، والسريرية . فيقال : الفحص السريري ، والأمراض السريرية . أما إقحام كلمة الاكلينيكي ، أو الاكلينيكية ، في لغتنا ، وفيها تعريب حرفي لها ، فهو خطأ وإهمال لا مبرر لها .

بول الفراش

ويعنى به : تبول الطفل في فراشه ليلا بصورة لاإرادية . وقد وضعها بعض العلماء العرب مقابل كلمة [illegible] المشتقة من الكلمة اليونانية [illegible] التي تعني : مرور البول . وقد ترجمت هذه الكلمة الأجنبية قبل تلك بـ « سلس البول » . ثم بـ « التبول الليلي » ثم أبدلت ، في السنوات الأخيرة ، بـ « بول الفراش » . فأما سلس البول فانه لا يعطي المعنى المطلوب ، لأن معناه : نزول البول لاإراديا ، ليلا أو نهارا ، وفي حالة اليقظة والنوم ، لخلل في الجهاز البولي . وأما « بول الفراش » فهو مصطلح يخرج عما يراد به من معنى . ذلك أن البول هنا ينسب للفراش ، فهو مضاف والفراش مضاف اليه ، كما ينسب للطفل ، أو الفصيل ، وهو ولد الناقة ، فيقال : بول الطفل في ملابسه ، وبول الفصيل في بطن أمه . ولا يمكن أن ينسب البول ، أو التبول ، إلى الفراش ، فيقال : بول الفراش . وقد يكون من الأصح أن يقال : التبول في الفراش ولكن هذا لا يؤدي المعنى المراد منه . والمصطلح العلمي الذي يعطي المعنى تماما هو : « التبول الليلي اللاإرادي في الفراش » .

الفالج

تلفظ هذه الكلمة بفتح اللام ، فيقال : أصابه الفالَج ، وأصيب بمرض الفالَج . وهذا وهم ، لأن معنى الفالَج ، بفتح اللام ، هو مكيال قديم كان يستعمل ، فيما مضى ، لكيل الطعام (أي الحنطة والشعير ونحوهما) أما الصواب فهو : الفالِج ،

بكسر اللام ـ فيقال : فُلِجَ الرجل ـ على المجهول ـ أصابه داء الفالج ـ بالكسر ـ لأنه اسم فاعل والفالج داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً ، فيبطل حركته واحساسه ، سمي بذلك لأنه يأخذ شطراً من البدن في الغالب ، وينصر وتوجعه في الشقين وعلى هذا فيقال . أصيب بالفالج ، ولا يقال : أصيب بالفالج .

البِنية

كثيراً ما تلفظ هذه الكلمة بضم الباء للدلالة على كيان الانسان وقطرة جسمه . وهذا خطأ . فالبنية ـ بالضم ـ هو ما بنيته الانسان . والبُنى ـ بالضم ـ مقصور البناء . ومنه كلمة « البُنية » ، وهي الكعبة يقال : لا ورب هذه البنية . أما الصواب فهو : البِنية ـ بكسر الباء ـ وهي الفطرة . يقال : فلان صحيح البنية ، أي الفطرة . والبنية عند الحكماء الأقدمين ـ أي قدماء الأطباء ـ عبارة عن الجسم المركب على وجه يحصل منه المزاج ، وهو شرط الحياة عندهم

الرؤيا ـ والرؤية

كثيراً ما تستعمل كلمة الرؤيا بمعنى كلمة Vision الأجنبية . فيقال . فلان ضعيف الرؤيا ، أو عديم الرؤيا . وهذا خطأ . لأن الرؤيا ما يراه الانسان في المنام ، أي الحلم . فهي تختص بالمنام دون النظر بالعين . فيقال . تفسير الرؤيا ، ومفسر الرؤيا ، مثلاً . أما الصواب فهو « الرؤية » . وهي النظر بالعين والقلب ، ولكنها في العين حقيقة وفي القلب مجاز ، كأن يقال : نظرت الى صاحبي مليلاً على ، ونظرت الى الأمور نظرة غير مطلع

بحّة

وهذه الكلمة ترجمة أمينة لكلمة Hoarseness الأجنبية ، ولكنها تلفظ بفتح الباء خطأ ، والصواب أن تلفظ بالضم ، فيقال : البُحّة . يقال : بحّ الرجل بحّاً وبحاحاً : أخذته خشونة وغلظ في صوته ، فهو أبحّ ، وهي بحّة ـ يعني للمؤنث ـ وأيضه الصحاح ، جمعه بُحّ . والمصدر « بُحّة » ـ بالضم ـ وهو الصواب

تجربة

تلفظ هذه الكلمة ، غالباً ، بضم الراء ، فيقال : تجرُبة . وهذا خطأ . اذ أن الكلمة هي مصدر للفعل يجرب ، ومصدرها « تجرِبة » ـ بالكسر ، وهو الصواب .

حميات

كثيراً ما تلفظ هذه الكلمة بضم الحاء ، وفتح الميم وتشديد الياء ، فيقال : حُمَيّات . مثل قولهم مستشفى الحميات مثلاً . والصواب أن تلفظ بضم الحاء وفتح الميم المشددة ، فيقال : حُمّيات ، جمع حمى .

الأسقربوط

تطلق هذه الكلمة على مرض يسبب عن قلة ، أو انعدام ، فيتامين جـ (٢) في الجسم ، يدعى Scurvy ، فيسبب تورم اللثة ، وحدوث النزف فيها . وكذلك النزف في أنحاء مختلفة من الجسم والكلمة ليست عربية ، وانما هي تعريب لفظي للكلمة اللاتينية Scorbutus ، وهي الاسم القديم للمرض . والصواب أن يطلق على هذا المرض اسم : البثع . فهو وصف دقيق لهذا المرض ، يقال : بثعت الشفة تبثع بثعاً : غلظ لحمها وظهر دمها . وقيل : بثعت لثة الرجل اذا خرجت وارتفعت حتى كان به ورماً . والاسم منه . البثع ، وهو ظهور الدم بالشفتين والجسم كله .

اللذع ، واللدغ ، واللسع

كثيراً ما توضع هذه الكلمات في غير مواضعها فيقال . لدغته العقرب ، ولسعته الحية ، ولذعته البعوضة ، ونحو ذلك . وهذه كلها تعبيرات خاطئة ، لانها توضع في غير أماكنها . فكلمة « لذع » ، واللذع ، لا مكان لها ، ولا مجال لها ، في هذا

للرضيع ، لأنها بعيدة عنه ، وليست من جنسه . فاللذع معناه : حرقة كحرقة النار ، وهو مس النار وحدّتها . يقال : لذعته النار أي لفحته وأحرقته ولذع الحب قلبه أي تيمه وآلمه .

أما اللسع ، فهو للحشرات التي تضرب بمؤخرها ، وهي ذوات الإبر ، كالنحلة ، والزنبور ، والعقرب ، وأما اللدغ فهو لما كان بالفم ، وليس بالمؤخرة ، كالبق ، والبرغش ، والناموس ، وغيرها فيقال : لسعته العقرب تلسعه لسعا ، ولدغته البقة تلدغه لدغا . أما الحية فإنها لا تلسع ولا تلدغ ، ولكنها تعض وتنهش . فيقال : عضت الحية ، ونهشته الأفعى ، ولا يقال لدغته أو لسعته وزعم بعض اللغويين : أن من الحيات ما يلسع بلسانه كلسع حمة العقرب ، وليست له أسنان . فيجوز حينئذ أن يقال لسعته الحية ، ولكن الحيات - بصورة عامة - تعض بأسنانها ، وأنيابها المجوفة ، تحقن السم في جسم ضحيتها فيقال : عضته الحية ، ولا يقال لسعته او لدغته

القذف ، والقلس ، والترجيع

توضع هذه الكلمات ترجمة لكلمة Regurgitation التي تعني : مرور كميات قليلة من الحليب ، أو الطعام ، لا تتعدى ملء الفم ، من المعدة إلى الفم ، أثناء الرضاع ، أو بعده

واستعمال هذه الكلمات في هذا الموضع استعمال عامي وليس أكاديميا ، ذلك أن هذه الكلمات جميعها لا تؤدي المعنى العلمي الدقيق المطلوب . فالقذف - بالذال المعجمة - له معان أخرى غير ما هو وارد هنا . فهو معناه : الرمي بالحجارة وما أشبه . كما أن معناه الشتم وما أشبه . فيقال : قذف المحصنة اذا رماها بريبة مثلا . وله معان متعددة أخرى .

وأما القدف (بالدال المهملة) فمعناه : الصب والنزح ، فيقال : قدف الماء يقدفه قدفا نزحه وصبه ، وغرفه ، من الحوض مثلا

وأما الترجيع ، فله معان لا صلة لها بالموضوع كذلك . يقال رجّع الرجل رددصوته في قراءة ، أو أذان ، أو غناء والترجيع في الأذان : أن يكرر الشهادتين فيه ، وترجيع الصوت ترديده

أما الصواب فهو : القلْس - بسكون اللام - يقال : قلس الرجل يقلس قلسا ، خرج من بطنه طعام ، أو شراب ، إلى فمه - سواء ألقاه أو أعاده إلى بطنه - اذا كان ملء الفم أو دونه ، فاذا غلب ، أو زاد عن ذلك ، فهو قيء والقلس اسم علمي أكاديمي ينبغي استعماله في هذا المجال . أما ما سواه من كلمات ، وأسماء ، فهي معان خاطئة وإن كانت تستعمل مجازا لتقريب الموضوع الى أذهان العامة من الناس □

رحلة القهوة

● المعروف أن أفريقيا هي موطن شجرة البن ، والحبشة بالذات هي البلاد التي عرفت هذه الشجرة ، وقد نقل التجار العرب هذه الشجرة الى اليمن ، حيث زرعوها في القرن الرابع عشر الميلادي على سفوح الجبال ، ومن اليمن نقل الحجاج البن الى مكة ، حيث شاع بعدها في بقية البلاد العربية ، وقد وصلت القهوة الى أوروبا عام ١٦٢٦ على يد ايطالي يدعى بيترودوللا فالي ، وكانت تستخدم كعقار مسكن للصداع ، ولكن سرعان ما عملت تشرب في المقاهي ، وخاصة في مدينة البندقية ومرسيليا ، ومن ثم انتقلت الى مدينة لندن وغيرها .





عبد السلام العجيلي

بقلم : أحمد محمد عطية

على الرغم من أن الروائي العربي الدكتور عبدالسلام العجيلي نهل من الثقافة الغربية الحديثة ، وأتيح له أن يعايشها قراءة ورحلة،فإن أعماله الأدبية تعكس نزعة قوية الى استلهام التراث العربي وبعثه في قوالب جديدة،تعبر عن أصالة الكاتب وعروبته .. حول هذه الملاحظة يصحبنا هذا المقال في رحلة حول أدب عبدالسلام العجيلي .

عبدالسلام العجيلي ، أديب سوري كبير ، وأحد رواد التأصيل في ثقافتنا العربية الحديثة ، فهو أديب عربي ، نشأة وانتماء ، وكتابة وفكرا ، وسلوكا ، وشكلا ، ومضمونا .

تتميز كتابات عبدالسلام العجيلي بالأصالة والعروبة ، وبالتنوع ، والتفرد ، والابتكار ، وباستلهام التراث العربي والأشكال العربية والمضامين العربية ، والاستلهام من ذلك كله ، وتسري في كتاباته الروح العربية ، والقيم العربية ، وتتنوع بين أساليب السرد لدى الرواة العرب وبين الحكاية العربية والأخبار والمقامات وأحاديث المشيات والأسمار ، والأدبيات العربية ، وأدب الرحلات ، وتعكس إيمانه القوي بدور التراث العربي والاسلامي في تعزيز ودفع التقدم العربي ، وتنطلق من وعيه العميق بخطورة الغزو الثقافي الغربي ، والتبعية للغرب .

فالعجيلي أديب عربي ، يحرص على الأصالة العربية ، ويبتعد عن القوالب الغربية ، كما أنه يستلهم التراث ولا ينقله ، بل يعيد تشكيله ومزجه بتجاربه وثقافته ، وخياله ، ويوظفه في خدمة الحاضر العربي ، ويشحنه بهموم عصره .

إنه شامل ، يجمع بين إبداع الشعر والمسرحية ،

والقصة والرواية ، وأدب الرحلات والمقالة ، والمقامات وأحاديث العشيات ، والمحاضرات والسيرة الذاتية ، كما تتعدد أعماله واهتماماته بتعدد تجاربه في الحياة كأديب ، وطبيب ، ورحالة ، ومناضل بالسلاح ، ونائب ، ووزير .

ونظرا لتنوع إنتاجه وكثرته ، مما لا يتسع المجال لتناوله كله ، فإنني سأركز في هذه الدراسة على وجوه الأصالة والعروبة في أعماله التي لم تنل حقها من اهتمام النقاد والباحثين . والتي تؤكد ريادته للتأصيل في ثقافتنا العربية الحديثة . مثل مسرحيته الأولى شبه المجهولة « أبو العلاء المعري » ، وثلاثيته العربية « أحاديث العشيات » ، و« السيف والتابوت » ، و« سيمون دلفقة حكايات » ، ومقاماته الصادرة في طبعة خاصة محدودة

لقد اختار عبدالسلام العجيلي الطريق الصعب في الحياة ، والمعرفة ، والأدب ، وفي النضال من أجل قضايا قومية عربية وإنسانية . وبالرغم من ثرائه ، وعدم اضطراره للعمل والمعالجة ، فهو أديب وعالم ملتزم بالكتابة وبالعمل والسلوك ، وليس بالنظريات و« الايديولوجيات » . فقد تطوع للقتال في جيش الانقاذ الفلسطيني ، وحارب العدو الصهيوني في سنة ١٩٤٨ دفاعا عن عروبة فلسطين .

وبالرغم من أنه من أسرة بدوية ثرية ، وعمل وزيرا للثقافة والاعلام والخارجية ، إلا أنه لم يفارق بلدته الصغيرة النائية « الرقة » في شمال سورية ، بل رفض كل العروض لمناصب كبرى تبعده عنها . وكان هذا التزاما وانتماء وعشقا لبلدته الفقيرة ، ولأهله في البادية . يعالجهم ، ويعلمهم ، ويستلهم تراثهم وتجارب حياتهم الشاقة . ويمزجها بتجاربه ورؤاه ، وحبه الغامر للتراث العربي ، وتراث البادية الشعبي ، ولذكريات الطفولة والصبا في أحضان البدو . والحياة البدوية التي تغذي أدبه بعماد الأصالة والعروبة . لذا أصر العجيلي على الاقامة الدائمة في « الرقة »

الأصالة والتغريب :

تنبع أصالة عبدالسلام العجيلي وعروبته من أصوله العربية ، ونشأته البدوية ، وثقافته العربية ، وعشقه للتراث والعروبة ، ولكل ما هو عربي . فهو ينحدر من أسرة بدوية تتفرع من عشيرة عربية ، هي عشيرة « البوبدران » ، المقيمة في بادية الموصل بالعراق ، وقد انتقلت أسرة العجيلي من الموصل إلى « الرقة » مع بعض عشائرها . تنتمي عشيرته إلى سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، كما يذكر العجيلي في كتابه « أشياء شخصية » (الطبعة الثانية ، دار [illegible] ، بيروت ١٩٨٠ ص ٧ وما بعدها) . فهو عربي أصيل حسبا ، ونسبا . كما عرفت أسرته البدوية بحب المعرفة والفنون والأدب ، فقد كان جده حميد العجيلي شاعرا

وقد ولد العجيلي سنة ١٩١٨ ببلدة « الرقة » البدوية . وعايش في صباه ظروف حياة البادية العربية الصعبة ، وخبرها ، وتنقل في طفولته وصباه مع أسرته ، ومع أهل الرقة البدو ، بين مراعي الكلأ في البادية ، في الربيع والخريف والصيف ، وعاد معهم في الشتاء للاقامة في تلك البلدة . مما عمق في ذاكرته تجارب الحياة البدوية ، وتقاليد البدو ، وأخلاقهم ، وقيمهم العربية الأصيلة ، مؤكدا أن المعاصرة لا تعني التخلي عن القيم الخيرة التي ترجع إلى جذور البداوة في نفسه ونفس كل عربي .

أما مصادر ثقافته فهي عربية أصيلة أيضا ، فقراءاته الأولى كانت منذ طفولته وصباه في كتب دينية ، وقصص شعبية ، وكتب في التاريخ العربي ، ودواوين الشعر العربي القديم ، وقد استفاد من فترة المقعد فيها للمرض أربع سنوات ، وكان عمره بين العاشرة والرابعة عشر فصرفها في قراءات واسعة في كتب الدين والتاريخ الاسلامي ، والقصص والسير الشعبية ، وروايات جرجي زيدان التاريخية الاسلامية ، و« ألف ليلة » ، كما أنه [illegible] مع

مسرحية شبه مجهولة :

بدأ عبدالسلام العجيلي الكتابة في سن مبكرة ، في الثلاثينات ، فكتب الشعر والقصة والمسرحية والمقالة ، ونشرها بأسماء مستعارة ، نظرا لانطوائيته ، وعزوفه عن « الشهرة والنقد الذي لا يرحم » حسب تعبيره . وقد واصل كتابته فترة طويلة ، بأسماء مستعارة ، كان يبدلها بين الحين والحين ، حتى بلغ عددها اثنين وعشرين اسما . وقد تسبب تخفيه بالأسماء المستعارة في خسارته لعدد من الجوائز ، أهمها جائزة مسرحيته الأولى ، شبه المجهولة « أبو العلاء المعري » التي كتبها سنة ١٩٣٧ ، ونال عنها الجائزة في مسابقة مجلة « الحديث » الحلبية التي أقامها الأديب السوري الكبير سامي الكيالي

وقد نشرت مجلة « الحياة المسرحية » السورية (في عددها المزدوج رقم ١٧ ـ ١٨ صيف ـ خريف ١٩٨١) نص مسرحية العجيلي « أبو العلاء المعري » تحت عنوان « وثيقة العدد » ، بعد أن ظلت مختبئة مجهولة ، إذ لم ينشرها في كتبه ، وقدم لها الأديب الفنان السوري وليد اخلاصي مشيرا إلى ندرة الأعمال المسرحية في هذا الوقت ، نظرا لاتجاه الكتاب آنذاك إلى الشعر والمقالة يقول وليد إخلاصي إن المسرحية كتبت في عهد الانتداب الفرنسي لسورية ، عن وقائع قديمة وحقيقية ، جرت في عصر أبي العلاء ، وأن اختيار مثل هذا الموضوع للكتابة يعود في رأيه ، إلى اختيار مناخ قديم من التاريخ المعروف ، يمكن بواسطته التذكير بما يجري في البلاد في أيام العدوان والاحتلال من قبل أجنبي ، وأنها محاولة من شاب جاد لمناقشة أفكار أبي العلاء الفلسفية ، وتقديم شخصيته إلى القاريء كنموذج عربي للبطولة العقلية والاجتماعية ، وفي وقت طغت فيه البطولة الفردية ، وباتت الحاجة ماسة للتذكير بالشخصية العربية . »

وهذا يؤكد عمق الأصالة العربية ، والعروبة العربية ، لدى أديبنا الكبير ، ففي هذه السن المبكرة (تحت العشرين) كانت كتابته عربية ، وشخصياته عربية ، ووعيه بخطورة الاستعمار والتغريب متقدما ، كما تبرز هذه المسرحية حرصه على التفرد والتميز ، وشق الطرق الصعبة في التعبير الأدبي والفني ، مما حدا به لكتابة المسرحية والقصة في أعمال تضعه في صفوف الرواد الأوائل لهذين الفنين في القطر العربي السوري . وكما يقول وليد إخلاصي ، في تقديمه للمسرحية « ليست مسرحية (أبو العلاء المعري) عملا دراميا كبيرا ، لارتباطها بعملية التوثيق التاريخي ، لكنها تبقى عملا دراميا متماسكا ، وطليعيا في زمنها » .

ومع أن المسرحية تسجيلية وثائقية تقدم شخصية أبي العلاء المعري مع شخصيات عصره ، وتنهض على وقائع تاريخية ، وتنطق المعري بنصوص من كلماته ، كما وردت في المصادر القديمة والحديثة ، إلا أن العجيلي أبدع شخصية أخرى من خياله هي شخصية « أبو هدرش » التي يصفها بأنها « شخصية خرافية من رسالة الغفران ، وهي شخصية شيخ من شيوخ الجان ، هيئته منكرة ، وصوته رهيب ، وكلامه مملوء بالسخر اللاذع » ، وهي شخصية درامية متحولة ومناقضة لشخصية أبي العلاء في المسرحية ، تعمق الصراع الدرامي ، وتمثل الوجه الآخر للشاعر والفيلسوف العربي الكبير ، لأنها شخصية من إبداعه في « رسالة الغفران » ، فهي جزء منه يناقضه ، ويحاوره ، وينمي الصراع الداخلي لديه ، ويدفعه إلى اتخاذ المواقف والقرارات الهامة .

وتمثل شخصية « أبو هدرش » الاضافة الفنية التي يقدمها الفنان عبدالسلام العجيلي لشخصية أبي العلاء وعصره التاريخي المعروف ، إنما صوت الضمير لدى أبي العلاء ، يجسدها العجيلي بكلمات (أبي

هدرش) : « لا تضطرب يا أبا العلاء ، لست بالغريب عنك ، فلو بحثت عني لوجدتني في قرارة نفسك » . وهي شخصية خيالية ، تظهر وتختفي « بصورة سحرية » من ابداع العجيلي ، وضعها في فكر أبي العلاء ، وجعلها تدور في فلكه ، قبل كتابته لرسالة الغفران ، باعتبارها تمثل ضمير أبي العلاء وعقله . ويؤرخ العجيلي زمن المسرحية بعام ٤١٩ هـ ، أي أنها تسبق وقت كتابة المعري لرسالة الغفران بحوالي خمس سنوات ، لأن أبا العلاء قد كتبها حوالي سنة ٤٢٤ هـ .

يختم العجيلي المسرحية بتقديم صورة لانسانية المعري المطوية « بجوهر نفسه المتألق » ، فهو لا يكره الناس ، لكنه يشفق بهم ، كما يقول (أبو هدرش) : « يا أبا العلاء ، لست أدري كيف يعمى من حولك عن جوهر نفسك المتألق ، ولكن الناس جد قصار النظر » ، فالعمى في قصور إدراك الناس لجوهر شخصية أبي العلاء ، وتفهمه ، وليس في المعري .

أحاديث العشيات

إن « أحاديث العشيات » ، و « السيف والتابوت » ، و « سيمون حكايات » عبارة عن ثلاثية فريدة ، تقدم نموذجا لهذا النهج عبدالسلام العجيلي ، وطريقته الخاصة المتفردة في بعث التراث واستلهامه في أشكال عربية أصيلة ، وبعيدة بعيدة عن القوالب الغربية والتبعية لأشكالها ، إذ تضم الكتب الثلاثة أحاديث الكاتب في الأمسيات الثقافية ، وهي مصوغة في شكل أحاديث « العشيات » العربية القديمة ، والأسمار العربية التي شهدها العجيلي وسمعها في صباه في البادية ، فرسخت في ذهنه وذاكرته ، وأعاد صوغها بمضامين ومفاهيم عصرية أيضا ، ومزجها بأحداث التاريخ العربي القديم والحديث ، وصبها في قالب عربي معاصر متميز بالأصالة والحداثة معا ، يجمع بين القصة والحكاية والحوار والشعر والخبر والتاريخ والحكمة والقيم العربية والشخصيات والنماذج البطولية العربية ، وهو يمزج هذا كله بذكرياته ، وسيرته ، ومشاعره وآرائه ورؤاه ، وانطباعاته وطرق إبداعه ، وتنظيره لأدبه وفنه .

وقد تحدث العجيلي في مقدمة الجزء الثالث من ثلاثيته « سيمون حكايات » عن هذه الثلاثية قائلا : « إنها ليست محاضرات ، وإنما أشياء شخصية ، وذكريات ذاتية قليلة الموضوعية ... » ، وأكد أنها « فن » ، أي أنها « إبداع » وأوضح قائلا : « إن محاضراتي ما هي إلا شيء من ذاتي ، من ذكرياتي وتأثراتي وأفكاري » (ص ٦ و ٧) ، وهي ضرورية لفهم شخصية العجيلي ، الانسان العربي الأصيل ، الأديب الطبيب المفكر الفنان ، وهي تجربة متفردة في الابداع العربي الأدبي ، خارجة عن القوالب الغربية ، متصلة بالأصالة العربية .

فالعجيلي من فرط حرصه على التفرد والأصالة والموروث يذكر بارتياح ، في « أحاديث العشيات » أنه حسن الحظ لعدم اتساعه لجميعات المحاضرات خلال دراسته ، وعدم اتباعه لأساليبها المدرسية ، وأنه ظل وفيا للأساليب العربية القديمة ، الأصيلة التي اعتز بها وتمثلها ، أبدع فيها في صياغة عصرية حديثة .

وهو يتغنى في هذه الأحاديث بشخصياته العربية المتميزة بالبطولة والكرامة والكبرياء ، وحب الأدب والفن والطرافة والغرابة أيضا ، من صفحات التاريخ العربي القديم والحديث وتجاربه ، ليقدم عدة نماذج متنوعة للشخصية العربية القوية الايجابية ، والشخصية العربية الأدبية الشاعرة المحبة للشعر والغناء والموسيقا ، والشخصية الصوفية النقية الورعة .

كما تحتوي ثلاثية « أحاديث العشيات » بالاضافة إلى

الأحاديث الأدبية والتراثية والفكرية على أحاديث أخرى علمية في الطب والهندسة والرياضيات ، وإنشاء المدن وعمارها ، ويتغلغل في كل هذه الأحاديث ، ويلقي عليها بظله وروحه وثقافته وإبداعه وشخصياته ، ففي الطب نجد أحاديث مستمدة من التراث ، ومن القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ، ومن سير الخلفاء والعلماء والحكماء العرب .

ويتحدث العجيلي عن ارتباط « العشيات » بذكريات طفولته وصباه ، وما اختزنه من صور الحياة البدوية التي لعب السمر دورا كبيرا فيها ، ففي عشيات وأمسيات سمر ، أولها الكلمة الجميلة والحديث الجميل ، والقصص والأشعار والحكايات والأخبار ، ومن حصيلة ذاكرته التي اختزنت قراءاته لأحاديث « العشيات » العربية الأولى التي ذكرها الشعراء العرب القدامى مع تجاربه وذكريات صباه عن « عشيات » وأمسيات البدو ، من هذه الحصيلة المختزنة التي نقلها العجيلي ، وأعاد إبداعها في « أحاديث العشيات » ، ليقدم صورة عصرية لأحاديث العرب القديمة وأحاديث البدو الحديثة .

المقامات

كما اتجه العجيلي إلى المقامات ، لينهل من هذا الفن العربي الأصيل ، ويبدع على منواله ، واضعا بصماته الفنية الذاتية في مقاماته الجديدة الغريبة التي كتبها بتوقيعه المستعار « ع . ع » .

وفي تقديمه لمقاماته يذكر العجيلي أنه بدأ كتابتها وهو طالب في المدرسة الثانوية بحلب وفي المعهد الطبي بدمشق ، وأنه كتبها للتسلية والتسرية ، وأنه لم يكن يقصد كتابة المقامات بل استهدف الكتابة الساخرة ، لأن قراءاته فيها كانت محدودة في ذلك الوقت لا تتعدى مقامتين أو ثلاثا مما كان المؤلفون المدرسيون يختارونه في كتبهم للهمذاني والحريري ، وحديث عيسى بن هشام للمويلحي .. (المقامات) الطبعة الأولى ص ٦ و ٧) ، حتى كتب مقامته الطبية الأولى التي انتقد فيها - بأسلوب لاذع ساخر - مظاهر الدراسة الطبية في المعهد الطبي العربي وجوها . ونشرتها مجلة « الصباح » الدمشقية في عدد خاص عام ١٩٤١ .

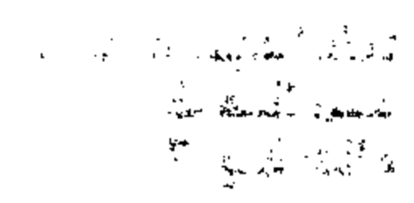
كان للنجاح الذي أحدثته هذه المقامة الطبية أثره في مواصلة كتابة مقاماته ، غير أنه - بتواضعه المعهود - يشكك في قيمة مقاماته ، ويقول إنه طبع منها كمية محدودة في طبعة خاصة ، صدرت سنة ١٩٦٢ ، استجابة لاقتراحات المعجبين بها ، وهو يؤكد على مقاماته إغراقها في الذاتية ، ودورانها حول شخص الكاتب وشخصيات إخوانه ، مع أن هذه الذاتية هي الأصالة العصرية التي أضفاها العجيلي لفن المقامات العربي الأصيل . فالراوي في مقامات العجيلي هو الكاتب نفسه « عبدالسلام عجب » .

وقد أبدع العجيلي اثنتي عشرة مقامة هي : « المقامة الطبية الأولى » ، و « المقامة الحقوقية » ، و « المقامة الطبية الثانية » ، و « المقامة البرازيلية » ، و « المقامة الهندية » ، و « المقامة القنصلية » ، و « المقامة البرلمانية » ، و « المقامة الصحفية » ، و « المقامة الباريسية » ، و « المقامة الجنيفية » ، وكلها مكتوبة في شكل المقامات العربية الذي يجمع بين سرد الراوي والقصة والشعر والحوار والسخرية والفكاهة ويضيف إليها موضوعات عصرية ، مستمدة من تجارب أديبنا الكبير في الطب والدراسة والأسفار والسياسة والأدب وأوجه الحياة المختلفة ، كما تجمع بين السجع والأسلوب التراثي وشخصيات التراث العربي .

هذه هي - بإيجاز شديد - بعض وجوه الأصالة والعروبة في أعمال الأديب الكبير عبدالسلام العجيلي . □



بقلم : فهمي هويدي



لا نفهم لماذا تسلط الأضواء على النظام العقابي في الشريعة الاسلامية ، ولا يأتي أحد من الدعاة في زماننا على ذكر « التوبة » من قريب أو من بعيد .

ورغم أننا نتحفظ من الأساس على مبدأ تصور الشريعة باعتبارها حدودا فقط ، ونعتبر أن الخطاب الاسلامي رسالة هداية قبل أن يكون نظاما عقابيا ، الا أننا نسجل على المولعين بملاحقة الحدود في كل حديث عن الشريعة أنهم ارتكبوا في حق الشريعة نفسها جنايتين : جناية تقليصها الى حد اعتبار الحدود مرادفا لها ، وجناية تغييب التوبة والعفو في الحديث عن الحدود ، واسقاطهما من الحساب في الوعي الاسلامي العام .

ولقد عرضنا في مواضع عدة من قبل - على صفحات « العربي » بوجه أخص - لآفاق الشريعة الرحبة ، وتجاوزها اطار الحدود ومفهومها . ويهمنا هنا أن نعرض لصفحة التوبة المطوية ، ليس باعتبارها عنصرا مهما في تصحيح النظرة للاسلام ونظامه العقابي فقط ، ولكن باعتبارها أحد مظاهر التميز الفريد للشريعة الاسلامية على غيرها من الشرائع والأنظمة القانونية السائدة . فان قلنا أن التوبة تسقط الحد في المفهوم الاسلامي لم نستطع أن نقول ذلك بالنسبة للقاعدة العامة في القوانين الوضعية لأن توبة الجاني فيها لا تسقط عنه العقوبة .

التوبة تعبير قوي عن حرص الشرع على تقويم العصاة والآثمين ، وترجيعهم الى الحق والصواب ، أكثر من حرصه على تجريم هؤلاء وتوقيع العقوبة عليهم . وهو ما انتبه اليه الباحثون المتخصصون في القانون الجزائي (الجنائي) الاسلامي ، بينما غفل عنه أكثر الدعاة وأصحاب المنابر المختلفة في الساحة الاسلامية ، ومحاضروه .

ولقد تحدثنا في عدد الشهر الماضي من العربي عن

صفحة التيسير ورفع الحرج عن الناس التي يجاهلها المتشددون والمتزمتون ، أما حديثنا عن التوبة فيمثل خطوة على طريق فتح الصفحات المطوية من سجل الفهم المستنير للشريعة .

حصار الاثم والمعصية

وإن شئنا أن نضع الأمر في إطاره الاسلامي الصحيح فقد نقول إن حصار الاثم والمعصية بكل السبل يمثل احدى ركائز التعاون على البر والتقوى الذي دعت اليه رسالة الاسلام ، وهنا يتعين علينا أن نفرق - في مواجهة الاثم والمعصية - بين أن يكون المرء جانيا ، أو مجنيا عليه ، أو طرفا ثالثا ليس له علاقة مباشرة بالحدث

هذا الطرف الأخير يدعوه أدب الاسلام وتعاليمه أن يتخذ موقف « الستر » ، وعدم إشاعة الفاحشة بين الناس . أما الجاني فباب « التوبة » مفتوح أمامه ، وإذا كان المرء مجنيا عليه فيحثه الاسلام على أن يتحلى « بالعفو » حتى يثاب عليه

والتوجيهات النبوية التي تحث على « الستر » عديدة ، ففي الحديث من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ، (وفي رواية ستره الله في الدنيا والآخرة) . وفي حديث آخر لايستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ، من ستر عورة فكأنما استحيا موءودة في قبرها ، لايرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها إلا أدخله الله الجنة .

وقال صلى الله عليه وسلم لمن اصطحب أحد المسلمين ليعترف أمامه بارتكاب الزنا . هلا سترته بثوبك .

ويعقب الامام الغزالي في (احياء علوم الدين) على هذه الواقعة قائلا أنها من أعظم الأدلة على طلب الشارع لستر الفواحش ، فإن أفحشها الزنا . وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون (الواقعة) . . وهذا لايتفق ، وإن علمه القاضي بنفسه تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه . . انظر الى كثيف ستر الله ، كيف أسبله على العصاة من خلقه ، بتضييق الطريق في كشفه (الاحياء ج٢ ص١٩٩) .

وللستر ضوابط جرت على ألسنة الفقهاء ، بينها أن تكون المعصية قد وقعت وانقضت ، وألا يؤدي الستر الى مفسدة أكبر (كما في حالة التستر على الجرائم) ، وأن يجري الستر على من لم يعتد المعصية أو يجاهر بها ، غير أن الذي يعنينا من السياق الراهن هو إثبات قيمة الستر وأهميتها في صيانة مجتمع الفضائل الاسلامي ، وربما جاز لنا أن نفصل في ضوابط هذه القيمة ، وضماناتها في حديث لاحق . لكن لابد ان نلفت النظر الى خطأ المسارعة الى الاعلان عن الفواحش والمنكرات ، مما يهتك الستر ، ويكشف العورات ، ويصادر فرص تقويم الانحراف ، وحصر المعاصي في أضيق نطاق .

اسقاط الحد الشرعي

ثمة جدل بين الفقهاء حول دور التوبة في اسقاط الحد الشرعي . وإن كان اتفاقهم قائما على أن التوبة تسقط العقوبة في جريمة الحرابة ، استنادا الى النص القرآني (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض .ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم) « المائدة ٣٣و٣٤ »

ففي ظل هاتين الآيتين لم يعد هناك شك في قبول توبة المحارب ، وإعفائه من العقاب ، إذا تحققت التوبة قبل القدرة عليه ، أي قبل أن تصل اليه يد سلطات الدولة ، إنما الذي أثار الجدل هو مدى تأثير التوبة في وقف العقوبات المقدرة عن الجرائم الأخرى وعلى الأخص الحدود .

في هذا الأمر اتخذ الفقهاء موقفين على النحو التالي :

● فريق رأى أن التوبة ليست سببا للاعفاء من العقاب في غير جريمة الحرابة ، وأن النص القرآني ورد في شأن جريمة الحرابة ، لا يتعداها الى غيرها من الجرائم . وهذا رأي الظاهرية والحنفية والمالكية ، وبعض الشافعية والحنابلة . وقد استدل هؤلاء بأن الأمر الوارد في القرآن والسنة بتوقيع العقاب جاء عاما ، ولم يستثن من تاب من توقيع العقوبة . وقالوا أيضا ان الرسول قد أوقع الحد على بعض من جاءوا اليه تائبين معترفين بذنوبهم ، وأضافوا بأن العقوبة هي التي تزجر المجرم عن الجريمة ، وأن القول بمنع العقاب بسبب التوبة يؤدي إلى ابطال العقوبات كلها ، وكل مجرم لا يعجز عن ادعاء التوبة .

والعبرة قولهم إن مساواة المحارب بغيره من المجرمين غير عادلة ، لأن المحارب يكون غير مقدور عليه عادة ، وإعفاؤه من العقاب إذا تاب يشجعه على العدول عن موقفه ، وكف شره وفساده عن الناس ، وليس لهذا المعنى وجود في غير المحارب .

● أما الفريق الثاني فيرى أن التوبة سبب للاعفاء من العقوبة في الحدود كلها ، وليس في جريمة الحرابة فقط ، وحجتهم أن النص على جعل توبة المحارب سببا للاعفاء من عقوبة الحرابة يقتضي جعل التوبة سببا للاعفاء من بقية الجرائم ، لأن جريمة الحرابة هي الأشد الأفظع ، فاذا أسقطت التوبة عقوبتها فالأولى أن تؤدي الى اسقاط العقوبة فيما دونها من جرائم .

ويستدلون أيضا بأن القرآن الكريم قد نص على التوبة في عقوبة الزنا ـ قبل تشريع الحد ـ كمانع من العقاب ، وذلك في قوله تعالى (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) (النساء آية ١٦) .

ويستدلون كذلك بأن القرآن الكريم قد ذكر حد السارق ، وذكر معه التوبة في قوله تعالى : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فان الله يتوب عليه) (المائدة ـ آية ٣٩)

التائب والعقوبة

وقد احتج لهذا المذهب الامام الشافعي في كتابه (الأم) ، وأيد في ذلك ابن قيم الجوزية في (اعلام الموقعين) حيث قال ردا على المفرقين بين المحارب وغيره في الاعفاء من العقوبات بالتوبة : « أين في نصوص الشارع هذا التفريق ؟ بل نصه على اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه من باب التنبيه على اعتبار توبة غيره بطريق الأولى » . ويقول أيضا : والله تعالى جعل الحدود عقوبة لأرباب الجرائم ، ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا ، فليس في شرع الله ولا قدره عقوبة تائب البتة . وفي الصحيحين في حديث أنس قال : كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فجاءه رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه علي . قال : ولم يسأل عنه ، فحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي . فلما قضيت الصلاة ، قام اليه الرجل ، فأعاد قوله ، فقال له النبي : « أليس قد صليت معنا ؟ قال . نعم ، قال : فإن الله عز وجل قد غفر لك ذنبك » . وفي هذا الصدد أيضا يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله : « التائب من الذنب كمن لاذنب له » .

وفي المقابلة بين الرأيين يرجح الرأي الثاني الذي يؤيده أيضا عدد عديد من فقهائنا المعاصرين ، من أمثال الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ محمد مصطفى شلبي والأستاذ عبد القادر عودة وما كتبه الدكتور محمد سليم العوا لتعزيز هذا الرأي أن القرآن الكريم احتفى بالتوبة حفاوة ملحوظة ، إذ كرر السياق القرآني النص عليها أكثر من مائة مرة ، حتى لاتكاد تخلو آية فيها ذكر ذنب من ذكر التوبة معه ، والترغيب فيها ، والحض عليها ، وفي ذلك تنبيه لايخفى الى وجوب أن يكون للتوبة في المؤاخذة على الذنوب ، دنيوية كانت هذه المؤاخذة أم أخروية ،

فأما في الآخرة فإن الله يغفر الذنب ولا يعاقب عليه ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ (طه - آية ٨٢) .

وأما في الدنيا فيمتنع العقاب باعتبار التوبة عذرا معفوًا عنه .

ونحن نضيف الى الأدلة التي أشرنا إليها في اعتبار التوبة سببا كافيا للاعفاء من الحد أو العقوبة أن هذا الموقف يعتبر أكثر اتساقا مع وظيفة الرسالة السماوية التي تعنى بالدرجة الأولى بالهداية والاستقامة والعدول الذاتي عن المعصية .

ويرد الدكتور العوا على الادعاء بأن اقرار مبدأ قبول توبة الجاني أو الآثم يفتح الباب للهرب من العقاب . لأنه بمقدور كل من ارتكب جريمة أن يدعي التوبة ويقول . بأن اقرار ذلك المبدأ لايمنع القاضي من وزن التوبة بميزان الواقع . ولا يحول ذلك دون أن يقدر القاضي طبيعة تلك التوبة . وأثرها في ضوء ما يثبت لديه من أدلة وقرائن . فاذا تبين لديه أنها ليست سوى حيلة من جانب الجاني الذي تكرر وقوعه في الجريمة مثلا . فلا تثريب على القاضي إن أهدر التوبة ولم يعتد بها . وإن كان يرى - ونحن معه - بأنه خير للقاضي أن يخطيء ليحكم بامتناع العقوبة للتوبة ، حتى لو لم تكن صادقة ، من أن يوقع العقاب مهملا اعتبار التوبة التي قد تكون صادقة . لأن مآل مدعي التوبة أن ينكشف أمره في جريمة أخرى (في أصول النظام الجنائي الاسلامي - ص١٠٩) .

ويشترط لكي تسقط التوبة العقوبة أن تكون الجريمة مما يتعلق بحق الله ، أي أن تكون من الجرائم الماسة بحقوق الجماعة ، كالزنا وشرب الخمر ، وألا تكون مما يمس حق الأفراد . كالقتل أو الضرب لأن هذه الجرائم يسقطها العفو ، ولا تسقطها التوبة ، كما سنرى . ويشترط بعض الفقهاء أن تكون التوبة مصحوبة بإصلاح العمل ، مما يقتضي مضي مدة يعلم بها صدق التوبة ، ولكن الاتجاه الراجح يكتفي بالتوبة ، ولا يشترط إصلاح العمل (عبد القادر عودة - التشريع الجنائي الاسلامي - ج١ - ص٣٥٢)

التوبة المشروطة

ومما يسجله الدكتور محمد العوا من ملاحظات على فكرة التوبة ما يلي :

- أنها تتيح الفرصة للاقلال من توقيع العقاب في جرائم الحدود . وتلتقي فكرة التوبة في هذا الخصوص مع فكرة درء الحدود . أو العقوبات بالشبهات في أثر كل منهما على حالات توقيع العقوبة القضائية . والرغبة الواضحة في الفقه الاسلامي عامة الى التقليل ما أمكن من هذه الحالات

- أن التوبة كسبب للاعفاء من العقاب ينصرف أثرها الى العقوبة فقط . دون أن تمتد لوجه المساءلة الأخرى عن فعل الجاني ، خاصة المساءلة المدنية . المتمثلة في تعويض من أصابه الضرر من الجريمة ، أو في رد ملكه إليه .

- ان التوبة توجب الاعفاء من العقوبة اذا كان الجاني يحاكم لأول مرة . أما من تكرر وقوع الجريمة منه فان التوبة لاتعتبر عذرا معفيا في حقه ، الا اذا قدر القاضي غير ذلك . أي أن الاعفاء من العقوبة بسبب التوبة هو إعفاء وجوبي في المرة الأولى . وجوازي بعد ذلك

- ان الاعفاء من العقوبة المقدرة في جريمة الحرابة بنص القرآن الكريم ، يماثله ما تقرره النظم الجنائية الحديثة من الاعفاء من العقوبة المقررة بالنسبة للمتهمين في جرائم أمن الدولة ، وهو ما تقرره مواد قانون العقوبات في كل من مصر والسودان ، لكن الفارق الأساسي بين التوبة المقررة في النص القرآني - بالنسبة للحرابة - ونصوص القانونين المصري والسوداني هو أن التوبة في النص القرآني مطلقة ، وليست معلقة على شرط ، بينما هي في هذين القانونين مشروطة بأن تؤدي الى ضبط جناة آخرين أو كشف جرائم أخرى .

ويضيف أستاذنا المستشار عبد الحليم الجندي في بحث له حول الشبهات المثارة حول تطبيق الشريعة في العصر الحديث ، أن نظام العقوبات الأوروبي الذي اقتبست منه دولنا أكثر مواده - فضلا عن فلسفته - لا يوفر أي تشجيع للمذنب لكي يتوب عن فعله ولا يعود اليه ، وأن الفلسفة العقابية الوضعية بموقفها ذاك - ولأسباب أخرى - لم تنجح في الحد من ارتكاب الجرائم ، ومنذ دخل هذا النظام الى مصر - في الثلث الأخير من القرن الماضي - والجرائم بازدياد . وفي هذا أيضا يقول الدكتور شفيق شحاته - من أساطين القانون في مصر - « ان القانون الجنائي المصري - الأوروبي الأصل - استحدث عقوبات واجراءات للتحقيق ، غريبة عن البلاد ، كما أسفر - في بادىء الأمر - عن قدر من الاضطراب عند التطبيق ، وقد ازدادت الجرائم بعد صدوره زيادة لفتت الأنظار ، وهذا ما دعا الى تشكيل لجنة لبحث الأمر في سنة ١٨٨٤ » .

قيمة جديدة

يعد « العفو » قيمة جديدة تماما ، زرعها الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية الذي كان الثأر والقصاص من ركائز قيمه السائدة ، اذ جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » (الشورى - ٤٠) وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله - « ما زاد عبد بعفو إلا عزا » ، ونقل أبي هريرة قوله « ما رفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصاص إلا طلب العفو

والعفو جائز في جرائم الاعتداء على الأشخاص بالقتل أو الجرح أو الضرب ، وهي الجرائم التي اصطلح الفقهاء المسلمون على تسميتها بجرائم القصاص والدية ، وهذا العفو مقرر لصاحب الحق المعتدى عليه - سواء كان هو المجني عليه في جرائم الجرح والضرب ، أو ورثته أو أولياؤه في جرائم القتل

والعفو من الناحية الشرعية جائز في القصاص ، وجائز أيضا في الدية . لكن يظل أثر العفو في كل الحالات محدودا بالعقوبة ، وليس ساريا في شأن الجريمة .

فللشخص أن يعفو عن توقيع العقوبة ، وللسلطة أن تعاقب الجاني تعزيرا ، اذا رأت أن للجماعة حقا قد تعرض للاعتداء في الجريمة يجب اقتضاؤه .

لقد أسهم غرس قيمة العفو في التربية الاسلامية المبكر في تقليص دور الثأر الذي يترتب عليه توسيع نطاق الجريمة واستمرارها . فضلا عن أن إعلاء شأن العفو في التوجيهات القرآنية والنبوية كان بمثابة دعوة مستمرة الى ترجيح كفة المودة والتراحم ، وكبت نوازع الانتقام والثأر .

إن أي حديث عن الحدود أو النظام العقابي الاسلامي يظل منقوصا ما لم يتوازى معه تبيان أهمية التوبة والعفو والستر أو يسبقه . وتجاهل تلك الصفحة هو النحو الحادث للانسان يمثل ظلما فادحا للشريعة ، وتجنيا على عدالة الله ورحمته ، عبر تشويهه والتنكر لاستمراره . □



■ إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد

(أبو بكر الصديق رضي الله عنه)

■ القلم بريد القلب ، يخبر بالخبر ، وينظر بلا نظر (ابن المقفع)



كتاب العربي مرآة العقل العربي



المغربي

أسطورة الإنسان .. عبر الزمان والمكان

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

« الريف » كما يعرفه الناس .. قرية وحقل وزرع ومياه .. أما « الريف » كما رأيناه فشيء آخر غير كل ذلك .. جبال وهضاب وسفوح وغابات .. قمم تتوجها ثلوج بيضاء .. وأرض تغطيها صخور جرداء .. وبين كل هذه المتناقضات تجري أسطورة الانسان .. عبر الزمان والمكان ..



انطلقنا هذه المرة الى شمال المغرب .. كنا قد قررنا أن نخترق سلسلة جبال الريف المغربي بالطول وبالعرض .. نعيش مع الذين صنعوا أسطورة الحياة .. ونخوض بين ثنايا المرتفعات والهضاب والسهول والوديان .. ونغوص في أعماق الغابات والأحراش .. فوق القمم وعلى السفوح .. ونطل على أرض المعركة التي شهدت مصارع الغزاة بأيدي المجاهدين الأبطال .

كانت انطلاقتنا من جامع القرويين قلب مدينة فاس .. تلتها البركة .. وودعنا من مدينة سيدي حرازم .. وبدأنا المسير .. "

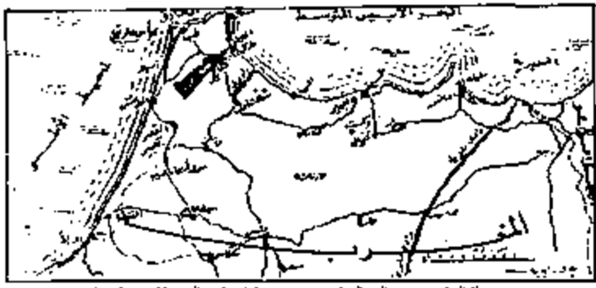
في قلب الريف

كانت السيارة تواصل الصعود بنا في الطرق الجبلية وهي تلتوي كالثعابين .. ونحن نخترق جبال الريف . كنا قد تحركنا في طريقنا إلى « تازة » عند أقدام الريف .. لندخل إقليم الحسيمة .. ونبدأ اختراقنا بالعرض لسلسلة الجبال متجهين الى مدينة الحسيمة عاصمة الريف على شاطىء المتوسط . وننطلق صاعدين ومنحدرين بين الجبال والهضاب والسهول والوديان التي كانت تشكل كلها حصن المغرب الشمالي ضد الغزاة عبر التاريخ

مشاهد الطبيعة من حولنا مثيرة خلابة .. ونهر الملوية الذي يخترق جبال الريف يجري برفقتنا ، يشق طريقه صانعا بحيرات في بعض سهول مجراه .. متيحا الفرصة للسيارات في بعض الأماكن الضحلة أن تمر مخترقة المجرى وسط مياهه الجارية .. ويضرب رذاذ المياه جوانب السيارة .. ونحس برودتها وهي تتدفق من منابعها في أعالي جبال الأطلس لتصب في البحر المتوسط بين مليلية والناضور غربي الحدود المغربية الجزائرية . ونجد أنفسنا وقد أطلت علينا غابات السنديان والفلين والصنوبر والأرز من فوق القمم ، بينما تنتشر أمامنا على السفوح وفي المنخفضات أشجار اللوز والبرتقال وحقول الحبوب والخضر والقطاني والكلأ . وتشهد طوابير المزارعين يعملون في المزارع التي يشكل إنتاجها موردا أساسيا لحوالي ٧٠٪ من السكان . وتغطي مساحة تصل الى ١٢٣ ألف هكتار ، تعادل ٢٥٪ من المساحة الكلية لاقليم الحسيمة . اكبر اقاليم الريف الذي يحتل مكانة بارزة في نشاط السكان

الطريق يتصاعد باستمرار .. والمرتفعات على شكل أمواج تتخللها بين الحين والآخر قمم واستدارات ثم سهول ووديان هي في الحقيقة أعلى من سطح البحر بمئات الأمتار . فجبال الكتلة الشرقية من الريف تتصاعد قممها حتى يبلغ بعضها ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر .. بينما تغطي سفوحها الغابات والشلالات والانهار والتلال الخضر والسهول المزهرة ، مما يجعل للمنطقة أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية ، خاصة مع توافر المياه التي تغذي أهم الأودية في (واد نكور) .. و (واد غيس) و (واد بوفراح) و (واد مسطاسا) .

يقول مرافقنا الاعلامي ادريس عثمان الادريسي ونحن على الطريق : اسم « الريف » بالمعنى الجغرافي الضيق ، يطلق على القسم الشمالي من المملكة المغربية ، وهي المنطقة المحصورة التي تضم جزءا من ساحل البحر الابيض بين مضيق جبل طارق والحدود الجزائرية . كما تطل في غربها على سواحل المحيط الأطلسي بين طنجة وجنوب العرائش ، ويفصلها عرضا عن جبال الأطلس الأوسط وادي ممر شمال وجدة وتازة ووزان . وقد أطلق الجغرافيون العرب مثل ابن خلدون والحسن الوزان على هذه المنطقة اسم الريف .. وهي منطقة تبلغ مساحتها حوالي ٢٦ ألف كيلومتر مربع وطولها حوالي ٣٢٠ كم ومعدل عرضها ٧٠ كم تتراوح بين ١٢٥ كم في الطرف الغربي و ٢٥ كم في الطرف الشرقي وحوالي ٧٥ كم في المناطق الوسطى . أما الكتلة الغربية فتقتصر على هضاب عالية وسهول وأودية ، وتطل على الساحل الافريقي الشمالي الغربي على المحيط الاطلسي وتعرف « بالجبالة » .



ـ خريطة الريف . . . في الشمال المغربي على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط

قبائل الريف

أهالي الريف كله يتجاوز عددهم المليون نسمة أغلبهم من المزارعين ومربي الماشية . هم متشبثون بأرضهم ولو كانت قطعة صغيرة ضئيلة ، ويمارسون الفلاحة بمختلف أنواعها بما يتكيف مع حاجيات الاقتصاد المحلي . ولكن الناتج الزراعي لا يغطي حاجة السكان لأن الأرض ليست خصبة بشكل جيد . ولاشك أن الانقسام الطبيعي في المنطقة يجعل هناك تفرقة في أجناس السكان تبعا لكل جبل وتل ، أو سهل وواد ، أو سفح ومنحدر . . ويؤدي ذلك بالتالي إلى اختلاف في طبيعة السكان .

وما لفت نظرنا في لقاءاتنا بالجبليين أنهم ذوو عيون زرقاء ، بيض الوجوه ، مع شعر يميل إلى الشقرة . كما أنهم أصحاب ذكاء ورقة . وقد اشتغلوا خلال مختلف مراحل التاريخ بالزراعة والصيد ، ويعتبرون جنودا لا مثيل لهم ، لا يقبلون سلطة من غير من اختاروه ليمثلهم أمام نواب السلطة المركزية .

هكذا التقيناهم في مختلف المدن التي مررنا بها . . في تامسينت واكنول ثم تاركيست . . وهناك في تاوريرت . القرية التي كان العمال يخرجون عن طريقها إلى المرسى الكبير بالجزائر ، من أجل البحث عن عمل ، إذ كانت بمثابة باب الخروج من الريف والدخول إليه . ومن تاوريرت نعود إلى « أنوال » لنأخذ طريقنا إلى قرية أجدير ومدينة الحسيمة .

ونقف عند « أنوال » . . . . . .

هنا . . على هذه الساحة ، دارت معركة « أنوال » قمة معارك الريف المغربي . وابتلعت الرمال دماء حوالي عشرين ألف جندي إسباني انتحر قائدهم العام بعد أن سحق كل جيشه على أيدي ثوار الريف . . . الذين انتصروا على الغزاة الإسبان . بقيادة زعيمهم وبطلهم الأسطورة . محمد عبدالكريم الخطابي . . .

أرسلنا البصر إلى ساحة المعركة حيث أشار مرافقنا . واد أخضر واسع تغطيه زراعات القمح والشعير ، ويحيط به من جميع الجوانب دائرة جبال الريف ، بقممها العالية ، التي لا يبدو على سفوحها أي أثر للحياة .

وراء هذه القمم والسفوح كان يختفي ذات يوم خمسة آلاف من المجاهدين الريفيين ، ليس بأيديهم سوى البنادق ، بينما يتمركز في قلب الوادي معسكر كبير يضم حوالي عشرين ألفا من العسكر الإسبان ، يحتمون وراء مائة وخمسين مدفعا وخمسة وعشرين ألفا من البنادق وعشرة ملايين من طلقات الرصاص ، ومئات من مركبات النقل وأدوات المواصلات وصناديق الذخيرة . .



- قصة البطولات طريفة كما يتذكرها المجاهدون القدامى . فهم لا ينسون أبدا يوم « انوال » حيث دارت المعركة في الساحة (الصورة الوسطى) ليسجل التاريخ يوما من أيام العرب المجيدة .. ومن مقر قيادة الخطابي (الصورة السفلى) انطلقت أسطورة الأسد الذي صنع تاريخ الريف .







ـ شاطئ مدينة الحسيمة حيث تمتد المنتجعات السياحية حتى تحتل بقعة في خليجها .
(الصورة العليا) وغير بعيد منه يقوم الميناء وعلى رصيفه أحد الصيادين يصلح شباك الصيد (إلى اليمين) .

وفي الواحد والعشرين من يوليو ١٩٢١ قرر قائد الريف - بعد أن تلقى إنذارا من القائد الاسباني - أن يقوم بهجوم مركز على القيادة العامة للجنرال سلفستر. وقطع عبدالكريم خطوط التموين الاسبانية بعد أن احتل المراكز الاستراتيجية المحيطة بأنوال. وأغلق المجاهدون بأمر من زعيمهم يوجهون مجاري مياه الجبال نحو المنطقة التي تحيط بالقيادة العامة.. وأرغمت الأوحال الخارقل حول المركز داخل الوادي واتخذ قرار باستدعاء جميع قواته للخروج من المأزق.

وبدأت المعركة. وخلد عبدالكريم وأبطاله في سجل التاريخ يوما من أيام العرب المجيدة.. هو يوم «أنوال».

ففي تلك المعركة التي ظلت مشتعلة الأوار ثلاثة أيام كاملة، فتكت حفنة من رجال المغرب الأبطال بعشرين ألف أسباني مسلحين، فلم يفلت منهم غير عشرات ألقوا السلاح وطلبوا النجاة. ولكنهم أرغموا على التسليم وأرسلوا الى معسكرات الأسرى في الجبال بعد انتحار القائد العام.

ولكن الأهم من كل ذلك هو استيلاء المجاهدين على كل المدافع والأسلحة والمركبات والذخيرة التي تركها المنهزمون. وأصبحت هي عماد السلاح الذي حاربوا به الأسبان طوال خمس سنوات تحت قيادة محمد عبدالكريم الخطابي الذي لقبه دول الغرب بعد هذه المعركة «بنابليون الريف».

في مقر القيادة الريفية

كل ذلك تذكرناه ونحن نعاود الانحدار من أعالي الجبال لنهبط الى المنطقة الساحلية

وندخل قرية أجدير.. ونسمع.

«أنتم أول صحفيين عرب.. بل وأجانب. يحضرون لزيارة مقر قيادة عبدالكريم الخطابي في أجدير.. رغم أن هذا المقر لعب دورا خطيرا في ثورة الريف».

هكذا قال لنا رئيس دائرة أجدير أحبيب بريكي ونحن نقف أمام مبنى القيادة العامة التي شهدت تطورات معارك الريف طوال خمس سنوات. المبنى يقع في منطقة أملاك قبيلة بني ورياغل التي كان يتزعمها عبدالكريم الخطابي، وهو عبارة عن بيت كبير أبيض اللون من طابقين طوله خمسة وستون مترا وعرضه عشرة أمتار، ويضم القاعة الوسطى وقاعتين أخريين على كل من الجانبين، ويطل المدخل الخلفي على ساحة في نهايتها دار عبدالكريم وأسرته. أما المدخل الأمامي فتمتد منه ردهة طويلة. ذات أعمدة شبه رومانية على الجانبين، وتنحدر بمدرجات مبلطة الى حوالي مائة متر.. وتقوم بجوار المدخل الخلفي درجات توصل الى سطح المبنى. ومن فوق هذا السطح كانت قيادة المجاهدين تطل على جزيرة الحسيمة المواجهة على مسافة قليلة من الساحل، وتراقب تحركات الغزاة الاسبان بسفنهم وهم يوجهون نيران مدافعهم الى تجمعات المجاهدين ومركز قيادتهم. ولكن هذه المدافع عجزت عن تدمير المقر إذ كانت تواجهه باستمرار بطلقات أشد من المدفعية الريفية التي كان يطلقها المجاهدون الرابضون فوق خبأ أقاموه تحت الأرض يتخذونه مسجدا لصلاتهم ومركزا للهجوم على الاسبان، وهو مازال حتى الآن قائما عند مدخل نادي البحر الأبيض للسباحة

مقر القيادة كما شهدناه يكاد يكون قائما حتى الآن، لم يتهدم منه سوى أجزاء من جدرانه الداخلية، بحيث لا يحتاج لغير قليل من الاهتمام لاعادة ترميمه وجعله مزارا تاريخيا وسياحيا يؤمه السياح الاوروبيون والعرب، حتى يدركوا قيمة هذه الثورة الرائعة التي خاضها الريفيون ضد الغزاة. ولقد استفسرنا من رئيس دائرة أجدير عن سر إهمال ذلك المبنى التاريخي. فكانت اجابته أن الأسبان عند انسحابهم من المنطقة بعد الاستقلال، تركوه لأبناء قبيلة بني ورياغل، الذين رفضوا تسليمه الى السلطات المحلية باعتباره من أملاك

القبيلة .. ولكنهم تركوه على حاله ، فلأنهم اعتزوا به ، ولأنهم سمحوا للسلطات بتحويله الى مزار تاريخي يمثل مرحلة طويلة من الجهاد الذي خاضه أبناء الريف المغربي

منتجع الحسيمة

ونصل إلى مدينة الحسيمة .. عاصمة الريف .. ونلتقي بعامل الاقليم (المحافظ) السيد البحتري محمد ونعرف منه الكثير

عن اسم الحسيمة .. فهو من كلمة « الخزامة » وهو نبات كان منتشرا في ضواحي جزيرة النكور التي يحتلها الاسبان منذ ١٦٧٣ ، ويستعمل في علاج أمراض الجهاز التنفسي ونظافة الشعر . وحرف الاسبان الاسم الى « الهوسيماس » ثم الحسيمة في أوائل استقلال المغرب .. أما المدينة فهي حديثة العهد ، لم تنشأ إلا في بداية القرن العشرين ، أي في ١٩٢٤

وقد احتلت الحسيمة في الستينات والسبعينات مكانة كبيرة ومركزا مهما في المجال السياحي باعتبارها قطبا سياحيا قائما بذاته .. وتم اختيارها من طرف جهاز متخصص كان هدفه الاعداد لمؤهلاتها التي تشكل مساحة سياحية متكاملة من مناظر طبيعية خلابة الى شواطئ كثيفة هي مقصد السياح الذين يفدون إليها من كل أصقاع العالم ، قاصدين الراحة والمتعة والاستجمام على أجمل الشواطئ المغربية . وأبرزها شاطئ خليج الحسيمة وشاطئ المنظر الجميل وشاطئ قوزع بمنطقة بني بوفراح ويعتبر من أجمل الشواطئ على ساحل البحر المتوسط .. كما أن سياحة الجبل لا تقل في أهميتها عن الشواطئ .. وهي تتمثل في روعة جباله وخاصة منطقة كتامة التي تحتفظ تحت ظلالها بتاريخ أكثر من قرنين من الزمان .. كما أن الجبال الشاهقة تمكن من التزلج على صفحات الجليد .

ونقف على شرفة فندق محمد الخامس المطل على خليج الحسيمة .. مشهد رائع لشاطئ سياحي تحيط به ثلاثة حوائط صخرية تزيد المشهد روعة ، بينما تبرز صخرة ناتئة في وسط المياه اللازوردية بوصايتها الشامخة الصافية حيث تمتد على طول الشاطئ ، منتجعات سياحية بعضها من المباني البيضاء والبعض الآخر من « البانجالو » تزيد المنظر جمالا وبهاء .

وفوق سفح الجبل تتناثر البيوت ذات اللون الأبيض وهي تطل على الشاطئ .. ويزداد جمال المشهد حين يأتي الليل وتتناثر الأضواء على سفوح التلال كأنها النجوم على صفحة السماء

أما الشاطئ المواجه جزيرة الحسيمة المحتلة فتقوم له قرية « نادي البحر الأبيض المتوسط » على مساحة مغروسة بالأشجار والنخيل تمتد على مساحة ٥٠ هكتارا وتضم مجموعات من الأكشاك السياحية تصل طاقتها الايوائية الى أكثر من ١٤٠٠ سرير

بالاضافة الى كل ذلك توجد شواطئ صخرية رائعة على طول سواحل الاقليم وإن كانت غير مجهزة .. ولا يمكن الوصول اليها الا عن طريق البحر .. ولكنها كلها تبشر بمستقبل سياحي لو اتيحت لها فرصة الاستثمار

تطوان .. والكنز المدفون

عندما عدنا لاستكمال جولتنا والانطلاق عبر طول جبال الريف من الغرب الى الشرق .. بعد أن اخترقناها عرضا من الجنوب الى الشمال .. كان علينا أن نذهب الى تطوان على مسافة حوالي ستين كيلومترا شرقي طنجة

وسمعنا قصة رواها المؤرخون عن بدايات تطوان

فبعد انهيار حكم البطالمة في مصر بانتحار آخر ملوكها كليوباترا .. نقل أبناء الملكة وأفراد أسرتها الى روما في رعاية الامبراطور أوغسطس قيصر .. وكان لكليوباترا ابنة من انطونيوس عرفت باسم « كليوباترا سيلانه » زفت الى « جوبا » الثاني ملك « موريطانيا » وهو الاسم الذي كان يطلق على كل الاراضي المغربية بالشمال الافريقي .. فلما تولى جوبا











عام ١٨ بعد الميلاد خلفه على العرش ابنه بطليموس حفيد كليوباترا من ابنتها سيلانة . وحافظ بطليموس على صداقته بالرومانيين اللذين أقروه على ملكه . وفي عام ٤٠ ميلادية جاء على عرش امبراطورية الرومان الامبراطور « كاليجولا » السفاح الذي كان قد بلغه أن في حوزة ملك موريطانيا أكداسا من الذهب والفضة والحلي والجواهر هي ما بقي من كنوز البطالمة التي نقلت من الاسكندرية يوم رحلت عنها الأسرة المالكة . ورسم الامبراطور خطة للاستيلاء على الكنز الذي نقلته الملكة المغربية أوربيا زوجة بطليموس [illegible] . [illegible] معرفة سر الكنز أرسل يطلب من بطليموس أن يهديه وصيفة الملكة لتكون في خدمته ، لعله يستطيع من خلالها معرفة المخبأ الذي يضم تلك الكنوز . ولكن الوصيفة التي أرسلها الامبراطور [illegible] جاسوسة له على مولاتها أصبحت [illegible] نفسه . وحين أرسل الامبراطور يدعو ملك بطليموس للحضور في ضيافته بروما [illegible] الفتاة في المملكة « أورابيا » تحذرها من نتيجة تلك الدعوة . لأن الامبراطور [illegible] بطليموس بالتحذير وانطلق معها [illegible] كاليجولا .

وفي قصره مأدبة [illegible] الامبراطور [illegible] الملك بطليموس [illegible] ، وسمع صوت وصيفة [illegible] فلا يملك أولات [illegible] . فالامبراطور قد عزم على ألا يخرج من هذا المكان حيا . ولكن بطليموس الذي كان قد سكر حتى الثمالة رفع رأسه ووقف مترنحا وهو يهتف مخاطبا كاليجولا : أتسمع أنت ماتقوله هذه الفتاة المجنونة ؟ إنها تدعي أنك عازم على قتلي ، وهي تستحق الموت جزاء افترائها على مولاها القيصر » .

ووثب كاليجولا من مكانه وأشار إلى الفتاة فأطبق عليها الحراس وأخمدوا أنفاسها . وأتمّ الامبراطور مخاطبا بطليموس : « صدقت يا صاحبي .. إنها تستحق الموت حقا . ولكنها كانت صادقة أيضا فيما قالته لك أيها الملك » .

وبإشارة من الامبراطور أطبق الحراس على بطليموس الملك ومزقوا جسده بالخناجر والسيوف ، ثم أصدر أوامره بأن تكون موريطانيا وتوجيهها ولاية رومانية . وحين سمعت الملكة أورابيا نبأ الكارثة فرت من عاصمتها إلى الجبال الغربية واختفت [illegible] حتى رسل كاليجولا للعثور على الملكة أو على الكنوز التي أخفت فيه الكنوز . ولم يستطع أحد حتى بعد أن قتل كاليجولا [illegible] في عام ٤١ ميلادية معرفة مكان [illegible] أورابيا وكنوزها . فقد كانت [illegible] أحدا على سرها . [illegible] الواحة الأخيرة من حياتها في [illegible] .

[illegible] .

غرناطة الجديدة .

تلك إذن كانت بداية تطوان

وفي هذه المدينة القائمة عند أقدام سلسلة جبال الريف من المغرب ، كانت وجهتنا [illegible] . [illegible] الأندلس [illegible] . حتى [illegible] حياة جديدة ، ويستطيعوا أن ينسوا خلالها ذكريات [illegible] الجنة المفقودة

الصورة بدت لنا أكثر وضوحا حين دعينا إلى بيت مؤرخ تطوان المرحوم محمد داود . ودارت بنا في مكتبته الخاصة الزاخرة بالكتب والصحف والمجلات والوثائق والمخطوطات النادرة المغربية [illegible] داود ابنة المؤرخ الذي يذكره الجميع ويحفظون كتاباته ويعرفون من خلالها تاريخ مدينتهم ..

وتسمع من محدثتنا الكثير .

عندما أرغم الأندلسيون على مغادرة جنتهم تفرقوا بين المشرق والمغرب . واتجهت جماعة من جيش المطرودين قوامها لا يزيد على ١٠٠ رجل يقودهم بطل هو القائد أبو الحسن علي المنظري فاستقرت فوق « جبل درسا » على بعد ١٠ كم من ساحل البحر وحوالي ستين كيلومترا من طنجة وأعاد المنظري بناء مدينة تطوان مع بدايات عام ١٤٩٢ بعد أن وجدها موقعها المتميز خير مكان حصين في منعطف الجبل ، كما يسهل للمهاجرين الدفاع عنها وحماية أنفسهم من غارات الآخرين.

في هذا المكان كانت بقايا تطوان القديمة التي كان قد أنشأها أبو ثابت المريني عام ١٣٠٨ م لتكون معسكرا لجنده قبل أن يدمرها ملك قشتالة الإسباني هنري كاستل عام ١٣٩٩ بعد أن ذبح نصف سكانها وساق أمامه النصف الآخر أسرى . وفي هذه المدينة المغربية المهجورة تتابع وصول الأندلسيين وخاصة من أهل غرناطة آخر ممالك الأندلس . حملوا معهم علومهم ومهاراتهم الفنية المرتقية ومظاهر حضارتهم المادية وموسيقاهم الأندلسية وتقاليدهم وأخلاقياتهم الكريمة . وقامت تطوان الجديدة على أيدي هؤلاء المهاجرين الذين شيدوا مبانيها وأسوارها وحصنها على نفس الطراز الأندلسي ليبقى تذكيرهم باستمرار بوطنهم الأم.

وتواصلت مظاهر الحياة في تطوان تخلط قديمها بجديدها ، وتمتزج شخصيتها الأندلسية كما نلاحظ عليها من أساليب العمارة ومظاهر الطابع الحديث . لتصبح أحد أهم المراكز التجارية على البحر الأبيض ، وعلى طول مضيق جبل طارق . وفي ظل هذه التغيرات المتلاحقة تمتعت تطوان بمركز حضاري له أهميته الكبيرة في عهد مولاي إسماعيل مع أوائل القرن الثامن عشر.

ومع الاحتلال الإسباني لشمال المغرب بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٥٦ اتخذ الغزاة تطوان عاصمة لمنطقة حمايتهم . وأصبح بها مقر خليفة السلطان الذي يختاره سلطان المغرب من بين مرشحين تقدمهما إسبانيا ليتولى شئون الحكم تحت الإشراف الإسباني على المنطقة الخليفية . وهي المنطقة الشمالية من المغرب .

وفي بداية عهد الاستقلال عام ١٩٥٦ استردت المدينة عافيتها ، وإن خسرت مركزها كعاصمة للمنطقة الشمالية ، ولكنها استعادت حيويتها . وخلال تلك الفترة طرأ تحول جديد تمثل في نزوح عشرات الآلاف من أبناء الريف استقروا بها فهددوا بتغيير عاداتها وأسلوبها في الحياة وتقاليدها وعرضتها بالضياع . وكي تلك بعض العسرية التي تعيشها تطوان عن جنب خاطر من أجل وحدة التراب المغربي . وتبنت [illegible] خروج رءوس الأموال التي تسربت مع الأوروبيين والإسبان واليهود الذين غادروها مع خروج [illegible] . وتستثمر جماعات حديثة [illegible] ، هو ما تعيشه الآن تطوان وسكانها .

ويطوف بتطوان الحديثة بعد جولة في أسواقها وحول أسوارها وحصنها العتيق .

المدينة تقوم في عرض السفح الشمالي فوق الوادي الذي يجري به نهر مارتيل . وهي تنقسم إلى قسمين الجنوبي ، والشمالي الشرقي ، وكانت قصبة ويشرف عليها حصن قديم على رأس جبل درسة .

ويطل على المدينة من فوق جبل درسة سلسلة الجبال الجنوبية وقممها جبل غرغيز ووراءه عند الأفق جبل بوزيتون ، يرتفع الأول إلى ٨٠٠ متر والثاني إلى ١٢٠٠ متر .

في سفح جبل غرغيز الأخضر تتناثر بضع قرى سمسونيا ، مشاور ، متبا ، بوسملال وبنو صالح وساحلين ، تتخللها بيوت بيضاء تطل من بين البساتين ، بينما ينساب بين السهل وادي مارتيل ، حيث يجري بين سهول مزروعة وبساتين من الكرم

والنور والزيتون تمتد حتى المستنقعات القريبة من البحر ، ومن مصب النهر عند البلدة المشاركة له في الاسم ، والتي كانت تضم ميناء تطوان .

أما في الجبال الجنوبية فتتجلى مشاهد البساتين المحيطة بالبيوت والمروج المنبسطة الممتدة الى الوادي . ثم الصخور المزينة صدورها بالخضرة المزهرة . وبالرؤوس المسنة فوق الاعالي الجرداء وغير بعيد منها يقوم منتزه وطريق يشرف على المنطقة التي تزيد روعة جمالها وقت الغروب .

في قلب القصبة

ونمور في شوارع القصبة . المدينة القديمة . والقصبة في نظام تخطيط المدن الاسلامية هي المدينة المسورة التي تبنى عادة على مرتفع يتخذون له حصنا للمراقبة والحماية . فاذا اقتحم العدو الاسوار لجأ اهل القصبة الى الحصن واستمر الجند في الدفاع .

الماضي في قصبة تطوان ما يزال حيا يرزق . . نلمسه في الأسواق والأزقة المتعرجة التي يسمونها « الزنقات » . وهي سكك ضيقة متقاطعة تلتف عند جدار وتنفذ تحت جدار . تتسع وتضيق ولكنها غاية في النظافة . فلا أوساخ ولا فضلات أمام البيوت ذات الجدران البيضاء المتلاصقة والابواب القصيرة ذات الاقواس والزخارف . بينما مداخل الاسواق تحمل نفس الطابع الاندلسي القديم الذي يذكر بأمجاد غرناطة الجميلة المجاهدة

الشوارع في القسم الحديث من المدينة مخططة بتصميم هندسي وذات اتجاهات واضحة ومرصفة مفروشة كلها بالاسمنت وبعضها بالاسفلت ، وتمتاز بوجود الساحات والحدائق العامة وأبرزها حديقة المشاق التي تحول اسمها الآن الى حديقة مولاي رشيد ، أبرز الساحات ساحة مولاي المهدي يتوسطها بستان مزهر . . ومن هذه الساحة تتشعب ستة اسواق تمتد منها غربا وشرقا وجنوبا وشمالاً وما بينها . أما المباني حولها فحديثة البناء والمتناسقة ذات طبقات متساوية للسكن وبينها مبنى الاذاعة



ـ السوق في الريف هو صلة الوصل بين القرية والمدينة ومع كل صبح جديد ينطلق ... في سوق تطوان يبيعون ويشترون ... . وتكتسي الساحات بالمصنوعات التقليدية التي ...





والتلفزة . وكلية الآداب الإسلامية والمعهد والمدرسة العليا للمعلمين .

على أن من أبرز المعاهد التي زرناها في تطوان مدرسة الصنائع والفنون الوطنية ، الواقعة قرب باب العقلة ، أحد الأبواب السبعة لسور المدينة القديمة . . القاعة الرئيسية تضم معرضا لمختلف الفنون والأعمال والصناعات التقليدية التي تعبر عن حس مرهف ومواهب مبدعة وفن استمد منابعه من الفنون الأندلسية . أما فصول المدرسة فعبارة عن قاعات عملية يضم كل منها مجموعة من الطلاب الذين يدرسون مختلف المهن والصناعات التقليدية ، ويقومون بصنعها بأنامل دقيقة في مختلف أقسام التجليد والتذهيب وزخرفة خشب الأرز المغربي والتلوين . أما في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة فيؤهل الطلبة للالتحاق بعد تخرجهم بكليات الفنون العالمية . ولعل من أبرز الدراسات الفنية ما تتدرب عليه فتيات تطوان في مدرسة المهن الفنية حيث يدرسن العزف على الكمان والقانون والعود وغناء الموشحات الأندلسية . وفي تطوان جوق أندلسي عالي هو الوحيد من نوعه في المغرب .

تضم تطوان متحفين مهمين ، أولهما متحف البحوث الأثرية القديمة حيث تعرض قطع أثرية رومانية وأوان فخارية أندلسية وأفريقية ومجموعات رائعة من المجوهرات والنقود الأثرية وقطع من الفسيفساء عثر عليها في لكسوس . أما الثاني المتحف المتخصص بالفنون والفولكلور . ولكن أبرز المشاهد الأثرية في تطوان هو دار المخزن ، أو القصر الملكي ، إنه آية من آيات الهندسة الأندلسية العتيقة ، مزخرف بأروع صناعات الفسيفساء الملونة ، أرضه وجدرانه كلها مغطاة بالفسيفساء ، وسقفه مغطى بخشب الأرز المزخرف . وعند مدخله نافورة تطلق المياه المتدفقة من العيون التي في الجبال عبر شبكة أنابيب قديمة . . هذا القصر شيده القائد أحمد الذي تولى الحكم بعد مولاي إسماعيل ، ثم

تجددت عمارته في اوائل القرن الحالي

الطريق الى شفشاون

وننطلق على الطريق الى شفشاون مخترقين جبال الريف في جناحها الغربي بطول سلاسلها

طوال انطلاق السيارة على الطرق الجبلية نلتقي برجال البوادي الريفيين يسوقون الدواب المثقلة بالأحمال من بقول وحبوب واحطاب ، قادمين من مناطقهم الى المدينة . ويبدو الفتيات في قبعات شبيهة بالمظلات وهن يحتطبن الحطب الوجوه الصغيرة المكتنزة الوجوه سمراء حافلة [illegible] العيون سوداء ناعسة [illegible] تحلوها [illegible]

وكلهن في ثياب وبرانس [illegible] صفة [illegible] والشريف [illegible] في [illegible] وهي [illegible] في [illegible] والمروج القمحية [illegible] الربيع [illegible] من [illegible] والتلال [illegible] الكواكب في مجموعات [illegible] ، وهي [illegible] والشجر بشكل هرمي

وحين نجتاز نهر [illegible] نلتقي بنهر [illegible] منبعه [illegible] النهر ينحدر الى واد لاو من فرعين . أحدهما من مرتفعات شفشاون والثاني من باب تازة . جبال شفشاون تبدو تماما على الأفق الشرقي تغطي قممها [illegible] كالقرون [illegible] الثلوج . وعبر منحدرات مختلفة وأودية متخصصة والانكسارات شديدة ، حيث تلعب عوامل التعرية وخاصة المائية الناتجة عن تساقط الثلوج والأمطار دورا كبيرا في ضعف التربة وافتقارها للمواد العضوية الضرورية للانبات . وعند ملتقى فرعي النهر تقوم محطة لتوليد الكهرباء لتلقي المياه المنحدرة بسرعة وقوة من [illegible] . وأقيم سد تنطلق المياه من قنواته لتمد بالكهرباء مدن تطوان وشفشاون والعرائش والقصر الكبير و[illegible] .

وتواصل الاقتراب من المدينة ، ونهبط منحدرات جبل حسان ونصل الى مداخل أراضي بني الأحمر حيث تجري مياه عذبة تحت أشجار الزيتون ، الوادي من الجانبين تغطيه حقول الشعير والقمح . نصل فيها حشود من المزارعين بسعادة بالغة . وننتقل الى منحدرات ، يزيد جبل « [illegible] » [illegible] المفتوح هنا خالية من المزروعات سوى بعض النخيل المتناثر هنا وهناك . وينحني الطريق هنا مرات لنجد أنفسنا وقد عاودنا الصعود وسط الحقول والينابيع ، وفجأة تنكشف لنا شفشاون عند ثنية [illegible] (١٦٤٦م) التي يطوقها بين [illegible] الثلاث المخضرة من بعيد . وتستند المدينة على جبل [illegible] بحلقته الصخرية الضخمة التي تبلغ ٢٠٠٠م [illegible] يطوقه من الناحية الشرقية حتى [illegible] الذي يصل ارتفاعه الى ٢٠٥٤ مترا . وعلى بعد مائة متر [illegible] على [illegible] الطريق الذي تنتشر حوله الحدائق والبساتين المخضرة والزهور على الجانبين [illegible] المدينة على الجانب الأيسر مزروعة بالزهور المتألقة الألوان .

ونتوالى بعد ذلك البساتين اليانعة المنتشرة فوق منحدرات الجبل وعلى جانبي الطريق حتى مدخل شفشاون وتلتقي عند مداخلها فندق أندلسي الطراز والطابع في صحنه وبنيانه وقاعاته المكسوة الزاهرة بألوان الفن والجمال والسحر ، نقشا وزخرفة وألوانا ، وعلى الجدران والأعمدة ، وفي السقف وتحت الأقدام [illegible] إنه صورة مصغرة لقصر الحمراء ، أسموه باسم الفندق « [illegible] »

على سطح التل أسفل الفندق وعند شرفته الخارجية تقترب منا فتيات مشرقات الوجه [illegible] شفاههن عن ابتسامة رائعة [illegible] انهن من البادية يرعين ماشيتهن من الماعز تحت السفح الذي يقوم عليه الفندق وقد غطين رؤوسهن بالقبعات الريفية ذات « [illegible] » . انهن لا يتمنعن عن التصوير بل يستسلمن للكاميرا في هدوء لطيف . يشجع على

التقاط عشرات الصور التي تبرز الخلفية الرائعة للمدينة . بناياتها المتصاعدة على السفوح وشوارعها وأزقتها الملتوية . والقرميد الأزرق الذي يغطي أسطح البنايات كلها

وفي داخل المدينة تسود الصعود والهبوط . فالبيوت كلها قائمة على سفوح ومرتفعات ما عدا وسط المدينة حيث المكان المنبسط الوحيد . ونقف هنا « ساحة الخامسة » التي يتوسطها مستطيل قائم على الطراز الأندلسي بأعمدته الرفيعة ونقوشه ورسومه وصور نافورته ضفادع حجرية تحت الماء . على أحد جوانب الساحة مبنى القلعة الإسبانية خلال فترة الاحتلال وتحول الآن الى مشغل للحياكة والتطريز . وعلى الجانب الآخر « مدرسة ثانوية الشاطبي » التي تحتل نصف مبنى الثكنة العسكرية الإسبانية

قرب الساحة العامة يقوم برج مولاي اسماعيل . وفي الجهة المقابلة منه تقوم صومعة المسجد الكبير على قاعدته ذات الطابع المعماري الأندلسي

ونخير بعض « العين »

الطريق للوصول عبر أزقة ضيقة وملتوية ومسقوفة بالسقف في بعض مسالكها الى المدينة القديمة الى القصبة .

في الساحة الواسعة قبل الدخول الى القصبة نجد أنفسنا وسط السوق . نساء ورجال وفتيات وفتيان . بدو وحضر . كلهم يفترشون أرض الساحة ودكاكينها الضيقة « وبازاراتها » السياحية العامرة بالمنتجات والملبوسات الفولكلورية والبرانس والقبعات والأحذية والتحف . جنبا الى جنب مع العديد من أصناف الفاكهة والخضروات والبقول والحبوب . تتجاور مع مختلف انواع الأواني المصنوعة من النحاس والطينية من الفخار

على الصخرية بجوار القلعة القديمة نلتقي ببعض المسنين وهم يمضون مجلسهم يتبادلون الحكايات والذكريات . دون أن يلتفتوا للمحلات الى سور الحصن القديم وبوابته القائمة الى جانبهم . فقد تعودوا مشهدها واصبحت جزءا من حياتهم . رغم أن عمرها يمتد الى حوالي خمسمائة عام

هذه القلعة وأسوارها المحصنة هي الأثر التاريخي الفني يكاد يكون وحيدا في المنطقة بجوار « حومة السويقة »

من بوابة « حومة السويقة » نصعد الى داخل دروب القصبة تدخلها صاعدين على بضع درجات . وبين كل زنقة وأخرى تواجهنا درجات مشابهة أو طريق صاعد عرض هذه الزنقات أو الزوتريب لا يتسع في كثير من الأحيان لأكثر من شخصين متجاورين وإن كان بعضها يتسع لأربعة البناء المعماري فريد من نوعه . يقوم وسط أقواس مستلهمة من الفن المعماري الأندلسي . ولا يختلف كثيرا عما شهدته في تطوان الأبواب مغلقة دائما ومنخفضة بحيث ينحني الداخل ليصعد منها الى الدار الأقواس والقباب في كل مكان من البيت سواء في النوافذ المغلقة بخشب وتمتد أو في الأروقة والأبواب البيوت تتميز سقوفها من القرميد المنحدر والدكاكين ضيقة معتمة مليئة بالصناع والتجار اما النساء والفتيات والصبيات أيضا فيغطين وجوههن بأيديهن إذا صادفهن غريب وينفرن من التصوير أو الحديث مع الآخرين

مع مؤرخ شفشاون

في أحد دروب القصبة . ندخل دار أحد رجالاتها من ذوي الأصل الأندلسي . المؤرخ عبد السلام الحضري . ونسمع منه الكثير عن تاريخ شفشاون . . .

قبل خمسة قرون . وبالضبط في عام ١٤٧١م (٨٧٦هـ) . أنشئت مدينة شفشاون على يد المجاهد مولاي علي بن راشد .

كان لابد لعلي بن راشد والمجاهدين أمام الهجمات البرتغالية أن يبحثوا لأنفسهم عن مكان أمين يستقرون فيه ويتخذون منه منطلقهم . ولم يكن هناك آمن من ذلك المكان الذي تحتضنه الجبال العالية



[illegible] .. القصبة البيضاء التي تعيش في
[illegible] الجبال [illegible] كأنها قلاع [illegible]
[illegible] على [illegible] الأمامي وأزقة القصبة تحكي قصة
تاريخ تواصل لأكثر من خمسمائة سنة [illegible]
[illegible] الفني لا [illegible] حكايته إلا [illegible]



فتخفيه عن الأنظار وتسهل الدفاع عنه . وبدأ ابن راشد ورجاله يبنون أكواخهم في قلب الوادي ، فكانت نواة للمدينة التي توالى اتساعها حين جاءه بعض مسلمي الأندلس الهاربين من وجه الزحف المسيحي الإسباني على غرناطة قبل أن تسقط بعدة سنوات . وكان هؤلاء الأندلسيون يغادرون الأندلس على سفن « عروج وبابا باروسا » التي كانت تحملهم وتنقلهم الى الشواطىء المغربية حيث استقبل ابن الراشد كل من جاءه الى معسكره في أحضان الجبال

وتوالت الأفواج . وبدأ كل فوج يبني لنفسه حيا جديدا . وكان من بين الأحياء التي نشأت « حومة الأندلس » التي أنشأتها عائلة الحضري ، ولا يزال الشارع الذي تقع فيه دار العائلة يسمى شارع غرناطة ، حيث أسسوا مسجدا لا يزال يحمل نفس الاسم . ثم جاء فوج آخر وأقام « حومة الخرازين » ، وتلاه آخر أقام « حومة الصبانين » ، وفوج خامس أقام « حومة المنصة » . وكان آخر فوج من الموريسكيين الذين أرغموا على دخول المسيحية واستطاعوا الهرب من الأندلس بعد ذلك وجاءوا الى شفشاون

انطلق الناس في شفشاون يواصلون الحياة يحتضنون كل من دخل مدينتهم واستقر بها من الريفيين الذين شاركوا من قبل في عمليات التحرير ، ومع ذلك فقد ظلوا على عاداتهم وحذرهم وتمنعهم وتشددهم ، الى حد الانغلاق في كثير من الأحيان ضد كل ما هو خارجي أو أجنبي عن مدينتهم ، برغم أنها أصبحت مدينة سياحية يأتيها السائح من كل مكان .

تلك هو ما شعرنا به ونحن نلتقي بالريفيين والحضريين معا في شفشاون . أحسسنا أنهم قوم يحتمون من التعرض ويتمنعون عن النظر . كأنهم يعيشون في قرون لم تبعد كثيرا عن سنوات انتقال أجدادهم من جنتهم المفقودة بالأندلس .. لهذا فإنهم يجعلون منه شعيرة في نزهتهم اليومية عند « رأس الماء » .. إنه نبع يذكرهم بينابيع الماء والنوافير التي كانت تزخر بها غرناطة وقصورها وينابيع جبالها وهضابها .. ماء عذب هو أعذب الينابيع المغربية يخرج من الصخر تماما كمقلوبة مدينتهم الحاضرة . ويوزع ماءه الغزير على البساتين والحدائق .

من عند « نبع الماء » نهبط ونحن نسترق النظر من جديد الى أسفل .. الى المدينة البيضاء الجميلة ، إذ نودعها وقد ألقت شمس الصباح غلالتها الذهبية على السهل الأخضر وعلى البساتين الزاهرة التي تنفح عطرها حولنا كأنها تدعونا للعودة من جديد ..

ولكن ... ما باليد حيلة .

ولعدنا نواصل صعودنا في الجناح الغربي للريف متجهين نحو الشرق

عالم الغابات والأحراش

الطرق تزداد وعورة بالصعود والدوران حول الجبال التي يتزايد ارتفاعها يزيد المشقة والاحساس بالخطورة مع الانعطاف المتواصل الذي يحبس الأنفاس ، فذلك هو الطريق الى كتامة عند ملتقى الجناحين الشرقي والغربي . هنا نواجه بالقمم الصخرية التي تربط شفشاون وكتامة بطليبة ثم الناضور والسعيدية . وكلما اجتزنا مجموعة من الجبال انعرجنا الى جبال صخرية أشد منها قسوة وصلابة . تتناثر على سفوحها قرى بربرية صغيرا وسط غابات الأرز والصنوبر والفلين والعرعار وأنواع أخرى كثيرة

الغابات في الجناح الغربي للريف أغلبها غابات طبيعية شاسعة تشغل حوالي ٢١٥ ألف هكتار ، بالاضافة الى غابات تم تشجيرها على مساحات يصل مجموعها الى ١٥ ألف هكتار .. هذه الغابات تتميز بتنوع نباتها وأشجارها وكثرة الحيوانات البرية على اختلافها ..

ان استغلال هذه الغابات وتشجيرها وتعدد استعمالات أخشابها وأحراشها ، يوفر لليد العاملة

الريفية نصيبا هاما من الدخل ، إضافة إلى زيادة الدخل لصالح ميزانيات الجماعات المحلية . ولعل ذلك هو السبب في اهتمام الدولة بعمليات التشجير ، حيث يتم سنويا تشجير حوالي ٥٠٠ هكتار من جميع الأصناف ، خاصة شجر الصنوبر .

بالاضافة الى ذلك فإن قلة الأراضي الزراعية ومحدودية المراعي اقتضت تحسين وسائل الانتاج النباتي لتنمية القطعان الماشية ، وخلق مراع لتخفيف ضغط الرعي في الغابات . فأنشئت المراعي الدائمة ، غرست فيها أكثر من ٤٠ ألف شجيرة كلأ هذا العام ، كما أنجز خلال السنوات العشر الأخيرة ٢٩٦ هكتارا للمرعى ، وتم تشجير حوالي ٢٨٣ هكتارا بشجيرات الكلأ . كما أن عمليات تنمية الثروة الحيوانية الغابوية تجري بشكل يتيح للمزيد من الاستفادة من هذه الثروة . وقد أقيمت بجوار مراعي محطة لتربية الحجل والتدرج ، تنتج سنويا حوالي ٦٠٠٠ حجلة و ٢٠٠ من التدرج ، توزع على الغابات في أماكن يمنع فيها الصيد لضمان توالدها وتكاثرها ، وخاصة أن هناك وفرة في الحيوانات البرية بالغابات منها الأرانب والثعالب والخنازير البرية ودجاج الماء والحمام واليمام وهي كلها تثير شهوة الصيادين

وتدور في أذهاننا ، ونحن نطل على كل هذه الغابات التي تغطي جبال الريف ، تساؤلات ومخاوف من إمكانية اندلاع الحرائق ، كمثل ما نشاهد وتنقل الينا الانباء دائما عما يحدث في الغابات والأحراش في مختلف دول الغرب والشرق على اتساع القارات كلها . .

ونتلقى الرد من مرافقنا الاعلامي .

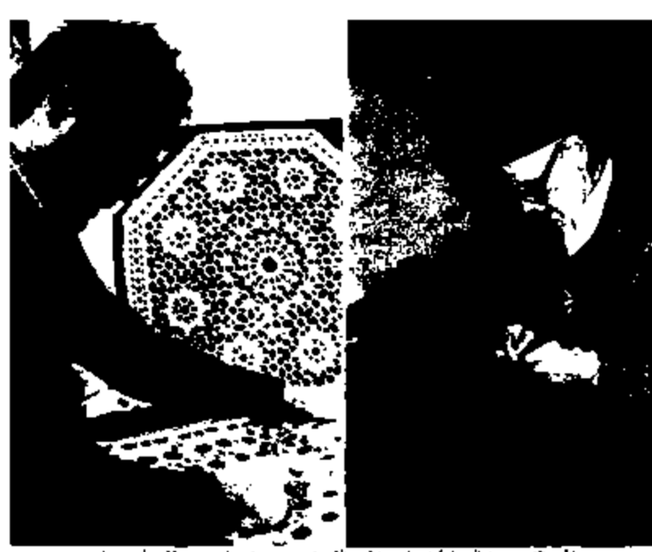
هناك جهد واضح وحرص شديد على صيانة الأشجار ومحاربة الحرائق والمحافظة على الغابات من مختلف الاضرار التي تتسبب في إتلافها . ولو نظرتم الى بعيد لستلاحظون مجموعات من الأبراج قائمة على مسافات غير متباعدة لمراقبة الحرائق ، مع وجود أجهزة للتبليغ عنها في كثير من المناطق . وهناك الاهتمام بشق الطرق وصيانة المسالك المهددة بالانغلاق مع توالي هطول الأمطار والمساقط المائية والانهيارات الجبلية . وتقوم السلطات بشق خنادق حامية من الحرائق ، تمتد على طول حوالي ١٧٠ كيلومترا . ويبلغ مجموع المسالك في غابات الريف حوالي الفي كيلو متر وكل الطرق والاجراءات المختلفة ، تؤدي الى سرعة الاعلام بالحرائق في حالة اندلاعها وفي وقت حدوثها لسرعة التصدي لها وإخمادها ولعلكم تشعرون بهذه الجهود حين تعرفون ان النيران أتلفت في عام ١٩٨١ الشجر الغابات في حوالي ١١٥ هكتارا ، كما أتلفت النيران في عام ١٩٨٣ حوالي ٥١٧ هكتارا ، ولكن الرقم بدأ يتضاءل كثيرا بعد الاجراءات والوسائل المشددة بحيث هبط ما أتلفته النيران الى حوالي ١١ هكتارا في عام ١٩٨٤ وهو رقم لم تتجاوزه عمليات الاتلاف كثيرا منذ ذلك حتى الآن

الريف من الجو

الآن نعود بنا الرحلة من جديد الى الحسيمة ، بعد أن اخترقنا الريف برا بالطول وبالعرض ولم يعد باقيا أمامنا إلا اختراقه من الجو.

وذلك هو ما فعلناه حين انطلقت بنا الطائرة من مطار الحسيمة ، الذي يستقبل كل أنواع الطائرات الكبيرة مثل البوينج ٧٤٧ ومع هذا فهو لا يعمل بصفة مستمرة إلا في موسم الصيف ، وهو أمر يحتاج الى إعادة نظر في فلسفة الخطوط الجوية المغربية والعمل على ربط خط الحسيمة بالطائرات التجارية .

ورحنا نطل على جبال الريف من الجو والطائرة تنطلق بنا فوق الجبال ثم على الشريط الساحلي حتى الدار البيضاء عبر تطوان . بدت لنا جبال الريف من أعلى كثيرة التجاعيد كأنها وجه عجوز . السطح



● الجيل القديم ورث الفنون الزخرفية عن الآباء والأجداد .. وهم يقومون بتدريب الأبناء في مدرسة الصنائع والفنون الوطنية على وسائل الابداع في فاس .. من خلال الصناعة الزخرفية التقليدية

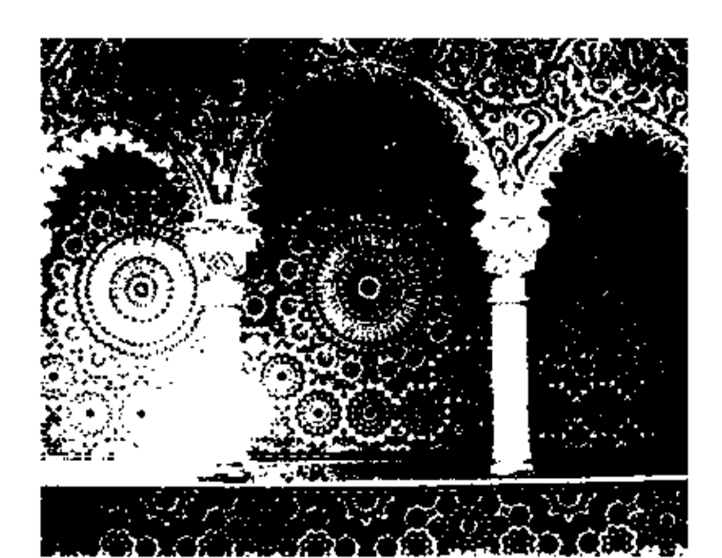
عبارة عن أرض مسننة مجوفة مضلعة مغطية عشبية مليئة بالأخاديد والأحواض والقنوات والسوديان ، ظاهرها ومل يثير فيه الاخضرار وخاصة عند القمم الجرداء والسفوح التي لا يصل بعضها ببعض غير الطرق والمسالك الجبلية التي تبدو كالخيوط الجغرافية على الخرائط . بعض الجبال تبدو عارية بيالقمورحشته ومسالكها الجبلية هي الصلة الوحيدة بين أهلها . ولعل ذلك هو ما جعل الريفيين أصلب جسما وأيبس عودا .

ونطل على شاطىء البحر الأبيض ، فإذا به ساحل ضيق رفيع يحده البحر من الشمال والصخور الرملية القائمة كالجدران العالية من الجنوب ، على هذا الشاطىء وفوق الكثبان تتناثر البيوت والشواطىء السياحية والموتيلات .. وهي تبدو كلها كأحواض للراحة تتوسطها صحون مربعة أو دائرية قد طوقت بسياج من الخضرة .

تلك هي الصورة التي تؤكد أن الريف بحكم طبيعته الجبلية يشكل حاجزا هاما وعائقا ضد تسهيل وسائل المواصلات وحركة الانتقال بين شتى أطرافه . وهي العامل الأساسي لأي بناء اقتصادي . يضاف الى ذلك أن هذه الطبيعة لا تمنح سكانها أرضا خصبة كريمة مما جعل الكثيرين يتجهون الى الهجرة والترحال ..

لكن ذلك لا يمنع أن للريف المغربي معطيات ايجابية لو أحسن استغلالها بشكل جيد .

أول هذه المعطيات أن الريف من أجمل مناطق المغرب السياحية ، وله مزاياه من ناحية المناخ الجغرافي الطيب في أكثر أوقات السنة ، بالاضافة الى تمتعه بلفحة الشمس سواء على جباله أو شواطئه الجذابة ، وهي عوامل أساسية في تنمية السياحة



• الزخرفة وفنون التصميم ... صورة الماضي [illegible] تعيش في الحاضر من اجل [illegible] وفي
وحدة زخرفية [illegible] جدران المباني والقصور القديمة هي [illegible]

واجتذاب السياح

ويتمتع الريف بمدن جميلة غنية من الناحية الخارجية والأثرية ، وقد بدأت هذه المنطقة تجتذب عددا من المستثمرين العرب وغيرهم في ميدان السياحة ، وكان من نتيجة ذلك أن بدأ تنفيذ مشروعات سياحية هامة في طنجة،وعلى شواطىء تطوان وفي الحسيمة وأخيرا في السعيدية .

ثم ان للريف مستقبلاً مبشرا ، وإن كان هذا المستقبل يعتمد على استثمار أعم وأوسع في الميدان السياحي ، حتى يستطيع منافسة الشواطىء الاسبانية المواجهة

ولعل أهم معطيات الريف المغربي أنه يتمتع بوجود ثروات باطنية كثيرة .. ففي الريف مناجم لمعادن الفحم والحديد وخاصة في الناظور .. كما تضم أراضيه على المستوى الجيولوجي مجموعة من المعادن من بينها الرصاص والزنك والنحاس والفضة والكروم والرخام والمنجنيز والزئبق والجرافيت بالاضافة الى المياه المعدنية ، وان كانت اهم الاستغلالات المعدنية قد استنزفت خلال فترة سيطرة الحماية الاسبانية . ولكن بعض المعادن ينتظر أن يبدأ استغلالها مع جهود تقنية مبشرة في المستقبل القريب .

والملاحظ ايضا ان هناك ثروة بحرية يمكن زيادتها وتطويرها إذا تم تزويد أعمال الصيد البحري بالاسطول والمعدات المتطورة .

ان كل ذلك يحتاج بلا شك الى مزيد من الاستثمارات في الميادين البحرى والمعدنى .. خاصة أن هناك عاملا إيجابيا متميزا .. هو قرب الريف الجغرافي من الاسواق التجارية الغنية في القارة الأوروبية .. □



من يذهب الى السينما ؟

بقلم / رؤوف توفيق

المتفرج الذي يذهب إلى دار السينما ، من مرة إلى ثلاث مرات في العام يطلقون عليه اسم « المتفرج غير المنتظم » ، لكن بالرغم من ذلك فإن شركات السينما العالمية تنظر إليه على أنه أهم عنصر تقوم عليه صناعة السينما الآن ، ومستقبلا !! فهذا المتفرج يشكل نسبة ٥٩٪ من جمهور السينما .

مقياس نجاح السينما يتوقف على مدى المهارة في جذب المتفرج غير المنتظم ، ويحسب خبراء صناعة السينما واقتصاديوها ازدهار موسم سينمائي أو فشله بقدر حصيلة المحاولة في تحريك هذا المتفرج ، وإقناعه بالذهاب إلى دار العرض

جاءت هذه « المعلومة » ضمن دراسة إحصائية ، نشرت في كتاب صدر في لندن ، عن هيئة الفيلم البريطاني ، والكتاب بعنوان « السينما في الحياة

الانجليزية » ، وهذه الدراسة الاحصائية كانت - أساسا - لمتابعة الظاهرة المحيرة التي انتشرت في كل عواصم العالم ، شرقا وغربا ، ومنذ ما يزيد على ست سنوات مضت ، حيث بدأت كل المؤشرات تؤكد انخفاض الاقبال على مشاهدة الأفلام في دور العرض السينمائي ، ورغم كل المحاولات التي جرت لتوفير الراحة والأناقة داخل دور العرض ، والاكتفاء بدور عرض صغيرة الحجم استمر الانخفاض في خط بياني متدن ، حتى سجلت الأرقام أسوأ هبوط في السنوات الثلاث الأخيرة ، بدءا من عام ١٩٨٤م .

أزمة عالمية

وترددت الأرقام في سوق صناعة السينما مؤكدة أن هذا الهبوط شمل كلا من فرنسا وايطاليا وانجلترا والمانيا الغربية ، وكل هذه الدول رغم أنها تملك مؤسسات إنتاج وتوزيع سينمائي واجهت مصاعب شديدة كانت تؤدي بها إلى الشلل والتوقف ، فضلا عن انخفاض جمهور السينما فإن النسبة الباقية المنتظمة في الذهاب إلى دور العرض تفضل مشاهدة الأفلام الأمريكية على مشاهدة الأفلام المحلية أو الأوروبية الأخرى ، وإزاء هذا الموقف المتأزم تحركت هيئة الفيلم البريطاني - وهي هيئة أكاديمية لها ثقلها الفني والثقافي على المستوى العالمي أن تقوم بدراسة إحصائية بين الجمهور الانجليزي حول نقطتين أساسيتين :

أولا : من يذهب إلى السينما ؟ (أعمارهم ، ومستواهم الاجتماعي : أغنياء أو من طبقة متوسطة أو عمال مهرة ، أو عمال عاديون ، متزوجون أو مطلقون أو عزاب) .

ثانيا : أفضل طريقة لمشاهدة الأفلام (دور السينما ، أم التلفاز ، أم أجهزة الفيديو) ؟

ووزعت استمارة البحث على عينة ، ضمت ٧٩٥ شخصا ، من ٦٧ منطقة ، في كل أنحاء بريطانيا ، ثم عكف المتخصصون على دراسة النتائج ، وضمنوها في كتاب صدر في أواخر عام ٨٦ ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تلقي الضوء على اتجاهات متفرجي السينما عامة ، وليس في بريطانيا وحدها ، فالاتجاهات واحدة ، وإن اختلفت أرقام الاحصائيات بنسب طفيفة . ومن خلال تحديد الاتجاهات يمكننا استنتاج أسلوب تفكير شركات الانتاج السينمائي العالمي في نوعية الأفلام التي يتحمسون لانتاجها الآن .

البقاء في المنازل

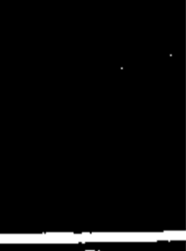
اظهرت الدراسة أن ٧٦٪ من الجمهور الانجليزي لا يذهب إلى السينما الآن ، وهذا الرقم - في دولة متحضرة لها تاريخها الثقافي والفني - يمثل مفاجأة قاسية ، لكن الباحثين في هذه الدراسة يفسرون هذا الرقم بقولهم : « هناك حقيقة بارزة واجهتنا عندما سألنا الجمهور أين يفضلون مشاهدة الأفلام ؟ فأجابوا قائلين : « في المنزل من خلال التلفاز » .

وتتساءل الدراسة : هل السينما تخوض معركة خاسرة أمام التلفاز ؟!

ويرجعون إلى الوراء ، بفلسفة تقول إنه لا يمكن فهم الحاضر إلا بتتبع الماضي ، فمنذ أن ظهر التليفزيون في الخمسينات أصبح واضحا أنه سيكون العدو الأول للسينما ، وأجمع المراقبون والباحثون على ضرورة دراسة العلاقة بين السينما والتليفزيون .

في داخل انجلترا ارتفع عدد أجهزة التلفاز






● الأطفال أحيانا هم الذين يختارون الأفلام لكي يشاهدوها مع والديهم . ومن هذه الحقيقة الاقتصادية فكرت بعض شركات الانتاج السينمائي بتقديم نوعية خاصة من الأفلام التي يعجب بها الأطفال . وينسى الكبار أنهم كبار . فيتحولون الى متفرجين كالأطفال .



● كريستوفر لامبرت ، النجم الفرنسي الذي أعدوه لكي يكون النموذج الأوروبي للشباب والمراهقين ، ويكون في مقابل النماذج التي تروجها سينما هوليود

من ٣ ملايين عام ١٩٥١م إلى ٩ ملايين عام ١٩٥٨ . وفي نفس الفترة انخفض عدد المشاهدين للسينما من ١٣٠٠ مليون إلى ٧٥٥ مليونا ، وانخفض الرقم إلى العشر تقريبا خلال عام ١٩٨٤م ، فقد أصبح عدد مشاهدي السينما يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ مليون مشاهد في السنة ، بينما ارتفع عدد مشاهدي الأفلام بالتليفزيون إلى ٣ بلايين . ودخل السباق أيضا أجهزة الفيديو التي أصبحت تجلب بليون مشاهد سنويا (الرقم هنا محسوب على أساس الفرد الواحد × عدد مرات المشاهدة سنويا)

وتقول الدراسة إن الذهاب إلى السينما كان متعة الطبقات الغنية ، حتى بدأ العمال يظهرون كقوة مؤثرة منذ سنوات الخمسينات ، ومنذ انتقلوا للسكن داخل حدود المدن ، وأصبحوا يذهبون إلى السينما ، فحينذاك انسحب الأغنياء من دور العرض ، واكتفوا بمشاهدة الأفلام في منازلهم .

وتربط الدراسة الانجليزية بين عادة الذهاب إلى السينما وبين الحالة الاجتماعية ، فعندما يتوفر في المنزل عنصر الراحة ، وترابط العلاقات الأسرية ، تصبح مشاهدة الأفلام في المنزل جزءا مكملا لعنصر الراحة ، خاصة بعد أن ثبت إحصائيا أن الخروج من



● النماذج من الدعاية التي يجذبون بها المراهقين والشباب الى دور العرض السينمائي . إنه الإغراق في العنف والغرابة والإثارة .

المنزل والذهاب إلى دور العرض ، يعتبر عملية مكلفة ، يدخل فيها أجر المواصلات . وثمن تذاكر السينما ، وثمن وجبة سريعة أو مشروب . ومع انتشار موجة الغلاء عالميا والثبات النسبي للأجور ، أصبحت المعادلة الاقتصادية تحتم البقاء في المنزل ، بل أصبح تأجير جهاز الفيديو كاسيت ، وتأجير شريط الفيلم المطلوب مشاهدته في مجموعهما أرخص من تكلفة الذهاب إلى السينما ، فضلا عن متعة إرجاع الشريط في جهاز الفيديو ، وتوقيفه عند بعض اللقطات لتفهمها .

أولا الشباب

من الذي يذهب إلى السينما إذن ؟ !

تؤكد الدراسة الانجليزية ما سبق أن أكدته دراسات أمريكية وفرنسية وإيطالية ، وتؤكد أيضا ما سبق أن أعلنه بعض الاستنتاجات في أسواق السينما في الأقطار العربية . إن النسبة الغالبة المتكلمة من المترددين على دور العرض السينمائي هم المراهقون والشباب ، وقد حددت الدراسة الانجليزية أعمار هذه الفئة ما بين سن ١٦ إلى ٢٩ عاما . وهؤلاء يذهبون إلى السينما من مرة إلى ثلاث مرات في الشهر الواحد . ولا يحدث انقطاعهم عنها إلا في حالة الزواج وإنجاب الأطفال .

وتخلص الدراسة الانجليزية من هذه الحقيقة إلى حقيقة أخرى فرعية - لكنها في غاية الأهمية - وهي أن الذهاب إلى السينما بعد الزواج وإنجاب الأطفال يتم بناء على رغبة الأطفال وإلحاحهم ، كما يضطر الآباء والأمهات إلى الاستجابة ، وهنا يتحدد نوع الفيلم الذي ستشاهده الأسرة حسب رغبة الطفل ، فهو صاحب الاقتراح بالخروج من المنزل ، وصاحب الاختيار لنوع الفيلم .

وتصل تلك الدراسة إلى علامة استفهام كبيرة ، حول مستقبل صناعة السينما ، فتقول : « لا يكفي أن نفهم الأفلام وثقافتها ، بل من الضروري أولا أن نفهم الجمهور ودوافعه » .

شاشة مليئة بالدم والدخان :

وتغلق الآن صفحات هذه الدراسة ، وتتأمل واقع السينما العالمية من خلال ما تم انتاجه وعرضه خلال السنوات الثلاث الماضية ، ومن خلال ما يخططون لعرضه وانتاجه خلال هذا العام ، فنكتشف أن الغالبية العظمى من الأفلام تحاول اجتذاب ذلك الجمهور المقصود من الشباب والمراهقين ، والمحاولات في هذا الباب تتباين (من لعب على الغرائز الحسية إلى رعب وإثارة ، أو مداعبة للخيال من خلال أفلام مغامرات الفضاء ، والمخلوقات الغريبة والمركبات الجهنمية التي تسبح حول النجوم والمجرات . إنها صناعة هائلة ، يقف وراءها خبراء ومتخصصون في التقنية وفنون الخدع البصرية والسمعية . تمتلىء شاشات عرضها بكميات هائلة من الدم والجثث والمدافع والدخان ، وهناك من يقيس الانفعالات ويحسب عدد شهقات الإثارة ، وكلما زاد عدد الشهقات كان الفيلم أكثر نجاحا ، وكلما سجلت الإيرادات ارتفاعا زاد تكثيف الرعب والاثارة في الأفلام الجديدة

وملصقات الأفلام ومواد الدعاية التي تنوه بالأسلحة النارية ، والمخلوقات الغريبة الشاذة ، تدعو جمهورها لمزيد من المتعة الحسية ، والسينما في سباق يومي لتجديد العنف والبحث عن الإثارة .

فيلم « رامبو » الجزء الثاني حقق أعلى الإيرادات في أمريكا وأوروبا عام ١٩٨٥م ، وفي عام ١٩٨٦م دخل المنافسة « روكي » الجزء الرابع ، وكوماندو ، وكوبرا ، وهي أفلام أمريكية تزخر بالعنف الدامي ، وتكتسح هذه الأفلام أيضا الأسواق الأوروبية بعد اكتساحها للأسواق الأمريكية .

وتحاول السينما الفرنسية الدخول في هذا السباق بنجمها الجديد « كريستوفر لامبرت » ، لكن صناعة السينما الأمريكية بكل عناصر الإبهار والتقدم الفني تسجل تفوقا ، أما السينما الإيطالية فتكتفي بمغازلة الشباب بالأفلام الكوميدية والبوليسية ، لكن السينما



● نموذج من الملصقات البشعة التي تنتشر بها أفلام العنف، التي لا تكف (الاستوديوهات) الأمريكية عن صنعها لكي تجذب المراهقين الى دور العرض .

التجارية في الهند وفي جنوب شرق آسيا تخطط لأفلامها خطاً آخر تحتل الى الساحة بأفلام المطاردات العنيفة والكاراتيه ، لتغزو بها أسواق العالم الثالث . وكل يحاول اصطياد المراهقين والشباب .

المتفرج غير المنتظم :

أما المتفرج غير المنتظم الذي قد يذهب الى السينما من مرة الى ثلاث مرات في العام ، فتتنافس لاجتذابه كل العقول المفكرة في شركات السينما العالمية ، فهي تعلم أنه متفرج له ذوق خاص ، يجب أن تكون مواصفاته قوية لكي يقرر اختيار الفيلم الذي سيشاهده . فتبدأ المنافسة الفنية التي تتيح لنا أفضل الأفلام السينمائية خلال العام ، لكنها لا تتعدى نسبة ١٠٪ من مجموعة الانتاج العالمي ، وتلك الأفلام هي التي تذهب الى المهرجانات السينمائية ، وتتنافس على الجوائز العالمية ، فيتشغل بها النقاد والمثقفون .

وتلك الأفلام قد تكون جيدة على المستوى الفكري والفني لكن المعروف أنها لا تحقق مكاسب ضخمة لشركات الانتاج ، بل تحقق الاحترام والسمعة الجيدة ، وهذا ما تحرص عليه بعض الشركات العالمية ، ففيلم جيد قد يعدل الميزان أمام عشرة أفلام من النوع الاستهلاكي السريع . وهناك كثير من المغريات تقدمها شركات الانتاج العالمي لجذب ذلك المتفرج غير المنتظم ليشاهد فيلما سينمائيا بعيدا عن بيته ، ومن هذه المغريات استخدام الشاشة العريضة - السكوب والسينراما - واستخدام الصوت المجسم ، وكلها عوامل لا تتوفر للعرض التلفازي أو من خلال جهاز الفيديو .

لكن يبقى السؤال قائما : الى متى تستطيع السينما الاستمرار في تلك المعركة مع الخصم التقليدي ، وهو التلفاز ، ومع الخصم الجديد ، وهو جهاز الفيديو ؟ ! □





٩

■ أساتذة الاجتماع الغربيون يهدفون إلى بيان عجز العرب عن التنظير .

■ فلسفة المنهج في علم الاجتماع تعاني من التخلف .

■ التراث الاجتماعي العربي حافل بمصادر حول فلسفة المنهج .

إذا تأملنا تاريخ علم الاجتماع في مصر فسوف نجد له امتداداً تاريخياً يجاوز ثلاثة أرباع القرن ، بدأت أول الدروس الاجتماعية تلقى على طلاب الجامعة المصرية التي تأسست عام ١٩٠٨ كجامعة أهلية ، ثم أصبحت حكومية اعتبارا من عام ١٩٢٥ ، ومع تبعيتها للحكومة وتحولها إلى جامعة رسمية أصبح قسم الاجتماع بكلية الآداب أحد الأقسام التي بدأت بها الدراسة ، وتخرجت الدفعة الأولى في هذا القسم في عام ١٩٢٩ .

الدكتور حسن الساعاتي صاحب أول رسالة دكتوراة في علم الاجتماع تستند إلى دراسة ميدانية ، أجريت على أرض عربية ، وعن مواطنين عرب ، ولقد كانت هذه الخطوة علامة بارزة أولى .

ولقد أجيزت رسالته من جامعة لندن في الوقت الذي دارت فيه بحوث الدكتوراة التي قدمها الرواد الأوائل حول موضوعات نظرية ، تقوم على دراسات مكتبية خالصة . كانت رسالة د. حسن الساعاتي عن مشكلة انحراف الأحداث في مصر ، أي أنه رائد الاتجاه السامي نحو رؤية الواقع الاجتماعي القائم ، وأنه قد تعامل مع هذا الواقع بلغة العلم ، وأدواته المنضبطة ، وليس بالخطابة والوعظ أو بالتأمل والتخمين .

ملامح الاتجاه

لكننا نجد على أي حال أن تشخيص الدكتور الساعاتي لملامح هذا الاتجاه طريفة وثرية ، تجعله يستحق الشرح بشيء من التفصيل :

أ - إن هذه المدرسة والمية تركز جهودها على دراسة واقع الحياة الاجتماعية المصرية . ويؤكد الساعاتي هذا المعنى فيقول : « إن معنى هذا أن هذه المدرسة تنأى بوضوح عن أي فلسفة اجتماعية ، قائمة على التخمين ، أو الخيال ، أو الافتراضات ، أو ما شابه ذلك » . وهي أيضا مدرسة وصفية أساسا ، وهو يدافع بحماس عن هذه السمة ، ويطالب بتشجيع الدراسات الوصفية ، لأنها تساعد في إلقاء الضوء على كثير من الحقائق ، وعلى صياغة كثير من الفروض التي يمكن أن تصبح موضوعات ملائمة لبحوث علمية أخرى فيما بعد .

ب - والسمة الثانية لتلك المدرسة أنها ذات توجيه اشتراكي ، ويعني الدكتور الساعاتي بذلك أنها تهتم بالمشكلات الأساسية للمجتمع « بهدف تحديد طبيعتها ، وأسبابها ، ونتائجها ، وذلك كشرط أساسي لمواجهتها ، ومن ثم لتمكين المواطن من بلوغ مستوى محترم من الحياة ، يحفظ له كرامته الإنسانية » ، فهي بذلك مدرسة ذات هدف محدد ، تضع العلم في خدمة المجتمع

جـ - والسمة الثالثة لهذه المدرسة أنها تقوم على أساس تكاملي ، ليس من الوجهة العلمية فحسب ، وإنما من حيث توجيه البحث نفسه ، ويشرح الساعاتي ذلك بقوله إن هذه المدرسة لا تقبل فكرة العامل الواحد ، ولكنها تعترف بتفاعل العوامل المختلفة في خلق السلوك الاجتماعي ، أو الظاهرة الاجتماعية .

موقف هندسي اجتماعي

يتضح من استعراض ملامح هذه المدرسة أنها تتبنى موقفا هندسيا اجتماعيا ، وهو أمر اتفق عليه كثير من الكتابات الواعية عن علم الاجتماع في مصر ، وعدته من أبرز عيوبها ، كما أدركت أن هذه

الموقف هو الذي عوّق اهتمام هذا العلم بتكوين إطار نظري متكامل، وهذه السمة التي عانى منها علم الاجتماع في مصر وما زال يعاني ظاهرة بشكل جلاء في نتاج معظم جيل الرواد، ونفر غير قليل من الشباب المتخصصين في هذا العلم.

● ألا ترى أن هذا الاتجاه - الحسي الاجتماعي - يخفي في وجهه الآخر شيئاً من موقف محافظ على الصعيد السياسي، وهذا هو ما يلاحظه القارئ المتابع لتطور كتاباتكم التي أشرت إليها، فما تعليقكم؟

- أود أن أوضح أمرا بالغ الأهمية، بخصوص تاريخي العلمي، وهو أنه - حتى الآن - يقع في ثلاث مراحل. تبدأ الأولى بتحضيري أطروحة دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع سنة ١٩٤٤م، والقيام بأول بحث ميداني عن ظاهرة اجتماعية معتلة، وهي جنوح الأحداث في مصر. وفي هذه الأطروحة ثلاثة تنظيرات: أولها حول الوعي المصري للعدالة، وثانيها عن التبوّء الجناحي في المدينة (المعروف بمناطق تكاثر الأحداث وانحرافهم)، وثالثها عن التحليل الطرقي للجنوح، وكلها تنظيرات أصيلة مبتكرة، لا في مصر وحدها، بل في النطاق العالمي. وقد استغرقت هذه المرحلة اثنتي عشرة سنة، انتهت سنة ١٩٥٥.

وتبدأ المرحلة الثانية بالنشاط العلمي سنة ١٩٥٦، وتستمر مدة أربع عشرة سنة. أجريت فيها مسحين اجتماعيين هامين: أحدهما لقسم باب الشعرية (١٩٦٠)، والآخر عن (الباطنية) الخطير لشهرته الواسعة في تجارة المخدرات (١٩٦٦). ومن أهم البحوث التي أشرفت عليها في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في هذه المرحلة بحث البغاء في مدينة القاهرة، والمسح الاجتماعي لمنطقة (أسوان)، وبحث تنمية المجتمع القروي الجديد، ثم بحث تنمية المجتمع الريفي، المعروف بمسح القرى الست.

وفي هذه المرحلة نشر لي مقال في عام ١٩٦٤ عن تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع في مصر منذ سنة ١٩٥٢، ذلك المقال الذي يشار إليه كثيراً في نقد تاريخي العلمي، علماً بأنه قد مضى على نشره أكثر من عشرين عاما، وإن آرائي المذكورة فيه تنطبق على تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع حتى سنة ١٩٦٣، وهي السنة التي كتبته فيها. ولذلك لا يكتمل التطور الاجتماعي العلمي لتاريخي ومطالعاتي إلا بعد شمول ما تبقى من هذه المرحلة، وهو ست سنوات، وأيضا المرحلة الثالثة وطولها سبع عشرة سنة.

تحقيق الهوية

المرحلة الثالثة من تاريخي العلمي بدأت سنة ١٩٧٠ وما زالت مستمرة، وتمتاز بتعبير ثلاث قضايا جديدة، بالغة الأهمية هي: قضية تحقيق الهوية، وقضية دراسة التراث الاجتماعي العربي بوعي حديث، وقضية نقد الأيديولوجية الغربية.

أما القضية المتعلقة بدراسة التراث الاجتماعي العربي بوعي حديث فقد شغلتني أولا في المرحلة الأولى، عند كتابتي عن الوعي المصري للعدالة.

وقد انطلقت في هذا الاتجاه التراثي في المرحلة الثالثة من تاريخي، فألفت كتابا بعنوان «علم الاجتماع الخلدوني - قواعد المنهج»، وقد نشر سنة ١٩٧٢. وقد أسهمت بأوراق علمية، منها «منهج البحث عند أبي الفداء»، و«أصول الاجتماع في القرآن» سنة ١٩٧٧، و«البدو والحضر في مقدمة ابن خلدون» أكتوبر ١٩٨٣، و«تصنيف العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، وأصنافها في مقدمة ابن خلدون» أكتوبر ١٩٨٥، وأخيرا «مصادر التنظير الخلدوني من القرآن والحديث» يوليو ١٩٨٦.

أما القضية التي شغلت بها تنظيرا وكتابة ومحاضرة ، فتتعلق بالنظرية الاجتماعية العربية التي دارت بخصوصها تساؤلات كثيرة ، ليس بين أساتذة علم الاجتماع العرب فحسب ، بل أيضا بين الأساتذة الغربيين الذين يذهبون إلى بيان عجز العرب عن التنظير العام ، وإرغام علمائهم على التبعية الأجنبية ، تمهيدا لاغترابهم عن مجتمعاتهم وتراثها الفني ، وإفقادا لهويتهم .

لكن بعد تدبر طويل في هذه القضية البالغة الأهمية ، وبعد تحليل الفكرة المحورية في تنظير العلماء العرب ، حول جوهر التفاعل الاجتماعي في العلاقات الاجتماعية ، كالألفة عند الغزالي ، والألفة الجامعة عند الماوردي ، والعصبية عند ابن خلدون ، وجدت أن هذه الأفكار المحورية تفيد في تفسير العلاقات البشرية في نطاق محدود ، كمجموعة الأسرة ، والجماعات الريفية والحضرية ، وبخاصة في تنظير ابن خلدون المتبلور في العصبية ، وهي الألفة الجامعة للأهلية حول شخص متميز ، تجعل منه خليفة أو ملكا أو حاكما .

حديث عن الأزمة

إذا كان لنا اليوم أن نتحاور مع الدكتور الساعاتي عن حقول الاجتماع في مصر فلا بد أن نتدارس معه أزمة هذا العلم في الوقت الحاضر ، لأن كثيرا من الأساتذة ، وآلافا مؤلفة من الطلاب ، وعشرات من أقسام الاجتماع ، ومعاهد الخدمة الاجتماعية وكلياتها على امتداد رقعة الوطن العربي ، ومراكز عديدة للبحوث والدراسات والتخطيط ، كل هؤلاء يشكلون كيانا متضخما بأكثر من الحاجة الحقيقية إليه ، متفككا لا يربط التواصل الشخصي أو التنظيمي بين أفراده ، والأهم من كل ذلك دوره القاصر عن فهم مشكلات الواقع الاجتماعي القائم ، ومشاركته غير الكافية .

● بعد اشتغال بعلم الاجتماع مدة تقترب من نصف قرن ، ما تعليقكم على هذه الأزمة ؟ وهل ترون امكانية للخروج منها ، وتجاوزها ؟

- « يرجع ذلك في رأيي إلى سيادة مبدأ ، بذل أقل جهود والمطالبة بأكبر مردود ، الذي أصبح يتمسك به الطلاب ، والأساتذة ، والباحثون ، فالطلاب إن اهتموا يقرأون الكتاب المقرر ، ويطالبون بإلحاح حذف قسم منه ، وفق العرف السائد الذي أعترف به رسميا ، وأغلب الأساتذة يؤلفون كتبا منقولة من الكتب الأجنبية ، دون الاشارة إلى مصادرها ، وكثيرا ما يحشونها بأقوال الأساتذة الأجانب وآرائهم ، وهم لا يعون خطورة ذلك ، من حيث فقدهم لهويتهم المصرية ، وإرهاق الطلاب بأسماء وأقوال أساتذة كثير منهم متوسطو التفكير ، وتربيتهم على التبعية الفكرية للأجانب ، وإبعادهم عن التراث العربي ، أما الباحثون فهم فقراء في التفكير المنهجي السليم .

والسبيل إلى الخروج من الأزمة وتجاوزها يكون بالعدول عن سياسة الكم إلى سياسة الكيف ، وما تتطلبه من جدية ، وأمانة ، ومثابرة ، وسعة اطلاع ، وتعمق ، وطموح ، ووعي بالأخلاق الحسنة السائدة في الميادين العلمية ذات المستوى الرفيع ، وذلك بمرحلة الطلب والتدريب ، ومرحلة التدريس والبحث والتأليف » .

المحدود والشاسع

ومع ذلك فلا بد أن نشير بوضوح إلى أن علم الاجتماع يعاني أزمات تتجاوز المستوى المحلي وتكبل حركته ، وتعوق تقدمه ، من أبرزها أزمة التنظير في علم الاجتماع المعاصر .

ويمكننا القول عموما أن الفلسفة المنبع في

الاجتماع تعاني من تخلف نسبي . بالقياس إلى طرق جمع المادة والقياس وأساليبها . ويجب ألا تختلط بين الميدانين . لأنها تحمل جانب كبير من التعمير والاختلاف .

فموضوع فلسفة المنهج ينصب على تحليل طريقة البحث العلمية في علم الاجتماع . وهو لذلك يمتد ليشمل ابتداء من إلقاء الضوء على بعض طرق البحث (من حيث تصميمها ودلالاتها وحدودها ... إلخ) وصولا إلى المستويات العليا . حيث يتصدى للمشكلات المعقدة المتصلة ببناء النظرية في علم الاجتماع

فإذا ميزنا في ضوء التراث الحالي والتاريخ الذي قطعه علم الاجتماع بين علم الاجتماع النظري وتطوير الأنساق التصورية المجردة من ناحية ، والبحوث « الامبيريقية » (الواقعية) التي تجرى مستقلة عن ذلك نسبيا ، والتي كثيرا ما تؤدي إلى تحقيق إسهامات بارزة في مجال تطوير أساليب القياس لا إلى تطوير نظرية لعلم الاجتماع . فإن ميدان فلسفة المنهج العلمي يمتد إلى الميدانين . ويربط بينهما في نفس الوقت . وعليه أن يسد الثغرة التي تفصل بينهما . ويطرد الشقة التي تباعد بين جناحي علم الاجتماع الحقيقي .

فإذا كانت تلك هي ملامح الأزمة المعاصرة للتنظير في علم الاجتماع المعاصر فبديهي أن تكون لها آثار ممتدة إلى علم الاجتماع العربي خاصة ، وأن هذه العلم - كما أكدنا من قبل - يعيش على التراث الغربي ، ويأخذ عنه مظاهر ضعفه ، وأمراضه ، أكثر مما يأخذ عنه مظاهر الصحة والقوة .

● بوصفكم صاحب خبرة ميدانية طويلة في البحوث الاجتماعية ، وبوصفكم أيضا صاحب مؤلف هام في طرق البحث الاجتماعي ، ما تعليقكم على هذا التشخيص ؟

- إنني أوافقك فيما قلت عن أزمة التنظير في علم الاجتماع . وعن معاناة فلسفة المنهج فيه من التخلف النسبي بالقياس إلى طرائق البحث وأساليبه ، ووسائل جمع البيانات وأدواتها التي تحقق لها تقدما كبيرا ، ولكن الجدل حول هذا الموضوع في العالم الغربي قد انحصر بين طرفين تكريريين . إحداهما كيفية . شغلت بما أطلقت عليه عبارة « التنظير الشامخ » ، والأخرى كمية ، عنيت بما أسمته « التنظير المحدود » . ولم يقف الأمر عند هذا الحد . بل تجاوزه إلى التراشق بعبارات نابية قاسية . فالكيفيون يتهمون الكميين بأنهم مصابون بمتحول الكم وهوس الأرقام . والكميون - من جانبهم - يتهمون الكيفيين بأنهم كثيرو الخلط في تناول الظاهرة وإلى الفكرة الميسورة . أما القول العدل فهو أن كلا من التنظير الكيفي والتنظير الكمي لازم لإثراء علم الاجتماع وتقدمه . ولكن قدرة الباحث تبرز في اختيار التنظير المناسب للموضوع ، واختيار الطريقة المناسبة له . ثم وسيلة جمع البيانات المناسبة . وقد يحتاج الأمر في بعض المشكلات البحثية إلى استعمال التنظيرين معا . كل واحد منهما في دائرته . واستخدام أكثر من طريقة للبحث . وأكثر من وسيلة وأداة لجمع البيانات

والأمر الذي يجب الانتباه إليه فيما يتعلق بفلسفة المنهج في علم الاجتماع هو أن الذي يتصدى للتنظير فيه تنظيريا وبحثا ينحصر في العلم . يستخدم القياس ، والاستقراء ، والاستنباط ، والاستدلال ، في تنظيرات اجتماعية . والتراث الاجتماعي العربي حافل بمصادر كثيرة ، ومتنوعة حول هذه العمليات المنطقية التي هي أساس فلسفة المنهج في علم الاجتماع . والذي إن ألم بها المحتفي بهذا العلم سهل عليه التنظير . واستطاع أن يأتي بنفسه من التبعية الفكرية للعلماء الأجانب ، وأمكنه تقديم إسهام نظري ومنهجي أصيل للفكر الاجتماعي العالمي » □



اميل زولا



ادغار ديغا

اميل زولا وادغار ديغا

خصومة الأديب والرسام

بقلم : خالد القشطيني

من مفارقات الحياة أن أقرب الناس أكثرهم نزاعا ، ولا مثال أصدق على ذلك من أهل الفن والفكر الذين نجد بينهم خصومات لا تقل روعة ومهزلة . ومن أشهر هذه الخصومات وأبدعها ، الخصومة التي استمرت بين الرسام ادغار ديغا والكاتب اميل زولا .

عاش ديغا وزولا في أواخر القرن التاسع عشر في باريس ، وعلى مسافة لا تبعدهما كثيرا من بعضهما ، وكانا قريبين فكريا في انتمائهما إلى المدرسة الواقعية والطبيعية التي سادت عصرهما . وأكثر من ذلك أن كل واحد منهما يعتبر قائدها في ميدانه ، زولا في الأدب ، وديغا في الرسم والنحت ، ولقد تمسك زولا بالواقعية والطبيعية تمسكا أعمى فنيا ونظريا . فكتب في « القصاصون الطبيعيون » (١٨٨١) « أن على الكاتب أن يعطي تحديداً دقيقاً للمحيط وتأثيره على الشخصيات كضرورة علمية من ضرورات القصة المعاصرة . » ، وأكد في هذا الكتاب على أهمية الطبيعية في تأليف المسرحيات

وإخراجها .

وتأثر زولا باتجاهات عالمين ، الأول تاين الذي كتب كثيراً عن تأثير العرق والزمن والمحيط على تكوين الشخصية ، والثاني كلود برنارد الذي ناقش أفكاراً مشابهة في كتابه «مدخل لدراسة الطب التجريبي» (١٨٦٥) . وبوحي الكتاب الأخير نشر زولا «القصة التجريبية» ، المؤلف الذي أصبح مانفستو للمدرسة الطبيعية التي وكزت في تطبيق المدرسة الواقعية ، وبالغت في ذلك . وعولت على استخدام العلوم ، أو ما كان يتصوره الناس علماً .

التقنية العلمية في الأدب

قضت هذه الآراء بضرورة الاعتماد على التقنية العلمية في الأدب والفن . والتأكيد على التجربة والملاحظة . كما دعى إليها كلود برنارد . وتطبيقاً لكل ذلك كرس زولا حياته لذلك العمل المتحمس الذي صور في عشرين رواية سلسلة الحياة الباريسية في عهد الامبراطورية الثانية . بكل تفسخها ومشاكلها وشقائها وضياعها ، ورسم صوراً دقيقة للعاصمة «البوناپارتية» بمواسمها وسمائها وجمال حدائقها وصخب شوارعها . واستدعى التصوير الدقيق الطبيعي للحياة عند الكاتب إلى دراسة موضوعه كما لو كان عالماً اجتماعياً يعد تقريراً للحكومة . فالأرقام والاحصائيات والتقارير الرسمية والدراسات الموضوعية أصبحت عدة له

وعلى الطرف الآخر وقف ديغا ، يرسم لوحاته . ويصنع تماثيله من نفس الأسلوب والمنطلق . وتقريباً كرس فنان وقته وجهده لملاحظة موضوعه ودراسته دراسة واقعية ، كما فعل ديغا الذي اعتاد على قضاء ساعات طويلة مضنية في مراقبة موضوعه وتموجه . وملاحظته ، ودراسته ، وإعداد عشرات المخططات له من شتى الجوانب والزوايا قبل أن يفرغه بالزيت على اللوحة . (قارن ذلك بما يفعله الرسامون المحدثون الذين يفرغون من الصورة في لحظة عين) ، وزيادة في ذلك أقام عدة منصات في «الاستوديو» على مستويات مختلفة ، لتمكنه من ملاحظة موضوعه وتخطيطه من فوق ومن تحت ، ومن أي مستوى كان . وطور أيضاً المواد التي كان يستخدمها ، وطريقة مزجها ، ومن ذلك تبخير «الباستيل» بالبخار ، بحيث يصبح كالزيت ، ثم مزجه بالتربنتين ، ونحو ذلك ، مما يخرجنا عن نطاق هذه المقالة . وقد فعل كل ذلك للحصول على أقرب تشابه مع الطبيعة .

اشتهر ديغا مشهوراً بين الناس بلوحاته عن راقصات «الباليه» . ولكن قلما انتبه الجمهور إلى التعابير الأليمة التي كان يضعها على وجوههن . لقد قضى هذا الرسام أشهراً وسنين في مدارس «الباليه» ومسارحها . وفرق «السيرك» . يراقب الفنانات والفنانين في ساعات التعب والسأم والألم . فالراقصة عنده ليست مخلوقاً ملائكياً ساحراً . وإنما عاملة تكسب قوتها بعرق الجبين والمعاناة . وتحشر وراء «الكواليس» . تنتظر دورها بملل . وهي تتثاءب . ولا تحلم في شيء غير أن تكون في فراشها نائمة .

عداء مستمر

كنا ننتظر من هذا الالتقاء في النظرة والأسلوب أن يلتقي هذان الفنانان في جبهة واحدة . لا سيما أنهما كانا يصوران في أكثر الأحوال نفس الشخصيات أيضاً . مثل عاملات «المكوى والغسيل» ، والراقصات والمومسات . والعاملات والعاملون في السيرك . وأبناء الطبقة «البرجوازية» الخ . ولكن ذلك لم يحدث . وما حدث هو العكس تماماً . أي عداء مستمر . وربما عاد هذا العداء نفسه إلى استعمالهما نفس الطريقة . عملا بالمثل الشعبي «ديكان على نفس المزبلة لا يتصالحان» . فبادر زولا أولاً إلى كتابة قصة «التحفة الرائعة» (الماستربيس) . وفيها صور فشل الرسام في محاولة تصوير الواقع . وأكد على أن الكاتب بما يستعمله من



وسيلة الكلمة أقصر على التعبير والتصوير من الرسام . وكان هذا تحديا واضحا لديغا ، فاختار بعضهم على زولا أنه يجب أن يستثني من مثل هذا التعميم فنانا دقيقا في تصويره مثل ديغا ، لكنه أبى أن يستثنيه . وقال : « لا أستطيع أن أقبل بأن الرجل الذي يحبس نفسه طوال حياته لمجرد أن يرسم « فتاة باليه » يساوي في المنزلة والقوة فلوبير أو دوديه أو غونكور » . وكان هذا التصريح أكثر من أن يستطيع ديغا عليه صبرا ، والحق معه ، لأن زولا كان مجحفا في حكمه . لم يحبس زولا نفسه في « الاستوديو » ليرسم فتاة « باليه » ، لقد كان يجول ويصول في أنحاء باريس حاملا معه قلمه ودفتره ، يراقب ، ويدرس ، ويرسم ، ويسجل ما يراه . وظل الرسام نفسه عندما سخر من طريقة اميل زولا في دراسة الواقع من قراءة التقارير والأرقام والاحصائيات . فقال انه يذكره بالرجل العبقري الذي يحاول دراسة المجتمع بقراءة دليل الهاتف . وعندما نشرت قصة زولا « بهجة السيدات » في أمريكا (١٨٨٣) كتب ديغا إلى الناشر مقترحا عليه أن يضع في كل نسخة من الكتاب عينات من القماش و« الدانتيلا » التي لبستها البطلة ، وكان ديغا يستهزىء بذلك بمحاولة زولا تصوير الواقع بدقة . فمهما أوتي القصاص أو الشاعر من عبقرية في الوصف فإنه لن يستطيع أن ينافس فرشة الرسام في تصوير الشيء أو الشخص . والطريف في قوله أنه هو في الواقع الذي استعمل القماش « والدانتيلا » في تمثاله « الراقصة الصغيرة » إمعانا منه في الطبيعية

واحتدمت المعركة بين الطرفين ، وتدخل فيها ادموند دي غونكور الذي وصف ديغا بأنه « رسام الوصيفات الساقطات » . ورد ديغا عليه بسلاحه ، وهو فرشة الرسام ، فرسم غونكور بشكل شخص مدّع يحاول أن يظهر أمام الناس بمظهر « نابليون » . وكتب زولا فقال : « إن تخطيطات ديغا أحسن من لوحاته ، فهو يتلف لوحاته بضرباته الأخيرة ومحاولاته لاعادة الصورة » ، ثم سخر منه سخرية لئيمة فقال : « إنه ليس سوى فنان من الدرجة الأولى مصاب بالاسهال » .

والمضحك في هذه المشادة أن كلا منهما كان يعرف في قرارة نفسه أن الآخر عملاق من عمالقة الفن . وكان اميل زولا من كبار النقاد الفرنسيين في الفنون التشكيلية ، ولم تغب عن ملاحظته عبقرية ديغا ، وكان ديغا ـ من جانبه ـ يقرأ روايات زولا وكأنها فصول من الكتاب المقدس ، بل ولقد قام برسم بعض

مشاهد هذه الروايات . لقد كان كل منهما يدرك مدى طبيعة وروعة إنتاج الآخر إلى الحد الذي جعلهما يسرقان من بعضهما ، وهناك أمثلة كثيرة للتطابق بين أشخاصهما ومشاهدهما ، لقد رسم - مثلا - ديغا عاملات المغسلة ، وصور حوانيت الكوافير في عشر لوحات في ١٨٦٩ ، ثم عرض هذه اللوحات في المعرض الانطباعي لعام ١٨٧٤ ، وبعد سنتين فقط نشر زولا قصة « دكان الغرام » التي وصف فيها عاملات المغسلة بشكل لا يترك شكا في أنه نقله أو استوحاه من رسوم ديغا ، ولقد لاحظ نقاد آخرون تطابقا بين أعمال ديغا « صور في البورصة » وشخصيات رواية « الفلوس » لاميل زولا .

مشهد غرفة العرس

وفي مثل آخر وجد النقاد أن صورة ديغا المعروفة « بمنظر داخلي » قد جاءت في الواقع كتصوير تشكيلي لمشهد غرفة العرس التي وصفها زولا في قصة تريزة راكوا التي نشرها بعنوان « زواج حب » ، بهذه الكلمات :

« كانت هناك نار جميلة تتوهج في الموقد ، وترسل بقعا كبيرة من ضياء ذهبي ، يتراقص على الجدران والسقف ، وتضيء الغرفة بكاملها بإشعاع براق ثابت ، وأمام هذا الضوء تضاءل المصباح ، واستحال إلى بصيص خافت . أرادت السيدة راكوا - عمة تريزة - أن تجعل الغرفة جميلة وناعمة ، وكل شيء فيها في بياض ناصع ، وعاطر كعش الغرام لفتاة بكر ، لقد طاب لها أن تزين الفراش بقطع إضافية من « الدانتيلة » وأن تملأ المزهريات على رف الموقد بباقات كبيرة من الورود ، وهناك تجلس تريزا على كرسي واطيء إلى يمين الموقد . »

إن معظم ما ورد في هذا الوصف قد التقى ما يقابله في صورة ديغا « منظر داخلي » ، ولقد أضاف الرسام من خياله ما يكمل - في الواقع - السرد القصصي والجو العام للرواية ، ومن ذلك « الكورسيه » الملقاة على الأرض ، القبعة العالية الرجالية ، والشال الملقي على السرير .

هناك كثير جمع بين هذين الفنانين ، لكن ما الذي أثار بينهما هذه البغضاء والشماتة ؟

وأشار بعضهم إلى الخصومة التقليدية بين الفنون الأدبية والفنون التشكيلية ، بين القلم والفرشاة ، بين الكلمة والخط ، لكني لم أجد ذلك التعبير مقنعا ، وكأحد الممارسين للسياسة وجدت التفسير الوحيد في إطار السياسة ، إذ لم يكن زولا فرنسي الأصل ، وإنما انحدر من عائلة إيطالية ، هاجرت إلى فرنسا في صباه ، ونشأ يتيما ، وعانى كثيراً من الفقر والحرمان والتشرد . ولقد أعطاه كل ذلك شعورا بالقلق والنقمة على المجتمع ، والتعاطف مع الحركات « الراديكالية » ، ولقد نظر إلى المدرسة الطبيعية من الزاوية الاجتماعية ، كما ينظر إليها في أيامنا هذه النقاد السوفييت والاشتراكيون واليساريون عموما .

وعلى نقيض ذلك انحدر ديغا من أسرة « برجوازية » مترفة ، ذات أصول فرنسية عريقة ، ولذلك لم يتجاوب مع الحركات الثورية والإصلاحية في زمانه ، بل لقد نظر إلى المدرسة الطبيعية كما ينظر أبناء « الارستقراطية الأوروبية » ، وأساتذة « السوربون » و « اكسفورد » و « كيمبردج » إلى حياة البدو و « الاسكيمو » ، وبقي الحرص على الدقة والموضوعية ، ولقد تجلى هذا الاختلاف في النظرة في موقف كل منهما حيال القضية الشهيرة المعروفة بقضية « الكابتن دريفوس » ، فبينما ثار زولا على الظلم الذي ألحق بهذا الضابط اليهودي ، وصال وجال لاتهامات برلمانيه انضم ديغا إلى « البرجوازية » الفرنسية في تجريم الضابط ، ونظر باحتقار إلى محاولات زولا لاثبات العكس .

ولأن كان سبب نزاعهما فقد جاد علينا هذا النزاع بفرص فريدة ، فرجنا فيها على موكب العظماء ، في ساحات فريدة من ساحات عراكهم ومهاتراتهم . □

بقلم : محمود المراغي

أطلق الاقتصاديون كلمة « معدل النمو » كتعبير موجز عن حالة الاقتصاد ومدى تقدمه . ولكن ومع الأرقام الأخيرة لبنك الدولي ، يبدو أننا بحاجة إلى مصطلح جديد اسمه « معدل التراجع » .

سجل أطلس البنك الدولي الصادر عام ١٩٨٧ بعض المؤشرات الأساسية لحالة ١٢٨ دولة في اثني عشر عاما ، تنحصر بين ١٩٧٣ و ١٩٨٥ . وفي خانة متوسط دخل الفرد ، أو نصيبه من الناتج القومي تصدمنا المفاجأة ، فهناك ٣٩ بلدا أصبح نموها تحت الصفر . وبعضها ، مثل نيكاراجوا وزائير وغانا وليبيا ونيجيريا والسلفادور ومدغشقر يقع فيها معدل التراجع نسبا تتراوح بين ٢ ، و ٤ ٪ كل عام

ورغم أن معدل النمو لم يعد المؤشر الوحيد على ارتفاع مستويات المعيشة ، ورغم أن نظرية حديثة قد فرضت نفسها ، واعتمدت على ما يسمى إشباع الحاجات الأساسية ، كالمأكل والصحة والسكن والتعليم .. واعتبرت أن مؤشر النمو شيء أصم إذا لم يقترن بإشباع الحاجات وبعدالة توزيع الدخل .
رغم ذلك فإن نسبة النمو تظل مؤشرا رئيسيا على أي حال .

نحن إذن أمام حالة يقف فيها جزء كبير من هذا العالم على عكس ما نظن أنها حركة التاريخ ، ويصبح وضعه أن التاريخ لا يسير دائما للأمام ، وأن التقدم ليس حتمية تاريخية ، تحدث بالتقادم ومضي الزمن .

هذه الحقبة .. هذه الدول

في التفاصيل نتوقف أمام الأرقام وأسماء الدول
٣٩ دولة ليست عددا هينا ، بل إنه عدد يقترب من ربع ما تدخله بنك الدولي في دراسته والبالغ قدره (١٨٤) دولة

كما أن عدد سكان هذه الدول ليس قليلا .. إنه يقترب من (٣٧٧) مليون نسمة .. أي أن هذه الملايين كلها تعاني - على الأرجح - من تراجع في مستوى المعيشة ، وعلى مدى فترة زمنية تتجاوز الحقبة .
هنا نتوقف عند العديد من الأمور .
أولها ، إن معظم الدول التي أصبح معدل نموها تحت الصفر ينتمي لما يسمى العالم الثالث ، وبالتحديد أفريقيا وأمريكا اللاتينية . الأمر الثاني أن الفترة الزمنية موضوع الدراسة هي الفترة التي تبدأ

عما سميناه ثورة النفط . وقد اعقبها ومنذ عام ١٩٧٣ - ارتفاع في اسعار المواد الاولية . هدأ النفط لبضع سنوات . وتأثر الكثير من الدول النامية التي واجهت عجزا شديدا في موازين مدفوعاتها مع العالم الخارجي . وانكمشت في تجارتها وارتفاعها في مديونياتها .

لقد استطاع العالم الصناعي أن يحتوي الصدمة النفطية الاولى والصدمة النفطية الثانية . وبينما بدأ جوانبه بالتكيف واعادة التوازن . اصبح الحديث يدور حول سلاح النفط ذاته وتجريده من ميزته النسبية التي رفعت الاسعار عدة سنوات .

في نفس الوقت ، كانت الدول النامية ... في معظمها ... في خط آخر . فمن البعض ارتفعت . وعجز البعض عن ذلك . وكانت النتيجة سالبة .

ولكن ... لم تكن ثورة النفط وحدها تحل الدول الصناعية . وانهيار اسعار المواد الأولية كان أحد أسباب الأزمة .

شهدت الزيادة السكانية للبلدان النامية التي كانت تقل عن ١٪ سنويا قبل الحرب العالمية الأولى ، فاصبحت ٢.١٪ منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن وتضاعف عدد السكان من مليار الى مليارين بين منتصف القرن وعام ١٩٨٠ .

في نفس الوقت زاد سكان مصر من (٢٥٠) مليون نسمة الى (٨٠٠) مليون نسمة في ثلاثين عاما . ويبدو أن تكلفة ذلك كانت اكبر من طاقته . ووسط هذا التيار التاريخي الذي زادت معه اعداد السكان واعداد المحتاجين للحياة في العصر حدثت السنوات الاخيرة بصدمات ابرزها : الجفاف والجوع والتصحر . قلت الامطار وانحسر اللون الأخضر من مساحات غير قليلة . وبينما كانت بلدان مثل الهند تعلن الثورة الخضراء كانت الطبيعة في مواقع اخرى ـ معظمها افريقي ـ تعلن الثورة المضادة . بتحويل مساحات غير قليلة الى أرض جدباء غير صالحة للزراعة

في التحليل يمكن أن نقف عند ما نسميه (الأفقر في العالم ، وهم الذين لا يتجاوز دخل الفرد منهم دولارا وبضع سنتات في اليوم ، أي أن متوسط دخلهم يقل عن (٤٠٠) دولار في العام . وسوف نجد تطابقا بين العديد من دول هذه المجموعة وبين من يسجلون معدلا للتراجع ، أو معدلا للتدهور ، اطلقت عليه المؤشرات الاحصائية كلمة (تحت الصفر) ، وسوف يصدق ذلك بالنسبة لدول مثل اثيوبيا وزائير وافريقيا الوسطى وغانا وسيراليون .

مع ذلك فان التراجع ليس مقصورا على الفقيرة أو الاشد فقرا فهناك دول نفطية اصابها نفس الشيء مثل ليبيا والامارات العربية بسبب تراجع اسعار النفط . كذلك فان التراجع ليس متصلا في كل الاحوال بفقر الموارد . فنيجيريا ليست اقل مواردا من سنغافورة . والارجنتين ليس اقل حالا من هونج كونج . ومع ذلك فان نيجيريا والارجنتين يدخلان في مجموعة (تحت الصفر) . وسنغافورة وهونج كونج والصين وبتسوانا يسجل كل منها معدل نمو يزيد عن ٦٪ سنويا .

هل تصبح القاعدة اذن ندرة الموارد وليس ما تمتلكه الدولة من موارد ؟

الاجابة الصحيحة أن العوامل تتداخل ... وان كانت السياسة الاقتصادية تلعب دورا حاسما . كما أن سمات الاقتصاد الدولي وربما الظروف الطبيعية ... تلعب كلها ادوارا بنسب مختلفة

وايا كان السبب ، أليس ملفتا للنظر ـ مع التقدم الهائل في العالم ـ أن يكون التقدم في ٣٩ دولة الى الخلف ؟

الامر بحاجة الى دراسة . فالتقدم للخلف يعني تدهورا في نصيب الانسان من الحياة ، ابتداء من وجبة الطعام الى الاستقرار الذي يجعلها في مسكن ... أو مأوى ! □



وسلوك الإنسان

بقلم الدكتورة : أمل علي المخزومي

هل للضوء تأثير على سلوك الانسان ، وتصرفاته ، ونشاطاته ؟
اختلف الباحثون في هذا الأمر ، وذهبوا مذاهب شتى ، لكن تعاقب الليل والنهار ، وبزوغ الشمس ، وظهور القمر ، يبين لنا الحكمة من وراء ذلك ، ويعطي بعض الأجوبة .

تعتمد الحياة على ثلاثة أسس ، هي الهواء والماء والشمس ، إذا فقد الانسان عنصرا منها يختل التوازن ، وتتعطل الحياة . وللشمس دور كبير في تنظيم الحياة العملية للأفراد . يكد الانسان طوال النهار ليخلد للراحة ليلا ، وقد سارت على هذا النظام جميع المخلوقات تقريبا ، وقد جعل الله النهار أكثر حيوية من الليل بالشمس ، كما تحصل ذلك النور الذي يضفي على الانسان والمخلوقات الأخرى الحيوية والنشاط ، تمد الشمس الأرض بالحرارة وهذه بدورها تساعد على اقامة الحياة ، فلو لم تكن الشمس لجمدت الأرض وبالتالي استحالت الحياة ،

العين البشرية :

تؤثر أشعة الشمس على تركيب العيون ولونها ، فتتميز عيون الشعوب التي تسكن في المناطق القريبة من أشعة الشمس بسواد العيون ووسعها ، أما البعيدة عن أشعة الشمس فتتميز بعيون ملونة ، أو شديدة الزرقة .

تتكون العين البشرية حساسة لموجات الضوء التي لا تقل عن ٣٥٠ ولا تزيد عن ٧٥٠ جزءا من بليون من الأمتار الطولية ، كما تستطيع العين تمييز الطيف الشمسي ، وذلك بواسطة المستقبلات الموجودة في شبكية العين ، وتحتوي هذه الشبكية على حوالي ١٢٥

- ١٢٠ مليون مستقبل ، مهمتها استقبال الموجات الضوئية ، وإرسالها الى المخ - وبذلك يستطيع المخ تمييز الألوان . لا تتصل المستقبلات بالمخ مباشرة ، بل تعطي إشارات كهربائية الى نوعين من الخلايا ، هما الخلايا ذات القطبين ، والخلايا ذات العقد ، وهما ما نسميها المستقبلات المخروطية والعصوية ، وللمستقبلات المخروطية قدرة على النظر في الأضواء الجيدة ، ورؤية الأشياء الصغيرة والكبيرة بالتفصيل ، كما تستطيع تمييز الألوان بشكل واضح ، وتنقسم المستقبلات المخروطية الى ثلاثة أنواع ، يمكنها تمييز الطيف الشمسي ، بيد أن منها ما يكون حساسا للون الأزرق ، ومنها ما يكون حساسا للون الأخضر ، أو حساسا للون الأحمر . أما المستقبلات العصوية فإنها تمنح إمكانية النظر في العتمة ، لكنها لا تستطيع التمييز بين الألوان

تأثير الضوء على الانتاج

تتسلم الموجات الضوئية من مختلف مصادر ، كالشمس ، والمصابيح ، والشموع ، والأجهزة الالكترونية . وللضوء أثر نفسية وجسمية ، وله تأثير على الانتاج اليومي للفرد

هناك دراسات عديدة أجريت لمعرفة مدى تأثير الضوء على إنتاج الأفراد ، اضافة الى تأثيره على العلاقات القائمة بينهم ، وعلى سبيل المثال هناك دراسة قام الدارسون فيها بمراقبة سلوكيات الأفراد تحت نسب مختلفة من الضوء ، فوجدوا بأن انتاج النساء يزداد عندما تكون هناك نسبة عالية من الضوء ، وتحليل هذه الظاهرة هو أن النساء يشعرن بأنهن مراقبات في ظروف الضوء الساطع ، وهذا ما يدفعهن الى زيادة انتاجهن ، وقد تكون الزيادة بسبب الراحة النفسية التي تشعر بها المرأة في الضوء الساطع ، ذلك بأن المرأة ترغب في تسليط الأضواء عليها ، لاظهار محاسنها ، وزينتها التي صرفت وقتا طويلا لاعدادها ، وهناك دراسة أخرى أظهرت نتائج ايجابية على انتاج الأفراد في أداء أعمالهم في ضوء الشمس ، والسبب هو أن ضوء الشمس أكثر راحة للعين والجسم ، لهذا دأبت الشركات على إنتاج مصابيح تحاكي ضوء الشمس ، لكن يبدو أن للضوء تأثيرا متباينا على الأفراد من مختلف الأعمار ، فقد ذكرت الباحثة جين راين بأن الضوء الساطع أكثر تأثيرا على الأفراد في سن ٢٥ سنة ، مقارنة بالأفراد البالغين ممن هم في سن ٤٥ سنة . كما أن ضوء المصابيح الساطعة يؤدي الى انعكاسات عديدة على سطح الأجسام ، مما يؤدي الى ارهاق العين وتعبها .



عين البشر

ومن نتائج الاستفتاء الذي قامت به جين أن الأفراد ذكروا بأن الضوء الذي يحاكي ضوء الشمس في نسبته هو الأحسن والأفضل للعين ، كما يحفز ضوء الشمس على الانسان الشعور بالراحة

طومسون نيلسن ، ومارغريت جونسن من جامعة البرتا وجامعة جزيرة الأمير ادوارد ، لم يؤيدا الرأي القائل بأن الضوء الساطع يؤثر تأثيرا ايجابيا على الانتاج ، بل أشارا من خلال تجربتهما على الطلاب ، بأن الطلاب قد ذكروا أن الضوء الساطع يؤدي الى التعب الشديد ، كما يؤدي الى ضعف انتاجهم ، إضافة الى الشعور بالضجر من شدة الضوء .

الضوء والشاعرية :

لتوزيع المصابيح أثر على الراحة والهدوء والشاعرية . فالأشخاص الجالسون حول منضدة عليها ضوء أكثر تفاعلا . كما أن الضوء الخافت يضفي على المكان جوا من الشاعرية والعاطفية . لهذا نجد الأماكن الليلية والنوادي تستعمل الضوء الخافت الذي يؤدي الى راحة الأعصاب ، وبالتالي تجعلهم يتكلمون فيما بينهم بصوت خفت ، مقارنة بالأماكن الأشد إضاءة . كما أن وضع المصابيح على الحائط أو خلف الستائر يضفي على المكان راحة وهدوءا وشاعرية . وإذا كان جانب من الغرفة مظلما والآخر مضيئا أدى ذلك الى الشعور بضيق تلك الغرفة

أثر الأجهزة على العين :

للأشعة الصادرة من التلفاز والأجهزة المرئية التي تتميز بطول الموجات الضوئية أثر كبير على أعصاب العين ، ويؤدي جلوس المرء أمام تلك الأجهزة فترة طويلة وبمسافة قصيرة الى تشبع العين بهذه الأشعة ، وعندما يغلق المرء عينيه يشعر بوجود هذه الأشعة التي تبقى فترة من الزمن ثم تتلاشى ، وهذه الظاهرة شبيهة بظاهرة التحديق في المصباح مدة طويلة ، حيثما يلاحظ الفرد عندما يكون في مكان مضيء ثم ينتقل فجأة الى مكان متوسط العتمة . فإنه لا يستطيع رؤية الأشياء الموجودة في ذلك المكان

الضوء ومرض الكآبة :

يتكيف جسم الانسان مع البيئة الخارجية ، والضوء شيء منها . وتلعب الغدة الصنوبرية دورا مهما في هذا التكيف ، وهي تقع تحت سطح المخ وخلف قاعدته ، وتفرز هرمونا يسمى ميلاتونين Melatonin ، يزداد هذا الافراز كلما تلاشى النهار وقصر ، فتكون الافرازات في الشتاء أكثر من الصيف ، ويمكن قياس حساسية المرء للضوء من خلال كمية الهرمون الذي يفرز ، فكلما زاد الهرمون أعطى الجسم اشارات لمرض الكآبة . الانسان يشعر بضيق يشبه الكآبة عند الغروب ، والسبب هو زيادة إفرازات تلك الغدة وقد اختلفت طرق علاجية لمرضى الكآبة باستعمال نسبة عالية من الضوء ، تعادل ١٠ أضعاف الضوء المستعمل في المكاتب ، وذلك لعلاج المصابين بالكآبة يوميا ، فيشعر المريض نتيجة لذلك بالراحة وزوال المرض .

أشار الباحث مايكل كريك بأن مرضى الكآبة يزداد في الشتاء أكثر من الربيع ، لأن ليل الشتاء أطول ، ونتيجة لذلك يتعرض الانسان الى فترة أقل للضوء . ولو قارنا مابين الشتاء والصيف لكان أكثر دلالة ، وقد يكون لبرودة الشتاء بشكل غير مباشر أثر في مرض الكآبة ، لأن الانسان يقبع في البيت فترة أطول خلافا للصيف . أما في الفصول الأخرى فانه يذهب الى أماكن التسلية ، كالسباحة ، والتنزه في الحدائق ، وزيارة الأصحاب ، مما يضفي على تلك النشاطات والعلاقات الاجتماعية نوعا من الراحة والانسجام الذي يبعد الشعور بالكآبة

هناك طرق علاجية أخرى استعملت في المستشفيات لعلاج الأطفال المصابين بالاعياء ، أو صعوبة الوقوف ، أو الشعور بالكآبة والحزن ، واستعملت لعلاج الأطفال سريعي التهيج والبكاء دون سبب واضح ، إضافة الى استعمال الضوء لعلاج الأرق والقلق استعمل الضوء الأخضر والأزرق لتخفيف مرض الكآبة ، وكانت نتائج تلك الاستعمالات جميعها ايجابية ، واستعمل الضوء الأزرق لعلاج المولودين حديثا المصابين بمرض اليرقان ، وذلك بعمل حمامات مضيئة بالضوء الأزرق ، إضافة لاستعماله في علاج الأطفال المصابين بتسمم الدم

قام الباحث روبيرت بتجربة في لوس انجلوس لقياس أثر الضوء على الأفراد من الناحية النفسية ، وطلب من طلابه أن يتخيلوا لونا معينا للضوء الذي



يضفي اللون من الشموع هدوءاً وسكوناً

يرغبون فيه ، ولم يذكر بعض الطلبة لوناً معيناً . فاقترح عليهم أن يتخيلوا اللون الأزرق أو البرتقالي . وطلب من الجميع أن يتخيلوا أنفسهم في حلم مضيء بالألوان التي تخيلوها ، وسمح لهم برؤية الضوء الذي تخيلوه ، وسألهم فيما بعد عن شعورهم . فاتفقت الاجابات على أنهم شعروا بنوع من الراحة . فوجد أن رؤية الضوء لها أثر أكبر من الاستعمال الحقيقي للضوء ، وأيده في ذلك الباحث هاريس من خلال نتائج الاستفتاء الذي قام به على بعض الموظفين ، فوجد أن عدداً منهم قد ذكروا بأن للضوء أثراً على راحتهم وانتاجهم اليومي .

هناك أوقات يؤثر التطلع فيها الى أشعة الشمس تأثيراً كبيراً على أعصاب العين ، كوقت الغروب الذي قد يؤدي الى اصابة العين بأمراض عديدة ، وقد وجد الباحثون بأن التعرض الى أشعة الشمس فوق البنفسجية يؤدي الى تغيير لون الجلد وطبيعته ، وقد يؤدي الى الاصابة بمرض سرطان الجلد ، لهذا ينصح الأطباء الأشخاص المعتادين على السباحة ، والجلوس على ساحل البحر أن لا يطيلوا التعرض الى الشمس خاصة في ساعات الظهيرة .

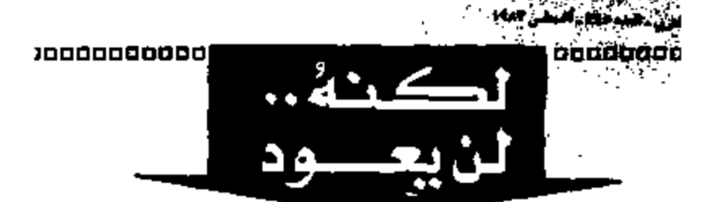
الضوء والسلوك :

يختلف تأثير الضوء على سلوك الأفراد باختلاف الألوان . فاللون الأحمر والبرتقالي يشعران الفرد بالحرارة والقلق أكثر من اللون الأزرق . أما اللون الأخضر فإنه يعين الفرد على التركيز .

يستعمل الانكليز اللون الأخضر في غرفة العمليات ، فلون الجدار والشراشف والمناشف فيها في المستشفيات هو اللون الأخضر ، كي يساعد الطبيب الجراح على التركيز في وقت اجراء العملية . وهناك بعض المدارس تستعمل لوحات الكتابة الملونة باللون الأخضر لنفس السبب

قام بعض علماء النفس الانكليز بتجربة ، وذلك بأخذ ٢٠ طفلاً الى صالة لعب القمار ، وقسموا قسمين ، قسم يلعب في غرفة مضاءة بالضوء الأحمر ، والآخر في غرفة مضاءة بالضوء الأزرق الفاتح . فوجدوا أن المجموعة الأولى كانت تقامر أكثر من المجموعة الثانية . لهذا نجد أصحاب الحانات يستعملون الضوء الأحمر لدفع الأفراد الى المقامرة كي يخسروا أكثر .

أما اللون الأبيض فله أثر على شعور الأفراد . قام باحث سويدي بتجربة على ١٢ ملاحاً في السفن والبواخر الكبيرة ، وذلك باستعمال اللونين الأبيض والأحمر ، فوجد أن الملاحين لا يميلون الى اللون الأحمر ، وإنما يفضلون اللون الأبيض . ذكر بعضهم انهم يلاقون صعوبة في ايجاد الطريق عندما يستعملون اللون الأحمر . نلاحظ انتشار اللون الأبيض في الملاحة ، ثم يليه اللون الأزرق ، وقليلاً ما يستعمل اللون الأحمر لنفس الأسباب المذكورة . □



إلى صديقي الشاعر الذي مضى ...

شعر / عزت الطيري

(١) (ابتداء)

قمرٌ أم نَدَى   نجمةٌ أم شَذَى
وردةٌ أم صهيل   دمعةٌ أم هديل
مطرٌ أم ندى   أيهذا المساء ؟!
أيها الفتى الفوضوي المعبأ
بالحزن والأمنيات !
أنتَ علّمتنا بالبكاء الجميل
على مهرة المستحيل
أنتَ أرهقتنا بصباباتك الخائباتِ
حينَ يسقطُ من كفّك النردُ ،
حين يذبلُ في حقلك الوردُ ،
حين يلسعك البردُ ، حين تكركر الفاتناتُ
وقد كنت أشجيتهنّ بصمتك ،
قلّبتَ في صدرهنّ المواجع ، عند ابتداء الغناء
مرةً .. قلتَ لن ألتقي ?!
مرةً قلتَ لن أكتبَ الشعرَ ، لن أرشقَ الوردةَ
فوق جبين البنات
والتقينا كثيراً ، غير أنّ الهوى قادنا ،
وللمحطات بتلك الفلوات وجهنا كثيراً ،
وخلتنا اتسعنا المتاهات

(٢) (شهادة أولى)

كان يأتي إلينا مثقلاً بعذاباته ، حاملاً تعباً ،
وفوضى في كفّه موسماً من حنين ، ثم يجلس
يشرب قهوتَه ، ويقلّب أوراقَه
باحثاً عن صحبٍ ، وعن إخوةٍ طيبينْ ،
وعن بيت شعرٍ جديدٍ ، وعن أغنياتٍ ،
تفتّش في غمار الروحِ ، تروي أناشيدَ قلبٍ حزينٍ ،
كان يعرفنا واحداً واحداً ،
ثم ينكرنا واحداً واحداً ، ويمضي
لشبه موجةٍ بين جزرٍ ، وعصفورةٍ خرجتْ فجأةً ،
تحطُّ على وجههِ الفاتنِ كالياسمين !

(٣) (شهادة ثانية)

ضيّقٌ وقتهُ ، ضيّقٌ سرب أيامه ،
(وجهه واسعتان) ، واسعات سماواتهُ ،
كان يقيسُ لمرآتهُ ، ويغنّي لأحبابه ،
ثم يطلقُ أطيارَهُ في الفضاء البعيد

مَنْ يعيدُ الفتى لأصحابه ؟
مَنْ يعيدُ المحبَّ الجسورَ لأحبابه ؟
مَنْ يعيدُ الفتاة لعرسِ البناتِ ؟



مَنْ يعيدُ الغزالاتِ للسهلِ ؟
مَنْ يعيدُ الفراشات للحقلِ ؟
مَنْ يعيدُ الربيعَ لأشجارِهِ ؟
مَنْ يعيدُ الفتى الفوضويّ
لأمّ بكتْ ، وارتمتْ تحت أقدامِ آثارِهِ ؟!

(٤) (انتهاء)

لن يعودَ الفتى يا صحابُ .
ربما يشربُ الآنَ قهوتَهُ في مكانٍ قصيٍّ ،
باحثاً عن قمرٍ ، وعن وجهِ طفلٍ نقيٍّ ،
وعن فاتناتٍ ، يقلنَ كلاماً جميلاً
وعن مستحيلٍ شهيٍّ ربما ربما
ربما يشعر الآنَ أنَّ الطريقَ الذي كانَ
يسلكُ صعبٌ ، وأنَّ المرايا تكذبُ ،
وأنَّ الصديقَ اختفى بالعدوِّ ،
وأنَّ العدوَّ اختفى بالصديقِ ،
وأنَّ الطريقَ بعيدٌ ، وأنَّ البعيدَ بعيدٌ .
ربما ربما ولكنّه لن يعودَ ولكنّه لن يعودْ



بقلم الدكتور محمد حكمت عبدالدائم

ترى لو كان لكل جملة مبنية معنى ، فما معنى مبناك ؟ وإن كان لكل كلمة مغزى ، فما مغزى كلماتك ؟ وإن كان لكل عضو تأويل ، فما تأويل أعضائك ؟ وإن كان لكل اسم دلالة ، فماذا أعطت أسماؤك ؟ وإن كان لكل مثل عبرة ، فما عبر أمثالك ؟

أما العقل فبه تحقق التدبر ، ومتى غابت التوكل . فلولا العقل والعقال لاستحال كل مقال ، لأن نحب القول الربط بين الاسم والخبر ، وبين المعمول والعامل ، والعقل هو الحبل الرابط ، والعقل هو الاستمساك . وأنت متى عقلت الأمر ضبطته ، فعقلت ثم توكلت ، وحددت المعنى ثم توكلت . ولو انفرد العقل دون التوكل ، والقول دون المعنى لاختل المبنى على كل تدبير ، وما كان ليصح . أما التوكل دون تعقل فلا يصدق أصلا ، إذ علام تتوكل ، وإلى أي شيء يتجه المعنى ؟ يولد العقل عقلا ، ثم يستمر فينمو فيثمر ، ثم يغشاه نسيان الأيام فيختفي به

أما القلب فهو الباطن في يسارك ، يتقلب كالدم مع كل نبضة في وريد وارد إلى شريان شارد ، كل ساعة هو في حال ، شغوف متعب بالشغاف ، فؤاد متقد بهواه ، فما صدر عنه صدر في شريان نابض متدفق ، هي مضغة القلب تسري نبضاتها في جميع أوصالك فتحييها ، فإذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فرح طرب لفرحه الجسد كله ، وأما الغضب فهو جمرة توقد في قلب ابن آدم ، ألا تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه .

واللسان هو الرسول الترجمان ، يسطر سوى القلب ، ويدفعه أنا يشاء ، وباسم العقل وبجعله الآمر ، وهو في الوسط بينهما يشهد عليهما ، كلمات تخبرات ، فى مكلم إلا يكلمهما ، من العقل الآمر والمعتبر ، ومن قلب الصدر المصدور . فمن ادعى أن اللسان من العقل وحده فقد تعالى في دنياه ، ومن ادعى أن اللسان من القلب وحده فقد تهاوى في هواه ، وأما من أثقل منتمه وعدل ميزانه فقد أحسن ميلته وأتى ترجمته ورقي رسالته .

وكان السمع حركة من أنفاس صدرية ، في أشكال شفوية ، فتموجات هوائية ، في عكارة لغنية ، ثم في باطن الأذن اختلاجات عظمية ، ثم في التجويف طرب واهتزاز ، أو اضطراب ورجفات . فالمتحركة له في الأذن وقر ، والمحركة له في النفس وقار .

ثم كان البصر للاهتداء ، والبصيرة للاستهداء فالعين أم البصر ، والنفس أم البصيرة ، والنظر واسطة العين إلى البصر ، والقلب واسطة النفس إلى

البصيرة . ومرض العين عشاوتها ، ومرض القلب كتابه . وميل العين حولٌ في البصر ، وميل القلب عوج في البصيرة

وفي الوجه الجبهة ، والجبينان ، والحاجبان المتوثبان ، والعينان الحيتان ، والخدان المتوردان ، والأنف الأنوف ، والفم الحلوف . والجبهة مطلعك وحركتك ، إذا فرحت انبسطتْ وانفرجتْ ، وإن غمت انجرتْ وانعقدتْ ، وإن تبشرت استرختْ وسكنتْ . والعينان حيتان ترسمتا وصفقتا عند الشدة ، واستعصتا عند المذلة ، واحتجبتا بالنور متوثبين حاجبين عند الرهبة، وتنبلتا عند التعب ، وارتبكتا عند الحيرة والأزمة ، فهي عينا حالك ، ورائدتا مالك بالك .

والخدان المكتنفان ، فيهما يتجلى القلب احمرارًا لبشر أو شحوبًا لنا ، وفيها تتحول النفس استدارة لانبساط فيها ، أو تكورًا لتوتر يروعها ، أو هبوطا لصدود يغشاها . والجبينان المتراصان ، والأنف الأسوف في المترصاعم ، والفم المتلوف إلى الصيام . كل هذا للوجه ، لهذا توجه له النظر والانتظار ، وتوجب له الاحترام والاعتبار ، والانفراد بعظيم بناء ، وتجلي معناه ، فهو صفحة الإنسان وجلاؤه .

والرحم في المتوضى ، والإنسان على الأرض . إذا استحلت ماء الرحم فهو المخيض ، وإن استحاص ماء الأرض فهو المحيص . الرحم موضع الخلق ، والرحمة تتعاطف بين الخلق . فالرحم مقر للخلق والانتظار ، والأرض دار للخالق واختبار . لهذا استوجب كل ابن رحم الرحمة ، وكان في كل كبد حراء أجر .

فإذا رمالك التماس للنامك . كان نومك كالبرزخ بين اليقظة والحلم ، والحلم رؤيا انفرد بها الناس . واليقظة رؤية أجمع عليها الأناسي . في الحلم غلبة عليك ، وفي اليقظة غلبة لك ، وفي كليهما سلاك والتفعال للنفوس والألباب . لذا كان النوم سيانا بين حياتين ، وبرزخا بين عالمين ، وظلمة بين نورين . نور اليقظة الترابية ، ونور الرؤى الخيالية

والكل في الكل إنسان ، وكلنا آدم ولا معرد لنا نحن طوري على الأرض . لما نورتنا إلا أحسن . البسنا البشر ثوبا ونلونا لكل بشرى . ثم وربنا أنفسنا رؤيا كما يرى الفيح حوله ؟ بل الإنسان تراءى نفسه في سواد نفسه ، فسمي إنسانا ، كالطائر الذي يرى في سواد العين فسمي إنسان العين . تراءى الإنسان نفسه فاستأنس ، وفي الظنون ، وأصبح كالرائي تسب في حسن منضبط ، ولا يدري أهو الرائي أم المترائي . وما هو إلا بصيرة على نفسه

كذلك جملة أمرك ، حيرة بين رؤيتين ، وجملة بين تراءتين ، والحيرة حركة ، والحركة حياة فيما لنا بعد هذا إلا الحركة والاضطراب . فاعرب إن كنت بشرا عربيا معربا ، فإن من أحسن إعرابه أنهى جملته ، وأصاب حركته ، وأبان معناه ، وأبرأ عجمه ❑

منطـــق مقبـــول

● دهش مدير الفندق الكبير عندما طلب منه « جون روكفلر » المليونير الأمريكي الشهير أن ينزله في أرخص غرفة في الفندق . فقال مدير الفندق بعد وجوم : ولكن ابنك ياسيدي يستأجر أكبر أجنحة الفندق عندما ينزل عندنا ، فرد المليونير في ابتسامة هادئة : أيها الشاب إن لابني أبا ثريا لكنا أنا فلا .





بقلم : الدكتور سعيد النجار *

عرف الوطن العربي منذ مدة طويلة طريقتين لكتابة الأرقام . الطريقة الأولى وهي الشائعة في بلاد المشرق العربي وفي كل البلاد الاسلامية غير العربية التي تستخدم الأبجدية العربية مثل ايران وأفغانستان وباكستان وتركيا . وفيها تكتب الأرقام هذه الصورة :

٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

أما الطريقة الثانية فهي الشائعة في بلاد المغرب العربي . وفيها تكتب الأرقام الصورة الآتية :

0987654321

وهي أيضا صورة الأرقام المعروفة في البلاد الأوروبية . ويطلق على هذه الصورة أحيانا الطريقة الغبارية .

قبل عقد السبعينات

وقد سارت جامعة الدول العربية منذ انشائها سنة ١٩٤٤ على الطريقة المشرقية في كتابة الأرقام ، ولم يكن هذا الموضوع محل خلاف أو شكوى من أحد ، واستمر الحال كذلك حتى نهاية عقد السبعينات ، حين قررت الجامعة التحول من الطريقة المشرقية الى الطريقة المغربية أو الغبارية ، وأعقب ذلك حدوث نفس التحول في المنظمات العربية التابعة لأسرة جامعة الدول العربية ، واليوم نجد أن كل التقارير الرسمية والبحوث والجداول الاحصائية تستخدم الطريقة المغربية في الأرقام . واختفت الصورة المشرقية للأرقام تماما من دائرة الجامعة العربية

---

* استاذ سابق بجامعة القاهرة .

والمنظمات العربية الحكومية الأخرى ، بما فيها المنظمات ذات الاستقلال الذاتي ، مثل الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وصندوق النقد العربي وغيرها .

ولا تخفى الأهمية الكبرى لهذا التحول ، فان معناه أن الجامعة العربية والمنظمات العربية الأخرى توافرت لديها أسباب قوية دفعتها الى تغليب الصورة المألوفة في ثلاثة أقطار عربية (تونس والجزائر ومراكش) وأوروبا على الصورة الشائعة في سائر الأقطار العربية ، وتغليب نظام مألوف لدى ٤٥ مليون فرد عربي على نظام مألوف لدى ١٣٥ مليون عربي .

ونخلص من هذا كله أن النسخ المستخلصة من التراث العربي والاسلامي لا تعرف الا الصورة المشرقية للارقام ، وينطبق ذلك على المساجد التاريخية المنتشرة في أنحاء الوطن العربي والعالم الاسلامي ، والمخطوطات التي انتقلت الينا عن مدة تربو على ألف سنة ، والمصاحف النادرة ، والأواني الخزفية الثمينة والمسكوكات النقدية الأثرية . وهكذا حيثما تنظر في تراثنا في أي مظهر من مظاهره تجد ، ولا ريب ، تجد الصورة المشرقية للأرقام ، ولن تجد مسجلا يحمل تاريخا في صورة 985 مثلا ، أو مصحفا يحمل ترقيما في صورة 34 اللهم الا في حالات متأخرة في المغرب العربي ، ولكنك سوف تجد هذه الارقام في تقارير جامعة الدول العربية التي صدرت عنها بعد أواخر عقد السبعينات .

أين هي الحقيقة ؟

أقول انه لا بد من وجود أسباب بالغة القوة لنبذ نظام مستقر مألوف منذ عشرة قرون من أجل نظام يختلط في ذهن المواطن العربي العادي في معظم أرجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي بالصورة الأوروبية أو الافرنجية لكتابة الأرقام .

يبدو أن السبب في هذا القرار الخطير يرجع الى نظرية تقول ان الصورة المغربية أو الغبارية هي الصورة العربية الحقة ، أما الطريقة المشرقية فهي عند أصحاب هذه النظرية منقولة عن الهند ، ومن ثم فان احلال الصور المغربية للأرقام على الصورة المشرقية نتيجة منطقية لحركة التعريب التي تقتضي الأخذ بالعربي الخالص ونبذ الغريب المستورد .

وقد جاءت هذه النظرية في بعض البحوث التي نشرت تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط التابع لجامعة الدول العربية ، وأود بهذه المناسبة أن أعرب عن شكري للاستاذ جورج عطية مدير الدائرة العربية في مكتبة الكونجرس في واشنطن الذي لفت نظري الى هذه البحوث ، ومن بين هذه البحوث دراسة للأستاذ محمد سويسي ، الأستاذ السابق في جامعة تونس ، بعنوان « الطابع العربي في الارقام الرياضية » ونشرت في مجلة اللسان العربي في يناير ١٩٧٥ . ويقول في نهاية بحثه « يستنتج من كل ما ذكر أن الأرقام الحسابية الجاري العمل بها في البلاد المغربية هي من وضع عربي مغربي ، لأن عرب المغرب لم يتصلوا بالهنود ، وانما اتصلوا بالاغريق الذين لم تكن لهم طريقة منتظمة لكتابة الاعداد ، كما اتصلوا بالرومان ، وهم أصحاب طريقة بسيطة في رقم الاعداد . يضاف الى ذلك الاشادة بعرب المغرب فقط ، من أجل محافظتهم على طريقة أجدادهم ، واطلاق اسم الأرقام العربية عليها ، ونقلها الى أوروبا عنهم . وتسمية السلسلة المقابلة (يعني الطريقة المشرقية) باسم الأرقام الهندية الى غير ذلك » .

وكان الأستاذ السويسي قاطعا في أن الصورة المشرقية مأخوذة عن الهنود كما يبدو ذلك من عبارته الآتية :

« ان عرب المشرق كانوا وسيلة لانتشار الكنوز العلمية الهندية التي ازدهرت عندهم ومنها على الخصوص فن الحساب وأرقامه ، وان أعظم فضل يشاد به لهم هو نقلهم الأرقام الهندية » .

كذلك تناول الأستاذ سالم محمد الحميدة نفس

الموضوع في بحث له سنة ١٩٧٥ بعنوان « الأرقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ » وهو يتفق مع الأستاذ السراج في أن الطريقة المغربية أو الغبارية ابتكار عربي بحت لا يمت الى الهنود بصلة . ولكنه يختلف مع الأستاذ السراج في أصل الطريقة المشرقية . فهو لا يذهب مذهب الأستاذ السراج في أنها منقولة عن الهنود ويرى أنها هي الأخرى ابتكار عربي ، ولو أنها متطورة عن الطريقة المغربية ، غير أن العرب أطلقوا عليها اسم الأرقام الهندية اكراما منهم للهنود الذين كان لهم الفضل في وضع النظام العشري للأرقام ، ويختتم الأستاذ الحمصي بحثه بالعبارة الآتية : « وبذلك نستطيع القول بأن العرب قد توصلوا الى نتيجة لا تقل قيمتها العلمية عن ايجاد أو اختراع أشياء جديدة ويؤهلهم ذلك الى مركز الواضع أو المخترع .

أما بالنسبة للسلسلة الثانية (يعني المشرقية) التي أطلق عليها العرب أنفسهم اسم الأرقام الهندية ، رغم أنها لا تشبه الأصل الذي اشتقت منه ، والسبب في اطلاق هذه التسمية عليها على ما يظهر هو الاكرام بعينه للشعب الهندي الذي منحهم هذا النظام ، وذلك عرفانا منهم بالجميل . .

والنتيجة التي نخرج بها من دراسة هذه الحقائق تظهر لنا أن هذه الأشكال التي أوجدها العرب في السلسلتين المستعملتين في الوقت الحاضر ما هي الا ابتكارات عربية » .

افتقار المنهج العلمي

هذه هي النظرية التي اتخذتها جامعة الدول العربية أساسا لنبذ الصورة المشرقية للأرقام ، واحلال الصورة المغربية مكانها . ومما يثير الأسى أن يكون مثل هذا القرار الخطير على أساس هذا النوع من الدراسات التي تفتقر بصورة واضحة الى المنهج العلمي في البحث التاريخي لأصول الأرقام ، فانه مما يلفت النظر في هذه الدراسات أن أصحابها لا يكلفون أنفسهم مشقة الرجوع الى المراجع العلمية المعتمدة في تاريخ الرياضيات ، واعتمدوا على بعض المراجع المغربية الظاهرة في القرن الثالث عشر الميلادي ، وما بعده ، كذلك فانه مما يلفت النظر أن أصحاب هذه الدراسات لا يرجعون الى الأصول الهندية في كتابة الأرقام ، للتحقق من مدى صواب النظرية التي ينادون بها ، ولو أنهم فعلوا ذلك لاستبانوا بسهولة خطأ الاستنتاجات التي انتهوا اليها ، ذلك ان اجماع المصادر العلمية المعتمدة أن الطريقة المغربية أو الغبارية منقولة عن الطريقة التي كانت شائعة في بعض أجزاء الهند في القرن الثامن الميلادي ، وهو الوقت الذي أخذ فيه العرب بالنظام الهندي الحالي ، ويتبين ذلك بوضوح عند مقارنة الصورة الغبارية بالصورة الهندية حينذاك ، وخلاصة القول أن قرار جامعة الدول العربية نبذ الطريقة المشرقية لكتابة الأرقام واحلال الطريقة المغربية مكانها لا يمكن أن يندخل تحت باب التعريب ، والحقيقة المحزنة أنه تهنيد للأرقام العربية ، بمعنى أنه يضع الأرقام العربية في صورة هندية

دور الخوارزمي والعلماء الآخرين

وأود قبل تقديم الدليل على ذلك أن أذكر بعض الحقائق التاريخية التي لا خلاف عليها ، من الثابت أن العرب لم يكن عندهم نظام للأرقام في الفترة السابقة على ظهور الاسلام ، وكانوا يستخدمون الحروف الأبجدية للدلالة على القيمة الرقمية ، وهو النظام الذي كان معروفا عند الاغريق ، وفي أغلب الأحوال كانوا يعبرون عن الأرقام بالكلمات ، مثل : الخامس والعشرين ، أو السابع عشر بعد المئة ، أو بعد الألف . واستمر الحال كذلك الى ما بعد ظهور الاسلام ، حتى عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هجرية أو ٧٥٤ - ٧٧٥ ميلادية) وبالذات حتى سنة ٧٧٣ ميلادية .

وتعتبر هذه السنة ذات دلالة كبرى في تاريخ الرياضيات في الوطن العربي، وذلك أنه قدم الى بغداد في تلك السنة أحد المنجمين الهنود يدعى كانكا. وكان يحمل معه أحد الكتب الهندية في علم الفلك. وهو كتاب «سدهانتا» من وضع الفلكي الهندي براهمغوبتا، وأمر المنصور بترجمة الكتاب الى العربية. وأصبح يعرف باسم «كتاب السند هند» وكان ذلك بداية دخول النظام الهندي للأرقام الى الوطن العربي. غير أن الدلالات الحقيقية للنظام الهندي لم تتضح الا على يد العلامة الرياضي الخوارزمي الذي قام بالترجمة المنقحة لكتاب «السند هند» سنة ٢٠٤ هجرية (٨٢٠ ميلادية)، بناء على تكليف من الخليفة المأمون. بيد أن الخوارزمي لم يقف عند حد الترجمة، فهو الذي كشف عن عبقرية النظام الحسابي الهندي وتفوقه الكبير على الأنظمة الحسابية الأخرى. ومن أهم صفاته الممتازة أنه يعتمد على تسعة أرقام فقط ويضاف اليها الصفر، وأن قيمة كل رمز تتوقف على مكانه، فالرقم ٤ تصبح قيمته ٤٠ اذا كان في خانة العشرات، أو أربعمائة اذا كان في خانة المئات، أو أربعة آلاف اذا كان في خانة الآلاف وهكذا الى ما لا نهاية. وهذا كله بفضل اختراع فكرة الصفر (٠). ووضع الخوارزمي كتابه وفيها ابتدع نظام اللوغاريتمات التي عرفت باسمه، ووصل الى حلول مبتكرة للمعادلة التربيعية. وكان لكتب الخوارزمي أعمق الأثر في شيوع النظام الهندي في الوطن العربي، وانتقل بعد ذلك عن طريق العرب في الأندلس الى أوروبا في القرن العاشر الميلادي. ومن الثابت تاريخيا أن الخوارزمي استخدم الصورة الشرقية للأرقام، وأشار في مقدمة كتابه في الحساب الى وجود طريقتين لكتابة الأرقام، وأن هناك فروقا واضحة بين الطريقتين في كتابة الأرقام ٥، ٦، ٧، ٨، وانتهى الى استخدام الصورة الشرقية التي سادت دون منازع في كل بلاد المشرق العربي والعالم الاسلامي، منذ سنة ٨٩٠ ميلادية الى وقتنا هذا، أي لمدة تزيد على ١١٥٠ سنة. وينطبق ذلك على كل أعلام الرياضيات من العرب، أو من الذين كتبوا باللغة العربية في العصر الذهبي للحضارة الاسلامية، وقد استخدموا جميعا دون استثناء الطريقة الشرقية لكتابة الأرقام وعلى رأسهم البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨ م) وابن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٩ م)، وثابت بن قرة (٨٢٦ - ٩٠١ م) والبتاني (٨٥٠ - ٩٢٩ م) وأبو الوفاء (٩٤٠ - ٩٩٨ م) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) وعمر الخيام (١٠٥٠ - ١١٢٢ م) والكرخي (٩٩٠ - ١٠٥٠ م) ونصير الدين الطوسي (١٢٠١ - ١٢٧٤ م). هؤلاء هم مفخرة العرب والحضارة الاسلامية في الرياضيات. ولم يعرف عن أحدهم أنه كتب بالطريقة الغبارية.

رحلة الأرقام

ويرجح أن الطريقة الغبارية وجدت الى جانب الطريقة المشرقية خلال المدة من ٧٧٣ ميلادية حين دخل النظام الهندي الى بغداد الى ٨٢٠ ميلادية، حين ترجم الخوارزمي كتاب السند هند. وهذا هو ما يفهم من مقدمة كتابه في الحساب. ويرجح كذلك أنها انتقلت خلال هذه المدة غربا الى بلاد الأندلس بواسطة التجار والحجاج. واستقرت في بلاد المغرب، وسارت في طريقها مستقلة عن الطريقة المشرقية، غير أن الطريقة المشرقية كانت مستخدمة أيضا في بلاد المغرب وبقيت بها الى جانب الطريقة المغربية الى الوقت الحاضر

التهنيد بدلا من التعريب !

ويتضح مما تقدم النتائج الآتية :

١ - لا يوجد أي أساس للقول بأن الصورة المغربية أو الغبارية لكتابة الأرقام ذات أصل عربي بحت، والحقيقة التاريخية التي لا يرقى اليها الشك انها مأخوذة من الصورة الهندية الغلبورية أو

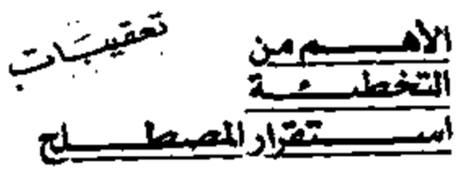
الغبارية للتطابق الذي يكاد يكون كاملا بين الأرقام في الصورتين ، والواقع ان اسمها يدل على أصلها الهندي ، فقد سميت بالغبارية نسبة الى الغبار الذي كان ينشره الهنود على ألواح الكتابة ويخطون الأرقام عليه . وقد انتقلت عن طريق بغداد الى الأندلس ومنها الى أوروبا في نهاية القرن العاشر الميلادي .

٢ - أن الصورة المشرقية للأرقام وجدت جنبا الى جنب مع الطريقة الغبارية خلال فترة التكوين . وهي الفترة من ٧٧٣ م الى ٨٢٠ م . حين قدم الخوارزمي ترجمة كتاب « سند هند » . بعد ذلك سادت دون منازع من القرن التاسع الميلادي الى الوقت الحاضر في كل بلاد المشرق العربي والبلاد الاسلامية

٣ - ان الطريقتين المشرقية والمغربية ترجعان دون شك الى الطريقة الهندية التي كانت سائدة في الهند وقت انتقالها الى بغداد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ومن ثم فلا محل لوصف الطريقة المغربية بأنها عربية والطريقة المشرقية بأنها هندية ، والواقع من الأمر أنه اذا جازت المفاضلة بين الطريقتين فان الطريقة المشرقية هي الأجدر بوصف العربية ، وذلك للاختلاف الواضح بين أرقامها وأرقام الأصل الهندي الذي أخذت عنه ، كما أن الأوروبيين يطلقون وصف العربية على الأرقام المغربية . فان ذلك لا يعني أكثر من الحقيقة التاريخية . وهي أنهم عرفوا النظام الهندي للحساب والطريقة الغبارية في كتابة الأرقام عن طريق العرب في الاندلس . ولا يجوز أن يحمل كلامهم على أنه اقرار بعروبة الطريقة الغبارية وهندية الطريقة المشرقية

٤ - ان قرار جامعة الدول العربية بنبذ الطريقة المشرقية واحلال الطريقة المغربية مكانها بدعوى التعريب ، لا يستند الى أساس . بل انه يتناقض تماما مع الحقائق التاريخية الثابتة . وهو في الواقع يعتبر تهديدا للارقام العربية ونهجا تعريبيا للأرقام الهندية ...





في العدد (٣٣٦) من « العربي » تكلم الدكتور محمد صادق زلزلة عن « أخطاء لغوية طبية وعلمية » ، تستخدمها بعض المصادر العلمية ومن ذلك (السخد) فقال : « السخد تستعملها بعض الجهات العلمية والأكاديمية على أنها تقابل كلمة Placenta ، وهي العضو اللاصق في جدار الرحم ومنه يتغذى الجنين ، أو المشيمة بواسطة الحبل السري » ، وخلص إلى أن إطلاق (السخد) على (البلاسنتا) وهم ، واستصوب أن توضع بدلا منها كلمة المشيمة . وبذلك يكون الدكتور زلزلة قد

أثار قضية لغوية طبية ، احتدم حولها الخلاف بين الأطباء واللغويين في عامي ١٩٢٧ م و ١٩٢٨ م .

فاللغوي المشهور الأب انستاس ماري الكرملي هو الذي كرس وضع مصطلح (السخد) ، أو بالأحرى أحياه ، مقابلا بينه وبين (البلاسنتة) في سنة ١٩٢٧ . وهو يرى أن المشيمة هي (الفرس) حسب شرح صاحب التاج ، أي أنها كل ما يخرج مع الولد من الأقذار . ولذلك فالسخد عنده غير المشيمة ، ولقد أخذ برأيه وبمصطلحه أطباء المعهد الطبي العربي بدمشق . وعلى رأسهم الدكتور مرشد خاطر . والدكتور شوكة موفق الشطي . ومن ثم دخل مصطلح (السخد) بعض المعجمات الطبية الثنائية اللغة ، في حين اعترض على تسمية (البلاسنتة) بالسخد الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، وانبرى مخطئا الأب الكرملي . مصرا على أن (البلاسنتة) هي المشيمة .

والحقيقة أن في كتب اللغة عددا من المعاني للسخد ، منها تلك التي نقلها كاتب المقال عن ابن منظور ، ومنها أيضا :-

- السخد هو الذي يخرج بعد الولد (عن ابن السكيت) .

- (السخد جلدة رقيقة فيها ماء أصفر ، تكون على رأس الولد ، تنشق عنه (عن الأصمعي).

فإذا أخذنا بالمعنى الذي انفرد به ابن السكيت في كتاب (القلب والإبدال) - طبعة هفنر ١٩٠٣ - يكون معنى (السخد) هو البلاسنتة) حسب رأي الكرملي وخاطر ، والشطي ، وحتي ، ويكون معنى المشيمة الكوريون ، أي الغشاء الثاني من أغشية الجنين . وقد أخذ بذلك حتي في معجمه الطبي ، بينما اعتبر الدكتور محمد شرف - في معجمه - المشيمة والسخد شيئا واحداً ، وهذا يخالف الدقة المتوخاة في المعجمات الطبية .

والمعروف أن للجنين ثلاثة أغشية تحيط به ، سمي الأول منها (الامنيون) ، والثاني (الكوريون) ، والثالث (البلاسنتة) ، ولقد أشار إلى ذلك أطباء العرب القدامى ، كابن سينا حيث ذكر في « القانون » أن الجنين تحيط به أغشية ثلاثة « سماها المشيمة ، والغلاس أو اللفائفي ، والأغنس . ولقد اضطرب الأطباء والتشريحيون - القدامى منهم والمحدثون - في تسمية هذه الأغشية أيما اضطراب . فاختلفوا في تسميتها لاختلاف لهجات القبائل وتشعبها ، وأطلقوا عليها أسماء متعددة ، هي المشيمة ، والسخد ، والسلى ، والسابياء ، والماسكة والنفي ، إلخ .

وعندما اختار أطباء المعهد الطبي العربي بدمشق (السخد) لتطلق على (البلاسنتة) لم تكن لفظة (المشيمة) قد غابت عنهم هي ومرادفها (الغلاس) . وجاء تكريسهم للفظة (السخد) لنكتة - كما يقال - هي توخي الدقة في اختيار المصطلح وملاءمته العلمية .

إذاً ليس المهم تمسكنا بهذا المصطلح أو ذاك بقدر ما هو مهم اتفاقنا على توحيد المصطلح وإرساله ، والابتعاد به عن التغييرات السريعة التي تبعدنا عن الاستقرار اللغوي ، فدعوتنا تعميم ما اتفقنا عليه ، وتشيعه بين مستعملي المصطلحات الطبية ، ودعوتنا تنطلق إلى عملية تعريب التعليم الطبي بهذه المصطلحات المقرة ، وتلتزم بالثبات عليها . وبعدم الاستعجال في تغييرها ، فالممارسة وحدها تصقل اللفظ ، فتحييه أو تميته وتلغيه .

إن الحاجة إلى توحيد المصطلح الطبي هي الأهم . ولقد كان السير على هدى العرب الثالث سيرا حسنا بإصدار المعجم الطبي الموحد (الطبعة الثالثة - مزيدة ومنقحة ... - ١٩٨٣) . فخلصنا من الفوضى في المعجمات الطبية العربية الأخرى التي كان من يكشف فيها عن أحد المعاني الطبية يجد العجب العجاب من عدم الاتفاق على الأصول التي يجب أن تراعى في أثناء الوضع والتعريب والنقل والاشتقاق □

الدكتور إحسان جعفر



بقلم: الدكتور غسان حتاحت

أخطاء طبية فادحة

عندما يخطئ شخص ما فإن تقدير مدى ذلك الخطأ يختلف اختلافا واسعا باختلاف الناس الذين يقدرونه. فليس الخطأ الكبير حقا هو الخطأ الأكثر أهمية من سواه، بل إن خطأ صغيرا جدا قد يأخذ لدى بعض الناس حجما كبيرا.

يقول «مايكل كوردا» مؤلف كتاب القوة Power، وهو كتاب تصدر قائمة كتب، كانت أكثر مبيعا في العالم فترة ما، إن على مديري الشركات إذا أرادوا طرد موظف لسبب دون أن يجرحوا بجانب التفسير أن يستحضروا كل الأمور الصغيرة التي كانت تزعجهم في ذلك الموظف، كارتدائه مثلا بدلة زرقاء وحذاء بنيا وربطة عنق صفراء، مع ما في ذلك من عدم تناسب بينها. فعندئذ يصبح طرده أسهل عليهم من أن يستحضروا في أذهانهم إهماله وأخطاءه الكثيرة.

ويروي «لي ياكوكا» في سيرته الذاتية - وهو كتاب تصدر أيضا قائمة كتب أكثر مبيعا في العالم - ومؤلفه هو الرئيس السابق لشركة فورد للسيارات الذي طرده هنري فورد الثاني حسدا منه وغيرة، فانتشل بعدها شركة كرايسلر من الإفلاس المحقق، وحقق بذلك مجدا شخصيا عظيما، يقول هذا الرجل: إن هنري فورد عندما كان يريد أن يطرد شخصا ما فإنه كان يطرده ليس بسبب أخطائه الكثيرة، بل بسبب أمور تافهة، كارتدائه سروالا ضيقا، أو ميوله على رتبته يعود استخفاف أو ما أشبه ذلك من الأشياء التافهة.

وأذكر أني تركت التعامل مع أحد الحلاقين المشهورين، ليس لأنه أساء قص شعري، فذلك خطب يسير، بل لخطأ أكبر من ذلك، فقد سألني مرة: هل تصبغ شعرك؟ علما بأنني لم أشعر يوما بالحرج من وجود شعيرات بيضاء قليلة في رأسي، ولم أفكر قط بصبغ لون ما ابيض منه، وهو قليل جدا على كل حال، ولا أخجل من ذكر عمري، بل إنني عندما بلغت الأربعين كتبت مقالة بعنوان «وقفة عند الأربعين»، نشرتها على الملأ دون حرج، لكن سؤال الحلاق غير ذي الأهمية - يمكن الحلاق الصفقة بالسؤال أو بالحلاق لا فرق - قد أحدث صدمة لي، فتركته غير آسف ولا نادم.

لنا أخطاؤنا:

نحن الأطباء لنا أخطاؤنا أيضا، وكل إنسان خطاء. ومن هذه الأخطاء ما هو كبير، يتعلق بسوء التشخيص، أو سوء المعالجة، أو الإهمال في

للممارسة ، ومنها ما هو صغير يتعلق بعلاقة الطبيب بمريضه . لكن الغريب أن قلائل جدا من المرضى يتركون أطباءهم بسبب ارتكابهم خطأ كبيرا علميا، ومعظم من يهجر طبيبه إنما يفعل ذلك لأن الطبيب أخطأ خطأ حسبه صغيرا ورآه المريض كبيرا .

من ذلك مثلا الوالد الذي انتظر رزقا طفلا ذكرا بعد خمس بنات ، وعندما فحص الطبيب ذلك المولود الذكر فحصا عاما ، واطمأن على صحته ، وتأكد من حسن ختانه ، أخذ يسلمها عنه بضمير الأنثى ، فكانت زيارتهما تلك هي من بداية الأخيرة لهذا الطبيب ، وأخطاؤه كان مستحقا لذلك

ومن الأخطاء التي يراها الأهل فادحة أن يسخر الطبيب من اسم الطفل مثلا . كأن يسأل لماذا سميتموه بهذا الاسم ؟ أو ما معنى ذلك الاسم ؟ مع أن الوالدين والأهل عندما اختاروا اسم طفلهم كان نصب أعينهم ملايين الأسماء المختلفة ، وهم لا يرضون بما اختاروه بديلا

هذان مثلان من الأخطاء الفادحة في طب الأطفال . أما في الطب العام ، فإن من الأخطاء التي لا أعتقد أن المريض يغفرها هي أن يسخر الطبيب من شكل المريض . أو هيئة شاربيه مثلا . أو أن يستهزئ بتسريحة شعر المريضة . أو أن يستهين بالتوافه من شكوى المريض فمثلا عندك من



المريضات المراهقات المصابات بداء السكري ، من يكن في وضع خطير . غير مستقر . وأذكر مريضة من هذا النوع ، كانت حياتها في خطر ، وكان همها الوحيد أن يأتيها الحيض ولو مرة في العمر ، كي تشعر أنها امرأة طبيعية . وعندما وصفت لها من الأدوية الهرمونية ما أدى الى حصول دورة طمثية لديها ، كانت تطير من الفرح ، وأعلنت تدعو لي بالخير في الوقت الذي كانت تدعو على طبيب آخر بالويل والثبور ، لأنه قال لها عندما ذكرت هذا الأمر « ما حاجتك الى الدورة الشهرية وأنت مصابة بهذا المرض »

إن من حق الطبيب أن يحترم مشاعر المرضى وأهلهم ، وأن يقدر طريقتهم في قياس الأخطاء ، وعليه أن يتجنب أي خطأ كبير أو صغير ، ويجب أن يتذكر دائما أن بعض الأخطاء الكبيرة تبقى أقل أهمية لدى المرضى من أخطاء يسيرة تافهة

ولو كان الحلاق الذي تكلمت عنه آنفا قد قص شعري بصورة لا مثيل لها من القبح والاهمال لما تركته . ولكن أن يتحدث عن صبغ الشعر ، وأنا الذي لا أفكر فيه قط فذلك خطأ فادح . خطأ لا يغتفر

درس من الكوليرا :

عندما كنا طلابا في كلية الطب ندرس « الأمراض الانتانية » ، كان أستاذنا يروي لنا كيف كانت طرق الوقاية من بعض هذه الأمراض في الماضي ، وهي طرق تثير السخرية في أحيان كثيرة ، وتدل على الجهل والسذاجة ، وكان يستشهد بما جرت عليه العادة في الوقاية من مرض الكوليرا في بداية هذا القرن ، أيام كانت بلادنا ما تزال ترزح تحت الحكم العثماني

فالكوليرا ، والتي اشتق اسمها اللاتيني من « الهواء الأصفر » كان يعتقد أنها تنتقل عن طريق

الهواء ، وربما أنها تأتي على شكل جوائح تصيب كثيرين وتقتل كثيرين كان لا بد من الوقاية منها .

فكانت الحكومة العثمانية - والعهدة على أستاذنا الذي رواها - تكلف بهذه المهمة بعضا من موظفيها طوال القامة ، عراض الأجسام ، ذوي الشوارب المفتولة ، والهيبة المشعة ، ولعلها كانت تأمل - وهم بهذه الصفات - أن يخيفوا الكوليرا كما كانوا يخيفون الناس !

فكان الواحد من هؤلاء المسؤولين عن الوقاية - وأعتقد أن اسمه نيازي بك ، أو ربما نيازي أفندي يشبه تماما - يتجول في الأزقة والحواري والأسواق ، مسبوقا بقارعي الطبول ، وعازفي الموسيقا ، وكان يحمل بيده مقصا كبيرا ، يفتحه ثم يغلقه ، تعبيرا عن نيته بقص الهواء الذي سبب المرض كما كان يعتقد !

وكان الناس يشعرون بالأمان والراحة بعد أن يمر (نيازي بك) ، أو لعله (نيازي أفندي) وجوقته ، فقد قطع هذا الرجل سبب المرض ، وجلب لهم الوقاية ، جزاه الله كل خير !

وكان أستاذنا يتابع محاضرته فيقول : « ولكننا الآن (كان ذلك في الستينيات) لدينا لقاحات فعالة ، لا تستطيع الكوليرا أن ترفع رأسها بوجودها ، وربما نحن نعرف سبب المرض وعلاجه ونعلم طرق الوقاية منه » .

وأذكر مرة أن جائحة حصلت ، وكنا طلاب طب حينذاك ، فاستنفرنا جهودنا ، ووزعت على كل اثنين منا ثلاث محاقن وإبر لا يزيد عددها على عدد أصابع اليد الواحدة ، وكلفنا بتلقيح أعداد كبيرة من طلاب المدارس وعامة الناس ، وكانت التعليمات أن نعقم المحقنة بعد إجراء عدد معين من اللقاحات ، وأن نمسح الإبرة بالقطن (الكحول) بين كل لقاح وآخر ، وقد كان .

ومرت الأيام ، وظهر أن اللقاح المضاد للكوليرا ليست له تلك الفعالية الكبيرة التي كنا نعتقد بوجودها فيه ، ولم يعد ينصح بإجراء التلقيح على



ذلك المستوى الواسع ، وثبت أن استعمال المحاقن والإبر غير المعقمة يسبب أمراضا كثيرة ، لعل من أبرزها التهاب الكبد المصلي .

وهكذا نرى أن طرق الوقاية التي كنا نستعملها في ستينيات هذا القرن كانت أسوأ من الطرق التي كان يتبعها (نيازي بك أو نيازي أفندي) في أوائل هذا القرن !

من يخدع طبيبه يخدع نفسه :

ثمة قصة رواها لنا مرة أحد أساتذتنا في كلية الطب ، علقت في ذاكرتي لما فيها من عبرة ، قال هذا الأستاذ : « جاءني مرة أب ، يحمل طفلته ، وطلب مني أن أفحصها للاطمئنان عليها ، للتأكد من أنها بصحة جيدة ، وذكر لي أنها لا تشكو من شيء ، ولا تتناول أي دواء . وقد قمت بفحصها بعناية متناهية ، وقد أشعرتني العاطفة الصادقة للأب بوجود ما يريب ، لكنني لم أجد أي مظهر مرضي لديها ، فكل ما فيها مما فحصته حينئذ كان ضمن الحدود الطبيعية . وبعد أن ذكرت ذلك للأب أخرج من جيبه مظروفا كبيرا سميكا ، يحوي مجموعة من التحاليل والصور الشعاعية والوصفات الطبية ، وقال بلهجة تجمع بين الانتصار والنشوة : إن هذه

الطفلة مصابة منذ ولادتها بقصور في الغدة الدرقية ، وهذه التصريح دليل على ذلك ، فكيف تدعي أنها طبيعية ، وأنت الأستاذ المشهور ؟ » وقد تابع الأستاذ قصته فقال : « سألت هذا الأب هل تعطي للطفلة خلاصة الغدة الدرقية ؟ قال نعم ، فقلت له : إن هذا الدواء هو الذي جعل طفلتك تبدو طبيعية للعيان ، وإن إخفاءك هذا الأمر عني منذ البداية أمر لا يتناسب مع الصراحة التي يتوجب توفرها في العلاقة بين المريض والطبيب ، ولا مع الصدق الذي لا بد منه في التعامل بينهما ، وأنا لست بحاجة إلى أي امتحان آخر ، فلقد اجتزت في حياتي امتحانات كثيرة ، وامتحانات عديدة في دول شتى ، وحتى لو كنت بحاجة إلى امتحان جديد فلا أرضى أن تكون أنت الفاحص » ثم تابع الأستاذ : « ثم أشرت إلى باب العيادة وأنا أطرد هذا الزبون الثقيل ، بعد أن أعدت إليه أجرة المعاينة التي قد دفعها سابقاً ، فليس أثقل على النفس من ثقيل ، ولو أعطانا وزنه ذهباً » .

وكنت كلما استعدت هذه القصة أشعر بكثير من التعاطف مع هذا الأستاذ ، رغم ما عرف عنه من حدته وعبوسه ، ولقد صور لي الوهم أنني لن أتعرض لمثل هذه الحادثة قط ، فأنا عادة رحب الصدر ، طويل البال ، وقد أفرط في ذلك أحياناً إلى حد معيب ، ولا يثير غضبي في العيادة - أحياناً - إلا أحد أمرين اثنين ، أولهما أن أحس أن ثمة ما يمس كرامة الطب كمهنة ، كأن يذكر المريض أمامي زميلاً لي بسوء ، أو أن أشعر أن المريض وأهله يختبرون الطبيب ، أو يستصغرون شأنه .

على أن توهمي كان خاطئاً ، فقد حصلت معي منذ مدة قريبة حادثة مشابهة لما حصل مع أستاذي ، ما تزال تثير في كوامن الشجن كلما تذكرتها ، فقد دخل إلى عيادتي مرة رجل وحده ، وأنا كطبيب أطفال ينذر أن يأتي إلي رجل أو امرأة إلا وهم يصطحبون طفلاً أو أكثر ، قال لي هذا الرجل : « إنني قد نصحت بمراجعتك ، بسبب اهتمامك بالأمراض الوراثية ، وقد تقدم رجلان لخطبة ابنتي » وذكر لي نوع الزمر الدموية لكل من الرجلين وزمرة ابنته ، وطلب مني أن أذكر له أي من هذين الرجلين أنسب من الناحية الصحية للزواج بها ، ورغم امتلاء غرفة الانتظار بالمرضى من الأطفال ما بين باك وصارخ ، ومن هو مصاب بحرارة مرتفعة ، أو إسهال شديد ، رغم ذلك كله أخذت أشرح لهذا الرجل أن الأسس التي يقوم عليها الزواج ليست الزمر الدموية فقط ، بل هنالك ما هو أهم منها بكثير ، من عوامل عاطفية واجتماعية ومادية وبيئية .. الخ ثم شرحت له أن من اختلاف بعض الزمر الدموية ما يؤدي إلى حصول يرقان عند بعض المواليد ، وحتى في هذه الحالات فهنالك طرق للوقاية والعلاج ، وأخذ هذا الرجل يسألني ويستفسر مني بتفصيل شديد عن اليرقان والزمر الدموية ، وما هي احتمالات الزمر الدموية للأطفال في حالة زواج ابنته من أحد هذين الرجلين ، وبعد أن قضيت نصف ساعة أو يزيد وأنا أشرح وأوضح قال لي هذا الرجل « لقد كذبت عليك ، فهناك زواج قائم فعلاً بين ابني وامرأة ، وزمرها الدموية هي كما ذكرت لك ، ولديهما عدة أولاد ، إلا أننا نشك بعفة الزوجة ونسبة الأطفال إلى أبيهم حقاً ، ونريد التأكد من فحص الزمر » وأخرج قائمة بالزمر الدموية للأطفال ، وكانت كلها مطابقة للاحتمالات التي ذكرتها له ، مما يعني أن فحص هذه الزمر لم ينف أو يثبت شرعية هؤلاء الأطفال ، وإن كان ثمة طرق أو زمر أخرى توضح ذلك . وهنا تذكرت قصة أستاذي مع المريض الثقيل ، وقلت لهذا الرجل : لو كنت سألتني مباشرة عما يشغل فكرك لكنت أجبتك بدقائق معدودة ، وأرحت واسترحت ، وكان الواجب أن تكون صريحاً معي منذ البداية ، أما والحالة هذه فأنصحك إلى طبيب آخر ، لأنه لا مجال للتعامل عند انعدام الثقة والصدق .

□



الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

العلاج بأسلوب « الكيجونغ » الصيني

من المعروف أن ارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية والشلل الجزئي أمراض خطيرة ، وقد يتعذر علاجها بأحدث الأدوية وأشدها فاعلية ، ومن هنا كان خبر معالجة هذه الأمراض دون استعمال أي دواء على الاطلاق خبرا مثيرا للدهشة والغرابة في آن واحد ، مالم يكن هذا الخبر صادرا عن الصين ، بلد المفاجآت في كل مجال ، وبخاصة مجال العلاج الطبيعي والتداوي بالأعشاب

ذلك أن علماء الصين والأطباء فيها قد اكتشفوا أن التنفس بأسلوب معين (يسمونه الكيجونغ Qigong) مدة ربع ساعة في الصباح ، وربع ساعة في المساء كفيل بالقضاء على الأمراض الثلاثة السالفة الذكر ، بنسب من النجاح متفاوتة . وأسلوب « الكيجونغ » في التنفس يعرفه أهل الصين منذ القدم ، وقد عرفوا فوائده ، ودرجوا على ممارسته بين حين وآخر ، لكنهم لم يكتشفوا كفاءة (الكيجونغ) العلاجية إلا مؤخرا ، وفي سنة ١٩٧٧ على وجه التحديد .

لا عجب إذن إن أنشأت حكومة الصين جمعية للبحث العلمي الخاصة بالكيجونغ ، وأقامت كذلك مئات المعاهد العلمية التي تركز أبحاثها على أسلوب التنفس المذكور ، هذا إلى جانب المراكز التي أنشأتها المستشفيات والجامعات في الصين للغرض نفسه ، فالقصد الذي تسعى إليه هذه المؤسسات العلمية جميعا واحد ، وهو مدى قدرة « الكيجونغ » على معالجة الأمراض

• رسم يبين تفصيل عملية التنفس . ولكنه مع الأسف لا يوضح الأسلوب الصيني في التنفس (الكيجونغ) !

الثلاثة السالفة الذكر ، ومدى نجاحه في الشفاء منها . في أن الأبحاث العلمية الحالية منصبة على (المدى) الذي تبلغه عناصر « الكيجونج » العلاجية لا على الخصائص نفسها . فقد ثبتت هذه ثبوت اليقين بعد ألف من التجارب أو أكثر أجرتها حكومة الصين خلال السنوات العشر الأخيرة . أي أنهم فرغوا من التجارب والدراسات الأولية ، أو إن شئت قل النظرية ، وانصرفوا بعد ذلك إلى التجارب الميدانية

وتشمل هذه التجارب عدداً لا يستهان به من الناس - ١٥ مليون نسمة - كلهم من موظفي الدولة الذين يمارسون « الكيجونج » مرتين يومياً . الأولى في الساعة العاشرة صباحاً . والثانية في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر . وذلك في مدة (١٥) دقيقة لكل مرة .

وتدل هذه التجارب على أن كفاءة « الكيجونج » العلاجية تختلف باختلاف الأمراض الثلاثة التي ذكرناها فهي تبلغ ٨٥٪ فيما يتصل بارتفاع ضغط الدم ، و ٦٧٪ فيما يختص بالشلل الحركي . أما الطبيعة المصدرية . « فالكيجونج » كفيل بمعالجتها والشفاء منها بنسبة ١٠٠٪ ويجري بعض العلماء في الصين أبحاثاً أخرى تتحرى فاعلية « الكيجونج » في معالجة أمراض أخرى أهمها السرطان

ومع أن تفاصيل أسلوب « الكيجونج » في التنفس غير معروفة . ولم تكشف عنها التقارير التي وردتنا حتى الآن ، إلا أننا نعرف أنها بسيطة للغاية ، ولا تعقيد فيها . وقوامها التنفس البطيء المتأني الذي يحد من كمية الأوكسجين التي تدخل جسم الإنسان بنسبة ٣٠٪ تقريباً ، ويحد بالتالي من عملية الاستهلاك والسرعة في التنفس بنسبة ٢٠٪ تقريباً . وكان المبدأ الذي يقوم عليه أسلوب « الكيجونج » هو التقنين في استهلاك الجسم للطاقة . وحفظ هذه الطاقة المقننة كرصيد يساعد الجسم على محاربة الأمراض . وعلى ترميم التالفات ، وتجديد الموارد

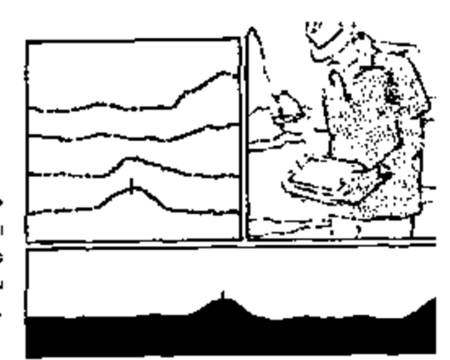
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جهاز جديد لسبر المياه الجوفية

اسم الجهاز « الوادي » ، وهو اسم عربي كما لا يخفى ، لكن الشركة التي صنعته شركة سويدية ، تتخصص في صنع أجهزة القياس (الالكترونية) . أما المهمة التي طور الجهاز من أجلها فهي سبر المياه الجوفية .

فهو إذن بديل عن الأجهزة التي كانت تستعمل وما زالت من أجل اكتشاف مواطن المياه في أعماق الأرض ، وبعض هذه الأجهزة قديم ، يكتشف المياه بالصدفة ، أو بطريق الخطأ والصواب ، إن هو اكتشفه أصلاً ، وبعضها حديث ، ويقوم على أساس من نظريات (جيوفيزيائية) ، لكنه باهظ الثمن ، يحتاج إلى كفاءات عالية لتفسير إشاراته ، ثم إن نجاحه غير مضمون على كل حال .

أما جهاز « الوادي » فيختلف تماماً



● رسم للجهاز الواقعي ولبعض الاشكالات التي تظهر على شاشته ، والتي تدل على مواطن تلك الجيوب . . وعلى مدى عمقها عن سطح الارض

على تلك الأجهزة، فهو صغير الحجم . (١×٨×١٠) بوصات ، وخفيف الوزن (٥ كيلوجرامات بالتقريب) ، ومهمته تنحصر في قياس موجات (الراديو) ذات الذبذبات البالغة الانخفاض ، التي تعرف بالانجليزية باسم (VLF) ، وهذه الموجات التي تصدر عن أجهزة الارسال الحكومية والعسكرية - وهي أجهزة كثيرة ومنتشرة في كل مكان - تسير مع انحناءات الأرض في المستوى الأفقي ، ويسجلها الجهاز ، ويبينها خطا أفقيا على نحو ما نرى في الرسم .

فإذا خرج هذا الخط عن خط سيره الأفقي ، وظهرت فيه نتوءات عمودية هنا وهناك كانت هذه النتوءات مؤشرا لوجود الماء في باطن الأرض ، ذلك أن الصخور المحتوية للماء في باطن الأرض عبارة عن موصل جيد للكهرباء ، ولوجود كثير من الرواسب التي تحيط بها ، والتي ليست بصلابة تلك الصخور ، ومن شأن هذه الصخور أن تعمل على إيصال تلك الموجات ، وإحداث تلك النتوءات في الخط الأفقي الذي يسجله الجهاز . ولو أعيد تشغيل الجهاز مرتين أو ثلاث في المنطقة نفسها لأمكن التوصل إلى نتائج شبه مؤكدة عن وجود الماء الجوفي في تلك المنطقة ، لكن جهاز (الواقعي) لا يقف عند اكتشاف وجود الماء الجوفي فقط ، بل هو يعطي تقديرا لمدى العمق وزاوية الانحراف حيث يمكن العثور على الماء . أضف إلى ذلك أن الجهاز سهل الاستعمال .

والجدير بالذكر أن الجهاز ليس معصوما من الخطأ ، إذا كانت هناك خطوط أنابيب معدنية ممدودة على سطح الأرض . □

ليس ثمة بارجة كالكتاب ، تنقلنا بعيدا بعيدا ، وليس ثمة جياد كصفحة شعر متوثب .

(اميلي ديكنسون)





استغلال آبار النفط الناضبة

من المعروف أن آبار النفط لا تلبث أن تنضب، فتهمل. ومن المعروف أيضا أن هذه الآبار ليست في حقيقة الحال ناضبة، وإنما هي - بحكم الناضبة - لتعثر استخراج الزيت المتخلف فيها. ولو ذكرنا أن كميات هذا الزيت المتخلف كميات تجارية، وتستحق العمل من أجل استغلالها، لا عجبا للجهود التي طفقا يبذلها العلماء والخبراء في سبيل تطوير التقنية اللازمة بذلك الاستغلال.

ويبدو أن تلك الجهود قد بدأت تثمر، لكن في الاتحاد السوفييتي هذه المرة، وليس في الولايات المتحدة كما قد يظن القارئ. وكانت البداية في ملاحظة عابرة، سنحت للعلماء الروس، عندما لاحظوا أن آبار النفط تعطي مردودا مضاعفا من الزيت إذا اتفق وجود هذه الآبار في منطقة تمر بها قطارات البضائع الثقيلة الوزن. وتبين لهم أن أعظم المردود إنما يأتي من الآبار التي تسير تلك القطارات فوقها مباشرة. ومضوا في إجراء التجارب، وتسجيل الملاحظات، ودرسوا الزلازل وأثرها على آبار النفط. فثبت لهم أن الاهتزازات التي تحدثها القطارات الثقيلة - فضلا عن الهزات الأرضية - هي التي تضاعف مردود الزيت.

وانصرف تفكير العلماء السوفييت بعد ذلك من الآبار الفتية والغنية إلى الآبار التي تعتبر بحكم الناضبة، وتساءلوا: لم لا تولد اهتزازات مصطنعة، تضمن لنا اعتصار الزيت المتخلف في تلك الآبار؟ وقد طمأنتهم التجارب الأولية التي أجروها إلى أن ذلك الاعتصار ممكن.

فانطلقوا بعد ذلك في تطوير المعدات الكفيلة بتوليد الاهتزازات المطلوبة. وقد اقتربوا الآن من النهاية، لذا يستطيع المرء التحدث عن أهم ما استكملوا تطويره من تلك المعدات، وهي الهزازات الراجفة (أو الزلزالية). فمن شأن هذه الهزازات أن تولد طاقة ارتجافية، أو هزة أرضية خفيفة، تنطلق من المنصة الضخمة حيث توجد الهزازات حتى تصل إلى البئر «الناضب». فتلتقطها الأجهزة الصوتية التي وضعت في البئر مسبقا.

ومن شأن الهزة الخفيفة التي تولدها هذه الهزازات أن تطلق العنان للغاز الذائب المكون من نفط وماء، وما أسرع ما تتكون فقاقيع الغاز. فتنطلق هنا وهناك، بحثا عن قطرات الزيت المختلفة، في الشقوق. حتى إذا اجتمعت الفقاقيع بالقطرات، ولامس الغاز الزيت، التصق به وكوّن (بالونات) قوامها الغاز في الداخل والزيت الذي يحيط به من الخارج، ثم يجري تحريك هذه (البالونات) من فوق المنصة الضخمة. ثم يجري توجيهها بواسطة أجهزة النشاط الصوتي الارتجافي، بحيث - الاستفادة من كل الزيت

المتخلف في البئر .

ومن أهم ما يذكر عن هذه الأجهزة والمعدات أن تكلفة تشغيلها زهيدة ، لا تكاد تبلغ ٣٪ من قيمة الزيت المستغل من آباره الناضبة ، أضف إلى ذلك أن نسبة ما تستغله من هذا الزيت المتخلف لا تقل عن ١٠٠٪ ، ثم إنها ضرورية لاستخراج الزيت من آباره الفتية الغنية ، فهي تقوم بتكثيف ذلك الزيت بسرعة تفوق سرعة الطبيعة ألف مرة .

حدائق الحيوان المكشوفة أكثر ربحا من المزارع

● أجرى بنك التنمية الافريقي دراسة علمية ، قارن فيها بين مزارع المواشي وحدائق الحيوانات البرية ، وقدم دراسته تلك إلى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للمنظمة الدولية ، ولقد لقيت هذه الدراسة من الاهتمام والعناية ما تستحقه.

والمقصود بحدائق الحيوانات البرية تلك الحدائق المكشوفة ، أو إن شئت فسمها المعازل الشاسعة التي تترك الوحوش فيها على سجيتها ، أما الاقاليم المعنية بالدراسة المقارنة فهي وادي نهر الزامبيزي في أفريقيا ، حيث تكثر تربية المواشي من أجل بيع لحومها ، دون الاهتمام بجلودها أو غير ذلك

وقد أثبتت الدراسة أمرين هامين ، أولهما أن مردود حدائق الحيوان المكشوفة يفوق مردود مزارع المواشي - البقر مثلا - بنسبة الثلث أو أكثر ، ولعلك تتعجب لهذا أو لا تتعجب ، فالايرادات المختلفة التي تتيحها الحدائق المكشوفة تذكر منها إيرادات الرسوم التي تتقاضاها الحدائق من هواة الصيادين ، ونذكر منها أثمان الحيوانات الحية التي تبيعها للحدائق الأخرى محلية أو أجنبية في دول أخرى قريبة أو بعيدة ، وتشمل تلك الايرادات أيضا أثمان جلود الحيوانات وعاجها ، هذا بالاضافة إلى رسوم السياحة التي تجنيها الحدائق المكشوفة ، وهي كبيرة ، ولعلها أكبر من سائر الايرادات .

أما الأمر الثاني الذي أثبتته الدراسة فهو أن الحدائق المكشوفة تمتاز على مزارع المواشي من حيث قدرتها على حماية البيئة ، والمحافظة على فصائل الحيوان البرية المهددة بالانقراض ، ونذكر من هذه الحيوانات الكركدن الأسود ، ولقد نجحت الحدائق المكشوفة في وادي الزامبيزي في انقاذ فصيلة الكركدن الأسود من الانقراض الذي طالما تهددها .

وتؤكد الدراسة السالفة الذكر أيضا مدى الحاجة إلى الحدائق المكشوفة في جهات عديدة من العالم ، وتؤكد أيضا العقبات التي تقف في طريق انتشارها ، فالموضوع متصل - كما لا يخفى - بالتقاليد والعادات الفكرية ، وأسلوب العيش على الأخص ، وهذه كلها راسخة في نفوس الفلاحين والمزارعين ، ويصعب جدا التغلب عليها لصالح الحدائق المكشوفة . □



● زرافة تمشي .. بجانب جدول ماء .. في احدى حدائق الحيوان المكشوفة في كينيا .


العربي
عيونك
على العالم



استطلاع : سليمان الشيخ
تصـــوير : سليمان حيدر

* يتأثر المغلوب بالغالب في معاشه، وتصرفات حياته وفي معتقداته.

هكذا وضع ابن خلدون هذه القاعدة التي استقاها من وقائع كثيرة.

إلا أن التتار خرجوا عن هذه القاعدة، وكانوا شواذها، فهم بعد أن احتلوا كثيرا من بلاد الدنيا المعروفة في زمانهم إثر خروجهم العاصف من بلادهم الآسيوية أسلموا بعد وثنية، واعتنقوا دين بعض الشعوب التي غلبوها، وأصبحت من رعاياهم.

بعثة «العربي» زارت الجمهورية التتارية، وكان لها مشاهدات وحوارات.

قامت جمهورية تتاريا السوفيتية سنة ١٩٢٠ م وهي جمهورية ذات حكم ذاتي، ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وكانت قبل ذلك - أي منذ سنة ١٥٥٢م جزءا من الامبراطورية الروسية، وقد تم ضمها لهذه الامبراطورية زمن القيصر (ايفان) الذي لقب بالرهيب.

مساحة الجمهورية الآن حوالي ٦٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، عدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة، وعاصمتها مدينة قازان التي يتجاوز عدد سكانها المليون نسمة، وهي تقع في قارة أوروبا، في الجانب الشرقي من جمهورية روسيا الاتحادية، يمر فيها نهر الفولغا ويلتقي بنهر كاما، والفولغا من أشهر الأنهار في الاتحاد السوفيتي، الصالحة للملاحة، طوله ٣٥٠٠ كم، أقيمت عليه مدن عريقة كثيرة في الاتحاد السوفيتي، كموسكو التي تقع على النهر الذي يحمل اسمها الآن، وهو متصل بالفولغا بقناة، ومدينة غوركي، وكويبيشيف، واستراخان، وفولغوغراد، وغيرها، وقازان تقع على الجانب الأيسر من نهر الفولغا.

تحد جمهورية تتاريا من الشرق جمهورية بشكيريا ذات الحكم الذاتي، وتحدها من الغرب والشمال جمهوريات صغيرة ذات حكم ذاتي، مثل الجوفاش، وماري، والعودمورت، وفي الجنوب تقع جبال الاورال، وجمهورية كازاخستان - الاتحادية - وجمهورية شكالوف، ذات حكم ذاتي.

كان معظم سكان هذه الجمهوريات يدينون بالاسلام، ومن بينها جمهورية تتاريا، ونظرا لوجود مياه وفيرة في الجمهورية تنتشر الزراعة فيها وتزدهر، وتزرع فيها كثير من أنواع الحبوب، كالقمح والشعير والذرة، والخضراوات والفواكه.

ولا تقتصر ثروة تتاريا على خصب تربتها، ووفرة مياه أنهارها، بل إن في باطن أراضيها كميات كبيرة من الذهب الأسود، وهو النفط الذي تنتج منه الجمهورية ملايين الأطنان سنويا.

مع رئيس الجمهورية :

في اليوم الثاني للزيارة بعثة مجلة «العربي» للجمهورية في صيف العام الماضي التقينا بالسيد شامل مطايف رئيس الجمهورية، وسكرتيره في «كرملين» قازان

قال : إن جمهورية تتاريا مشهورة بإنتاجها النفطي الذي يزيد على ٥٠ مليون طن سنويا، وقد بدىء باستخراج هذه الثروة اعتبارا من سنة ١٩٤٣ م، وتفيد التقديرات الأولية إلى أن جمهوريتنا تحتوي على ما يزيد على مليارى طن من النفط.

وقد لا أبيح لكم سرا لو قلت إن التركيز في خطط الحكومة المركزية ينصب على توسيع انتاج المعادن



● رئيس الجمهورية التترية السيد / منتيمير شايميف

والنفط من منطقة سيبيريا ، ومن ثم توجه كثير من الكفاءات والقدرات نحو هذه « القارة » الغنية كثيرا بالثروات .

ويمر في جمهوريتنا أنابيب النفط المتجهة من سيبيريا إلى أوروبا ، (شرق أوروبا وغربها) .

● ألا توجد عقبات تقنية تحول دون التوسع في هذا المجال ؟

- نعم توجد عقبات تقنية ، وهناك صراع مع الوقت لجعل الأجيال الحاضرة تستفيد من الثروات المتوفرة ، ومع ذلك فإن الخطط المطروحة ما زالت تتسارع وتيرتها ، وكل عقبة لها حل بطبيعة الحال ، ولن يمضي وقت طويل إلا ونكون قد تجاوزنا المشاكل الآنية ، لندخل في مشاكل أخرى ، إنها الحياة ، وجدل الحياة لا يعرف التوقف أو السكينة .

● لاشك أن جمهورية تتاريا غنية بكثير من الثروات ، فهل ينعكس ذلك على المواطن ؟ وما الخدمات التي تقدم له ؟

- صحيح إن للمواطن الحق في الاستفادة من ثروات بلاده . لكن لا تنس أننا جزء من الاتحاد السوفيتي ، وفيه مناطق غنية وفقيرة ، كما أن للاتحاد السوفيتي التزاماته على أكثر من صعيد علمي وعالمي ، ومع ذلك فإن القرارات المركزية قد أكدت على سد ثغرات النقص ، وتقديم كل ما يمكنه أن يدخل الرفاه إلى حياة الناس ، خاصة في المناطق الغنية بثرواتها .

إن تتاريا بلاد صناعية ، تنتج كثيرا من الصناعات المهمة ، يساعدها في ذلك الطاقة الناتجة عن المياه ، والطاقة الناتجة عن النفط ، كما أن الزراعة فيها متطورة ، وهي بلاد عريقة ، فقد تخرج في جامعة قازان عشرات - إن لم أقل مئات - من الأشخاص المشهورين والرواد في كثير من العلوم والفنون ، ولذلك فإنك لن تجد أميا واحدا فيها ، كما أن الخدمات فيها متطورة ، ويمكنك أن ترى ذلك بنفسك .

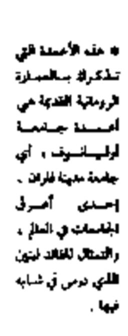
● المعلومات المتوفرة لدينا تشير إلى أن مدينة قازان يسكنها ما يزيد على مليون نسمة ، وهي مدينة واسعة ، لا يجد الزائر فيها ازدحاما كثيفا ، ومع ذلك فإنه يسكنها ربع سكان الجمهورية . ونخشى أن تحتوي المدن الأخرى في الجمهورية على كثافة سكانية مماثلة ، والسؤال هنا : ألا تجدون أن هناك اختلالا بين عدد سكان الأرياف وبين عدد سكان المدن ، وذلك يناقض طروحاتكم النظرية ؟

- ملاحظتكم جديرة بالتقدير ، وجديرة بالتعليق والمناقشة . وما يمكن أن أقوله وأجتهد فيه هو أن سنوات التطور الأولى لم تشهد نزوحا كثيفا نحو قلب المدن ، إلا أن ظهور النفط ، وإنشاء مشروعات صناعية كبيرة دفع الناس إلى تكثيف وجودهم في المواقع الصناعية ، مما أثر على الريف ، وعلى التنمية الزراعية ، وجعلنا نسعى إلى تحسين الظروف الثقافية ، والاهتمام بتوفير الخدمات والمؤسسات المتطورة في الأرياف ، حتى أوجدنا بعض التوازن بين الريف والمدينة ، وما زلنا نواصل تحسين ظروف الإسكان ، وظروف العمل في الأرياف ، وقد استقرت النسبة على وجود حوالي ٤٠٪ من السكان في الأرياف ، ونحن بصدد زيادة هذه النسبة .



● أيدٍ ناعمة ، وصناعات دقيقة .





● هذه الأعمدة التي تذكرنا بالعمارة الرومانية القديمة هي أعمدة جامعة أوليانوف ، أي جامعة مدينة قازان ، إحدى أعرق الجامعات في العالم ، والتمثال للقائد لينين الذي درس في شبابه فيها .



● نهر الفولغا الذي قامت عليه أشهر الحضارات والمدن الروسية والتترية ، ومنها مدينة قازان .

هل تأثرتم بما حصل في تشيرنوبيل ، وهل وصلكم الغبار الذري ، وهل أثر على حياتكم ؟

- لقد استقبلنا حوالي ٥٠٠ طفل وشاب وفتاة ، تتراوح أعمارهم بين ٨ سنوات و ١٤ سنة ، وهم من سكان مدينة تشيرنوبيل ، وقد أسكناهم بين العائلات التترية ، وأقول بكل اطمئنان انه لم يظهر عليهم أية مضاعفات ، أو أية ظواهر غير طبيعية ، ما عدا ذلك فإن حياتنا ما زالت تسير كما هو معتاد بالرغم من اتخاذنا لاجراءات الفحص والرقابة المستمرة .

وأنهى السيد رئيس الجمهورية حديثه بتقديره وتقدير الشعب التتري لما تقدمه حكومة الكويت من مساعدات وقروض للشعوب الأخرى ، دون منة ، أو فرض شروط خاصة ، وأعلن عن تقديره للسياسة المتوازنة التي تنتهجها الكويت في علاقاتها ومواقفها بالنسبة لكثير من قضايا العالم ومشاكله .

كرملين قازان :

تلفت نظر الزائر لمدينة قازان المباني العريقة ، والقصور المتلاصقة ، والأبراج الشاهقة ، تلك التي يطلق عليها اسم « كرملين قازان » ، وهي تشبه إلى حد كبير مباني الكرملين في موسكو ، وإن كانت أكثر تواضعا منها ، وهي مقر الحكومة ، حيث استقبلنا رئيس الجمهورية ، فمن بناها ؟

تذكر المصادر أن القيصر ايفان الرهيب بعد احتلاله للمنطقة وقهره للخانات ، الامارات التتارية القائمة فيها ، جعل من قازان بوابة له نحو الشرق ، وتابع القياصرة الذين أتوا بعده هذه السياسة ، وقد اختط ايفان أبنية الكرملين القازانية ، وتابع البناء القياصرة اللذين أتوا بعده ، وكان كل قيصر بعد ذلك يضيف إلى المباني أو يرممها وهي المباني التي ما زالت قائمة حتى الآن ، وهي مقصد للسياح ، إضافة إلى كونها المقر الرسمي للحكومة .



حكاية التتار :

● إذا كان الأمر كذلك ، فما هي حكاية التتر الأقدمين ؟

من هم البلغار الصقالبة الذين كانوا قبلهم ؟

وما هي حكاية ابن فضلان معهم ؟

بل من هو ابن فضلان نفسه ؟

● « صحيح أننا أحفاد التتار القدماء ، لكننا ندين سياسة الحرق والقتل التي أتى بها هولاكو ، وتيمورلنك ، وجنكيز خان ، وغيرهم » .

هكذا قال لنا كامل بن إمام الدين ، مؤذن مسجد مدينة قازان ، المتخرج منذ ثلاث سنوات من المدرسة الدينية التي تسمى « مير عرب » في بخاري

فمن هم التتار الذين يقتلهم أحفادهم في بعض المصادر او العكس ؟

جاء في الموسوعة العربية الميسرة :

« تتار : اسم عام يطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا ، بزعامة المغول في القرن الثالث عشر الميلادي . ويرجح أن التتار الأصليين جاءوا من شرق آسيا ووسطها ، أو من وسط سيبيريا . وبعد أن انحسرت موجة غزوهم نحو الشرق ظل التتار يسيطرون على كل روسيا وسيبيريا تقريبا . وظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر ، حين تجزأت إلى عائلات حاكمة مستقلة ، سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين ، والقيصر ايفان الرابع » .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع .

« ويظهر أن الشعوب التي انحدرت من أصل « مغل » وتسلطت بالمغولية كانت تسمى نفسها دائما باسم التتر » .

● لكن كيف دخل التتر في الدين الإسلامي ، مع أنهم كانوا وثنيين ، وقد أسقطوا دولة الخلافة العباسية الإسلامية في بغداد سنة ١٢٥٨م ؟

جاء في كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ » الجزء الأول ، للدكتور محمد علي البار ما يلي :

« كانت بداية هذا التحول عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيز خان الحكم للقبيلة ، المعروفة بالقبيلة الذهبية ، وذلك سنة ١٢٥٦م ، وكان بركة خان قد دخل في الاسلام منذ طفولته .

واستمر حكم بركة خان إلى سنة ١٢٦٧م ، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الاسلام .

وكان سلطان هذه القبيلة يمتد من تركستان حتى روسيا وسيبريا ، وقد حكموا موسكو نفسها ، ولم يكن ينصب أمير موسكو إلا بعد موافقتهم ، وقد أقاموا مدينة قازان الشهيرة في شمال نهر الفولغا التي أصبحت بعد ذلك عاصمتهم .

واختلط هؤلاء المغول الذين عرفوا باسم التتار « بلغار » الفولغا المسلمين ، واختلطا شعبا ، وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون - جميعا - باسم « التتار » .

● إذا كان الامر كذلك فما الذي حدث لهذه الدولة بعد ذلك ؟

يجيب الدكتور البار في كتابه سابق الذكر قائلاً :

« نتيجة للخلافات انقسمت أملاك القبيلة الذهبية في مجرى نهر الفولغا وما حولها إلى عدة دويلات ، عرفت باسم الخانيات ، وذلك منذ سنة ١٤٣٨م ، حيث كانت تلك بداية النهاية » .

وهكذا سقطت الخانيات واحدة إثر الأخرى بيد الروس .

بلغار الفولغا :

● لقد ورد ذكر « بلغار الفولغا » في النص السابق ـ فمن هم ؟ وهل هناك بلغار غير بلغار الفولغا ؟

« لقد انتشر الإسلام على ضفاف نهر الفولغا منذ زمن طويل ، وأرجح أنه كان منتشرا قبل وصول بعثة ابن فضلان سنة ٩٢١م إلى مدينة بلغار ، عاصمة الدولة آنذاك التي ما زالت شواهدها قائمة على بعد بضعة كيلومترات من موقع مدينة قازان ، ولقد لعب التجار وأصحاب بعض الطرق الصوفية دورا رئيسيا في نشر الدين الإسلامي » هكذا قال لنا الأستاذ الدكتور مير قاسم عثمان نائب مدير جامعة أوليانوف ـ أي جامعة مدينة قازان .

ويذكر الدكتور سامي الدهان في مقدمته لرسالة ابن فضلان الذي ترأس بعثة الخليفة المقتدر العباسي إلى ملك البلغار المش بن يلطوار ، وكتب عن أحوال الناس والبلاد ما يمكن اعتباره وثيقة مهمة جدا ، ومما جاء في تلك المقدمة ما يلي .

« إن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة ، بل عظيمة ، يتهافت الملوك والأمراء عليها ، ليعقدوا معها أجمل الصلات ، وأوثق المحالفات ، حتى أن « الصقالبة » ـ وهم من سكان الشمال في أوروبة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان » اليوم ، في خط يوازي مدينة موسكو طلبوا عون الخلافة ومساعدتها ، فقد ذكر ابن فضلان أن مليكهم « المش بن يلطوار » طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقهه في الدين ، وتعرفه شرائع الإسلام ، وتبني له مسجدا ، وتنصب له منبرا ، يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته ، وسأله أن يبني له حصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له ، وقد بسط ابن فضلان أمر هؤلاء المخالفين فقال : إنهم ملوك الخزر من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب ، يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصبا » .

وتفيد بعض المصادر التاريخية إلى أن رحلة ابن فضلان استغرقت حوالي ١١ شهرا ، من ٢١ حزيران (يونيو) سنة ٩٢١م إلى ١١ أيار (مايو) سنة ٩٢٢م . كما تفيد تلك المصادر إلى أن دولة الخزر كانت قائمة على جوانب نهر الفولغا الدنيا ، وعلى شواطيء بحر « الخزر » ، أي قزوين حاليا ، وكان اسم عاصمتهم (إتل) ، وهو الاسم القديم لنهر الفولغا ، وموضع هذه المدينة هو نفس موضع مدينة (استراخان) الحالية .

والخزريون كما تذكر بعض المصادر صقالبة بلغار ، من نفس جنس جيرانهم ، تهود بعضهم ، ودخل المسيحية بعض آخر ، كما أسلم منهم بعض ، خاصة أن مدينة دربند « باب الأبواب » القريبة من إتل أي استراخان سيطر عليها المسلمون منذ زمن ليس بالقصير وانتشر فيها الإسلام .

ويبدو أن للصقالبة البلغار عدة فروع ، فبعض المصادر التاريخية تذكر بلغار الفولغا ، وبلغار الدانوب ، ويبدو أن الدولة البلغارية السلافية الحالية هي استمرار لما كان قائما من قبل في منطقة الدانوب ، في حين أن الروس قد قضوا قضاء تاما على دولة البلغار الخزريين سنة ٩٦٨م ، وقضى التتار على دولة بلغار الفولغا سنة ١٢٣٦م .



• العنف [illegible] هي إحدى ميزات الرقص الشعبي الشرقي . فهل هو نوع من التنفيس عن ضغوطات كثيرة ؟ (أعلى)

• عائلة العامل الموسيقي فلاديمير [illegible] . ([illegible])

• وجهاد [illegible] . ([illegible])

• [illegible] في [illegible] و [illegible] .. [illegible] . في [illegible] الاستراحات ([illegible])






« قازان » من تكونين ؟

« قازان » الحالية مدينة واسعة ، وعاصمة للجمهورية التترية ، تقع على نهر قازانكا أحد فروع نهر الفولغا ، وهي مركز صناعي ، زراعي ، علمي ، تجاري مهم في المنطقة .

جاء في الموسوعة العربية الميسرة عن « قازان » « أن بها مصانع للطائرات والقاطرات والآلات الزراعية والمطاط الصناعي ، والمفرقعات والمنسوجات ، وبها أيضا كثير من المنشآت الثقافية ، (من بينها جامعة أنشئت سنة ١٨٠٤م) . نشأت قازان سنة ١٤٠١م عاصمة خانية - إمارة - تترية قوية ، غزاها ايفان الثاني سنة ١٥٥٢م » .

ومازالت المباني القديمة تشهد على أهمية هذه المدينة عبر عصور التاريخ ، فشوارعها فسيحة ، وكثافتها السكانية قليلة بالنسبة لمساحتها الواسعة ، يتخلل قلبها وأطرافها كثير من الأشجار ، كما أن النهر يمثل رئة مهمة لسكانها ، إضافة إلى كونه وسيلة مناسبة للنقل ، ويقوم عليه كثير من المنشآت ، منها (ترسانة) لصناعة السفن وإصلاحها .

وعندما سألنا الدكتور مير قاسم عثمان عن معنى قازان أو كازان ، ومن أين جاء ، ذكر عدة اجتهادات في هذا الأمر فقال :

- يقال إن وعاء كبيرا سقط في النهر ، فأخذ أحد الجنود يصيح : قازان ، قازان ، وبعد ذلك أطلق هذا الاسم على الموقع .

- يقال أيضا انه كانت هناك قلعة مكان كرملين قازان الحالي ، وكان الناظر من القلعة يرى حواتر في الماء أو على الأرض ، ولذا كان يصيح قازان ، قازان .

- كما يقال ان اسم النهر كان (قازان صو) فأطلق الاسم على المدينة .

- وكما يقال أيضا ان القبيلة التي سكنت المكان كان اسمها قاز ، وأن لفظ « أن » يعني أراضي بالتترية ، فيكون المعنى أراضي قاز

توقاي في بيت شامل !

● لمن هذا التمثال ؟

- إنه لعبد الله توكاي « توقاي » .

● ومن يكون ؟

- إنه شاعرنا العتيد ، إنه « بوشكين » التتار .

● يبدو أنه لم يترجم له شيء إلى العربية ؟

- بلى ، لقد ترجمت « شورالاي » إلى العربية .

● وما هي « شورالاي » هذه ؟

- هي قصة عن « الغول » ، كتبها توقاي للأطفال .

هكذا دار الحوار بيني وبين مرافقنا التتاري .

كان الشارع الذي تواجدنا فيه يحمل اسم توقاي أيضا ، ثم وصلنا إلى مبنى متوسط الحجم بطابقين يحاذي الشارع ، فقيل لنا هذا « متحف توقاي » فدخلناه ، فاستقبلنا مديره السيد نعمان حبيب الله قال :

- إن هذا البيت لم يكن لتوقاي ، بل كان لعميد في الجيش القيصري اسمه عميد شامل .

● هل تعني شامل داغستان القفقاسي ؟

- أجاب المدير : نعم إنه ابن الشيخ شامل ، لقد فعل عكس ما فعله والده ، فبينما كان الشيخ ثائرا ضد السلطة القيصرية التحق ولده بجيشها ووصل إلى رتبة عميد ، وعندما تقاعد سكن هذا البيت ، وتوفي سنة ١٩٠٦م .

- وعندما قامت ثورة سنة ١٩١٧ طالب الناس بعدها بتحويل البيت إلى متحف لأعمال توقاي ، وكما ترى فإن كثيرا مما يخص توقاي موجود هنا ، مؤلفاته ، وكتبه ، لكنه قد مات قبل أن يشهد بزوغ شمس الثورة مع الأسف .

● متى توفي ؟

- في عام ١٩١٣م

● ومتى ولد ؟

- سنة ١٨٨٦م ، ولقد مات وهو ما يزال في عنفوان

شبابه ، ومع ذلك فقد أنتج عشرات الأعمال الشعرية والقصصية ، خصوصا الخاصة بالأطفال ، وأصدر بعض الصحف ، ولعب دورا في تحريك الوعي ضد السلطة القيصرية وممارساتها .

رموز آخرون :

مادمنا في سيرة عبد الله توقاي ، فقد زرنا متحفا يحمل اسمه ، في قرية قيرلاي ، أقيم بالقرب من بحيرة صغيرة كان يلجأ توقاي للجلوس تحت بعض الشجيرات المحيطة بها ، ويكتب بعض أعماله ، من تلك الأعمال المشهورة (شورالاي) الذي جسده أحد النحاتين بمنحوتات خشبية ، تم وضعها في حديقة المتحف ، وهي عبارة عن « غولات » الغابة كما تصورها الكاتب .

وقد تم تنفيذ هذه المتحف اعتمادا على الأسلوب الشرقي ، ومادته الأساسية من الخشب ، وقد بلغت تكلفته حوالي مليون روبل ، نفذه المهندس الفنان باقي أورمنشاه ، وافتتح عام ١٩٧٩م . وهو يحتوي على طابقين فيهما كثير من أعمال الشاعر ومقتنياته .

ذكرت لنا مديرة المتحف أن لينين رئيس الدولة السوفيتية الأسبق سأل مجموعة من التتار ذات يوم :

● هل يوجد مثيل لتوقاي في تتاريا ؟

ـ أجابوا : نعم يوجد .

فعلق لينين : إذن لم تمت قوة الشعب التتري بعد .

كما ذكرت لنا المديرة أيضا أن لويس أراغون الشاعر الفرنسي المشهور كتب ذات يوم : « إن شعر توقاي ، ومسجد كالوري ، وروايات ابراهيموف - أحد أدباء التتار ومفكريهم - قد عبدوا الطريق لأدباء تتاريا السوفيتية وأوحوا لهم بما أنتجوا » .

ومادمنا في سيرة الأشخاص الرموز فلنتذكر أن الساحة المقابلة لكرملين قازان تحتوي على نصب آخر ، سألنا مرافقتنا : لمن هذا النصب ؟

فجاءنا الجواب : إنه لموسى جليل الوطني الذي لعب دورا في مقاومة الألمان عندما جاءوا إلى تتاريا سنة ١٩٤٢ ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، فسألوه معهم وأعدموه ، وهو من مواليد سنة ١٩٠٦ .

وموسى جليل أديب مناضل ، له ديوان شعري مطبوع ، مترجم إلى عدة لغات ، منها الانكليزية ، ونص ديوانه الأصلي مكتوب باللغة التتارية ذات الحروف العربية .

لينين في قازان :

هناك رمز آخر ، وطني وعالمي في نفس الوقت . إنه قائد ثورة أكتوبر ، فلاديمير ايليتش لينين .

● ما هي علاقة لينين بقازان ؟

ـ « لقد عاش فيها وناضل ، بل وتعلم في جامعتها » ، هكذا أجابتنا السيدة كلارا وليفوا مديرة البيت الذي عاش فيه لينين ، والذي تحول إلى متحف ، وافتتح سنة ١٩٣٧م ، وقد زار المتحف ٩ ملايين زائر من حوالي ١٠٤ جنسية ، وعندما عرفت المديرة جنسيتنا قالت : لقد أصبحوا ١٠٥ جنسية الآن .

وأضافت : لقد كان والد لينين مفتشا للمدارس ، فجاء إلى قازان ومعه العائلة والأولاد ، ودخل لينين جامعة قازان اعتبارا من بداية السنة الدراسية ١٨٨٨م ، إلا أن نشاطاته ، وحدوث اضطرابات في الجامعات ، ومنها جامعة قازان ، حتمت اعتقاله ، خاصة بعد أن عرف أنه شقيق الكسندر الذي تم إعدامه سنة ١٨٨٧م ، نظرا لنشاطاته الثورية ، ثم نفي إلى قرية تبعد ٤٠ كيلومترا ، كانت تعرف باسم كوكوشاكينو ، وهناك أمضى ساعاته وأيامه بالقراءة الجادة ، وبعد أشهر سمح له بالعودة إلى المدينة ، لكن لم يسمح له بالعودة إلى الجامعة ، وقد أمضى عدة أشهر بقراءة كثير من المراجع ، خاصة كتابات ماركس وانجلز . وفي سنة ١٨٨٩م انتقل إلى بلدة سامارا التي أصبحت تعرف بكايبيشيف ، ثم انتقل بعدها إلى العاصمة الروسية .









• مسرحيات وعروض حيوانية . إنه المرح الشعبي الحي والمتنوع الثروات .
أعلى الى اليمين

• بانتظار القطار في إحدى محطات القطارات في مدينة قازان
الصورة العليا

• ما زال النقش والتطريز يتمتعان بطابعهما الموروث العريقة وفنانة في صناعة الحلوى . الى اليسار

• الممثل الشعبي السوفيتي اسي قلاميف وزوجته صوفيا .
الى اليمين



ويحتوي المتحف على بعض ممتلكات العائلة وأثاثها ، وبعض الأشياء التي تتعلق بلينين ، منها ساعة عمرها - كما ذكرت مديرة المتحف - ٢٠٠ سنة ، وهي مازالت تعمل ، حتى يوم زيارتنا .

في الجامعة :

جامعة أوليانوف (نسبة إلى اسم والد لينين ، وقد كان لينين يوقع بهذا الاسم بعض الأحيان) . تم افتتاحها سنة ١٨٠٤ ، « والمعروف أن قازان كانت مدينة علم وثقافة منذ زمن بعيد ، وفيها الآن فرع لأكاديمية العلوم السوفياتية ، وقد أنشىء فيها أول فرع للاستشراق بالاتحاد السوفيتي أيضا ثم انتقل إلى لينينغراد . وجامعة قازان تعتبر الثالثة من حيث الأهمية في الاتحاد السوفيتي بعد جامعتي موسكو ولينينغراد . »

وقد درس في هذه الجامعة وتخرج فيها عدد من الشخصيات المرموقة المهمة ، مثل لينين ، وتولستوي ، وبافلوف (عالم النفس المشهور) ، وبوتليروف اختصاصي كيمياء ، وفيشنفسكي اختصاصي جراحة ، وفافيلوف ، وغيرهم كثير .

وقد تخرج في الجامعة خلال الخمس سنوات الأخيرة حوالي ٩٨٣٤ طالبا وطالبة من أربعين قومية ، منهم بعض الطلبة العرب من سوريا ، واليمن ، وليبيا ، وغيرها من الأقطار العربية الأخرى .

حروف اللغة

لا شك أن ظاهرة لغات بعض الشعوب التي اعتنقت الدين الإسلامي المكتوبة بحروف عربية تلفت الأنظار ، وتثير كثيراً من الأسئلة ، خاصة عندما يتم التصريح بأن تلك الحروف قد تم تغييرها إلى حروف لاتينية وغيرها ، أي أنه اذا ما كان استخدام الحرف العربي ، لم يخدم اللغة فلماذا لم تتم العودة إلى حروف اللغة القومية ؟ ولماذا يتم الاستعانة بالحرف اللاتيني ثم الحرف الروسي ؟ أهي قضية سياسية ، أم هي قضية لغوية ، أم أن في الأمر أسبابا خفية غير معلنة ؟

طرحنا السؤال على السيد رئيس الجمهورية ، فأجاب :

- إن قلت لك بأننا ما هي الأسباب فإنني أتعدى على اختصاصات غيري ، فأنا غير متخصص باللغة ، وتجربتي السابقة كانت ضمن العمل الثقافي ، ومع ذلك أجتهد وأقول عندما قامت الثورة كان معظم شعبنا أميا ، وكان لزاما علينا محاربة الأمية ، واطلاع شعبنا على مجمل التطورات التي حصلت في شتى مجالات الحياة ، وهكذا وجد الاختصاصيون أن الحروف اللاتينية تسهل عملية القضاء على الأمية ، وتسهل ادخال العلوم في المناهج الدراسية .

ويمكن القول انه لا يوجد في بلادنا أي لبس الآن ، والحروف العربية واللغة العربية مازالتا تدرسان في الجامعة في الأقسام المتخصصة ، وباعتقادي أن الأمر غير مرتبط بالموقف من الدين أو غيره من اعتبارات غير فنية .

- بروفسير التاريخ مير قاسم عثمان اجتهد في هذا الموضوع فقال :

لقد استخدم سكان هذه المنطقة - البلغار أو التتار - حروف اللغة العربية بدلا من حروف لغتهم الوطنية منذ حوالي ألف سنة تقريبا ، ومع ذلك فإن الأمر قد تم دون قواعد لغوية ، وهناك حروف في اللغة العربية غير موجودة في اللغة التترية ، كالذال ، والضاد ، والظاء وغيرهم - أي التتر - يخلطون الزاي بالسين أو بالذال ، ويخلطون الصاد بالضاد والظاء .. إلخ .

وقد تم بذل جهود مضنية لتطوير الحروف التترية المكتوبة بالعربية للاستجابة للخطط الطموحة للقضاء على الأمية ، فبرزت صعوبات جمة ، منها على سبيل المثال أن اللغة العربية فيها تشكيلات وحركات ، وكان يحتار التتاري كيف يشكل لغته

المكتوبة بالحروف العربية ، وهكذا تم اللجوء إلى الحروف اللاتينية نتيجة لخلفيات تتعلق بأمور ثقافية لغوية . وليس نتيجة لأسباب أخرى سياسية أو غيرها .

ضجيج الحياة :

كان لا بد من مشاهدات تنقلنا من حالة التفكير والمناقشات إلى ما يبدعه الإنسان ، ويعطي مصداقية للكلام عن تقدم الصناعات والتقنيات في قازان وغيرها .

وكانت زيارتنا الأولى لمعرض مصنع المعدات الطبية . فالتقينا بالسيد يفغيني زاليوف رئيس قسم الانتاج ومساعديه ، قال : بعد أن اطلعنا على نماذج من تلك الصناعات -

إن مؤسسة إنتاج المعدات الطبية تأسست سنة ١٩٦٢ ، وهي تابعة لوزارة البحث العلمي ، وتنتج أربعة آلاف نوع من المعدات الطبية وأجهزة للمختبرات ، كأدوات الجراحة ، والجلد الاصطناعي ، وأدوات تجميل للوجه ، وأدوات طب الأسنان ، والمعدات الخاصة بالكسور ، ومعدات المعالجة ، ولفحص النسل ، وأدوات فحص الأمراض الناتجة عن الجراثيم ، ولأمراض العيون ، وغيرها .

ويوجد في المؤسسة حوالي خمسة آلاف عاملة وعامل ، وبها سبعة أقسام ، منها مكتبان للتصميم ، ومكتب للتطوير والاكتشافات التقنية . والعاملون والعاملات متخرجون في معاهد وكليات تقنية ، كما أن تطوير تعليم العاملين متوفر ، وله دورات محددة ومناهج للمتابعة . وتقوم إدارة المؤسسة بالتعاون مع الحكومة بتوفير البيوت للعاملين فيها ، ومعدل إيجار الشقة لا يتجاوز ٢٪ من الايجار . كما يتم تأمين دور حضانة وروضات لأبناء العاملين . وهناك استراحات للعمال .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى أحد المصانع التابع للمؤسسة ، وهو متخصص بأدوات جراحة الأسنان فقط . وقد ذكر لنا رئيس المهندسين في المصنع أنه تم تأسيسه سنة ١٩٣٢ م ، في مدينة كييف الأوكرانية في الأساس ، إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية والهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي حتم نقله إلى قازان ، وهو ينتج حوالي ٥٠ ألف قطعة تقريبا سنويا ، ويتم إدخال تحسينات على المعدات المنتجة كلما وجدنا الأمر يتطلب ذلك ، وينتج المصنع حوالي ٨٠٪ من احتياجات الاتحاد السوفيتي من أدوات جراحة الأسنان ، ويتم تصدير بعض المنتجات إلى حوالي ٢٠ دولة

في قلب الغابة وعلى حافة النهر :

وقد آثرنا بعد زيارتنا للمصنع أن نقوم بزيارة استراحة خاصة بأبناء وبنات العاملين في المصنع ، ثم زيارة بيت عامل من عمال المصنع .

تبعد استراحة الأطفال حوالي ٢٥ كيلومترا عن مدينة قازان ، والطريق إليها معبد وتحف به أشجار الصنوبر والشربين من الجانبين ، والسيارات التي نراها قليلة ، ونسيم الصيف العليل جعل منعشا ناعما ، وعندما بدأنا بالاقتراب من ساحل نهر الفولغا وجدنا أنفسنا فجأة بين عشرات الفتيان والفتيات ، فالاستراحة في قلب الغابة ، والنهر يبعد حوالي كيلو متر واحد .

قالت لنا مشرفة الاستراحة نادية سايا إيفا : إن الاستراحة تشغل حوالي ٦ هكتارات ، وتستوعب ١٥٠ فتاة وفتى ، تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٥ سنة وفجأة انقطع حبل الحديث بيننا ، والتفت الأنظار المندهشة على مشهد حدث بحضورنا ، فقد هجمت فتاة لا يزيد عمرها عن ١٠ سنوات على أحد الأشخاص المرافقين لنا واحتضنته ، وكان هذا الرجل والدها ، ولم يرها منذ أيام . ثم تابعت المشرفة حديثها عن الاستراحة :

الفتيان لهم غرف لنومهم ، والفتيات كذلك ، وهم منفصلون عن بعضهم بعضاً إلا أنهم يختلطون في النشاطات ، من تمثيل وموسيقا ونشاطات فنية ،



● الإمام والمؤذن
داخل مسجد قازان .



● من المؤكد أن السلام الشاعر عبدالله ترقي أ نكي تصل إلى الد ... سيحتويه مثل هذا المتحف في قرية فرلاي بالقرب من ... .

وألعاب رياضية، والاقامة في الاستراحة لمدة شهر تقريبا. ويوجد حوالي ٣٨ مشرفا ومشرفة متخصصين، إضافة إلى وجود مباحا وطبيب مقيم، ويدفع المشترك (٩ روبلات) في الشهر، وتدفع نقابة العاملين بقية المبلغ، والاستراحة خاصة بأبناء العاملين في المصنع فقط.

كان الفتيان والفتيات في فترة الزيارة يمارسون هواياتهم الفنية، ويبدو أن الدرس كان عن فن الكولاج - القص واللصق، طائرات ورقية، وسفن، وأشياء أخرى كانت تخرج من بين أيديهم وهم يقصون ويلصقون، والمشرف والمشرفة يشاركونهم أغانيهم.

مررنا بمجموعة أطفال ونحن نغادر الاستراحة، كانوا يرسمون بالطباشير الملون على قطعة أرض مبلطة بزلط ناعم.

أحدهم لا يتجاوز عمره السابعة، تراءى لي أنه يرسم قوس قزح، فسألته: ما الذي ترسمه؟

أجاب: قوس قزح. سألت: ما هو قوس قزح هذا؟ بقي مشغولا بعمله وأجاب: هو القوس الملون الذي يظهر على صفحة السماء بعد المطر، لو أنه عندما تنكسر أشعة الشمس بقطرات المياه العالقة في الهواء.

تابعنا جولتنا في بقية مراكز الاستراحة، ثم خرجنا منها، واقتربنا من شاطئ النهر. كانت السفن تمخر صفحة المياه وسابحون يسبحون، والنائمة على حدود النهر، والنوارس تتقافز وترفرف بأجنحتها، وخيوط الشمس الذهبية تلمع على صفحة المياه كأنها اللجين الذي ذكره بعض الشعراء.

حالة سوفيتية تماما:

مع أن الرجل روسي الأصل إلا أنه ولد في مدينة باكو عاصمة أذربيجان الآسيوية سنة ١٩٣٠، والزوجة مولودة في مدينة أوليانوفسك سنة ١٩٣٩، على نهر الفولغا. كان والدها ضابطا في الجيش،

جاء إلى قازان فاستقرت العائلة فيها ، فتعرف فلاديمير على لودميلا ، ثم تزوجا سنة ١٩٥٩ ، وولدت لهما ابنة أطلقا عليها اسم ناديا في نفس عام زواجهما ، وما زالا إلى الآن يعيشان في قازان .

سألت الرجل : هل تعتبر نفسك مواطنا تتريا ، بعد أن عشت كل هذا العمر في قازان ؟

- أجاب وعلامة تعجب وربما استنكار على عينيه : أنا مواطن سوفيتي ومواطن تتري أيضا ، لي ما على الناس ، ولي ما لهم ، بل وأصبحنا نجيد التترية أيضا .

إننا نتعامل كمواطنين مشتركين في الأفراح والأتراح والمناسبات ، ولا يوجد أي تفرقة ولو للحظة في أي أمر من الأمور ، فالدستور والحقوق والواجبات هي الحكم بين المواطنين ، كل المواطنين .

● هل تتزاوجون ؟

- صاحت علامة التعجب والاستنكار على محيا الرجل : نعم زواجنا مشترك ، وثقافتنا مشتركة ، ولنا أصدقاء كثيرون من شتى القوميات السوفيتية ممن يعيشون في قازان .

الرجل هو فلاديمير تشيرباتوف العامل الممتاز في مصنع الأدوات الطبية ، وزوجته لودميلا تعمل معه في نفس المصنع منذ سنة ١٩٦٠ ، أما ابنتهم فهي تعمل مدرسة علوم منذ سنة ١٩٧٧ بعد تخرجها في جامعة قازان . . . زرناهم في بيتهم وكان هذا الحوار معهم .

ولأنه عامل ممتاز فإنه يحصل على أجر ممتاز أيضا ، يصل إلى حوالي ٣٠٠ روبل ، في حين أن متوسط الأجور في المصنع يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ روبل ، والعائلة تعيش في شقة ، فيها ثلاث غرف مع حمام ومطبخ ، إيجارها الشهري ٢٤ روبلا مع الكهرباء والماء والتصليحات ، وهي ممنوحة للعائلة من قبل الحكومة ، وقد منحتهم النقابة ١/٣ هكتار من الأرض خارج قازان على بعد حوالي ٢٨ كيلومترا منها ، بعد أن دفعوا رسوماً قليلة ، يزرعون فيها خضراوات وفواكه ، ولهم فيها بيت ريفي ، يقضون فيه عطلاتهم وإجازاتهم ، وهذه ظاهرة سوفيتية منتشرة في كل الجمهوريات والمناطق .

● هل تزوجتم بعد معرفة ؟

- نعم تعارفنا والتقينا ، ثم تزوجنا عن طريق مكتب الزواج في منطقتنا .

● هل تشعرون باختلاف بين شباب الأمس وشباب اليوم ؟

- شباب اليوم أقل إحساسا بالمسؤولية .

● ورأي ناديا ؟

- لأقل ان نسبة كبيرة من جيل الشباب غير جادة ، ولا تسعى إلى الاستقرار الأسري .

● ولذلك لم تتزوجي حتى الآن ؟

امتقع وجهها قليلا ، وبانت حمرة الخجل على محياها ، ثم أجابت : ربما ، ولأقل بصراحة انني لم أصادف بعد الشاب الجاد كوالدي ، صحيح أن لي صداقات لكنها لم تتطور إلى زواج .

● من الذي أشرف على تربيتك وأنت صغيرة ، عندما كان والدك ووالدتك يذهبان إلى العمل ؟

- جدتي وجدي هما اللذان لعبا دورا في طفولتي ، وبعد ذلك دخلت الروضة ، وعندما كبرت وأصبح عمري حوالي ٨ سنوات حصل والدي ووالدتي على شقة واستقلا في حياتها .

● هل لكم اهتماماتكم خارج العمل ؟

- نقرأ الكتب والصحف ونتابع برامج التلفاز ، ونذهب إلى السينما والمسرح .

● هل أنتم حزبيون ؟

أجاب الرجل : نعم أنا حزبي منذ سنة ١٩٦٤ .

وأجابت الزوجة وابنتها إننا غير حزبيين .

● لماذا ؟

- لا يوجد قانون يجبر كل الناس بأن يكونوا حزبيين .

● والدين ما هو موقفكم منه ؟

- الدين تراث نحترمه ، لكنه لا يلعب دورا في حياتنا ، ومن أراد الصلاة فهو حر ، شرط أن يلتزم بقانون عدم إثارة الحزازات والكراهية بين الناس .

● وهل يثير الدين ذلك ؟

- يثيره بعض المتعصبين وجهات أخرى يهمها تفتيت الناس والشعوب بسبب المعتقد الديني .

● لكن الدين ليس كذلك .

- صحيح ذلك ، لكن بعض الناس يجعلون أنفسهم أدوات لحروب وفرقة .

● هل تنتمي إلى نقابة المصنع ؟

- نعم تنتمي ، والنقابات قوية في الاتحاد السوفيتي ، والانتخابات فيها مباشرة ، وليس بالضرورة أن كل من فيها هو حزبي ، وقد حققت كثيراً من المكاسب للعاملين فيها .

● هل تتابعون الأخبار عن منطقتنا ؟

- لا شك في ذلك ، وبعض أقطاركم غنية بالنفط ، ويمكن استغلال ذلك لتطوير الحياة ، لكن حروباً كثيرة قائمة في منطقتكم ، نأمل الاستقرار والسلام في العالم وخصوصاً في منطقتكم .

الوجه الآخر :

تبعد منطقة أرسك - « أرشاي » كما كان يطلق عليها من قبل - حوالي ٥٠ كيلومتراً من مدينة قازان ، وهي منطقة زراعية ، أشهر المزروعات فيها القمح والذرة والبطاطا . ذهبنا إليها لنرى وجه الحياة الآخر .

قال لنا السيد دامير فاهيوف السكرتير الأول للجنة الحزبية المحلية : يبلغ عدد السكان في المنطقة حوالي ٦٥ ألف شخص ، منهم ١٢ ألف شخص يعيشون في بلدة أرسك نفسها ، ويعمل في الزراعة حوالي ١٧ ألف فرد ، وإنتاج القمح السنوي يصل الى حوالي ٢٠٠ ألف طن ، في مساحة تقدر بحوالي ٩٥ ألف هكتار ، كما ينتج حوالي مائة ألف طن من البطاطا ، في مساحة تقدر بحوالي ٧ آلاف هكتار ، والمنطقة مشهورة أيضاً بإنتاجها من الحليب واللحوم ، إذ يربى فيها حوالي ١٨ ألف بقرة ، والمصانع الموجودة في المنطقة هي مصانع تتعلق باللحوم والمنتجات الزراعية ، ومعامل أخرى تتعلق بالمصنوعات التقليدية ، كالأحذية وغيرها ، ويبلغ عدد التلاميذ في المنطقة حوالي عشرة آلاف ، موزعين على جميع مراحل الدراسة ، بالإضافة إلى المدارس الفنية والزراعية .

وانتقل الى الحديث عن البيوت التي يفضل ناس الريف أن تكون ملكية خاصة بهم ، لذلك فإن أكثر من نصف البيوت في المنطقة حسبما ذكر مملوكة للناس ، والنصف الآخر بنته الحكومة والمؤسسات الزراعية والصناعية

وعن الأجور في المزارع والمصانع ذكر بأن معدلها الوسطي متقارب ، وهو يتراوح بين ١٧٠ إلى ٢٠٠ روبل تقريبا ، وأن نسبة ما يدفع كأجرة لا يتعدى ٢٪ من الأجور

سألت : هل يوجد عاملون من قوميات أخرى غير التتر في هذه المنطقة الريفية ؟

واجهني بنظرة خاصة ثم أجاب قائلا : لا يوجد إلا مائتا روسي في المنطقة كلها ، والباقي من التتار

وأخذنا جولتنا في مصنع الأحذية الضخم الذي يعمل به ١٥٠٠ عامل وعاملة ، وينتج حوالي مليون حذاء سنوياً ، وينقسم إلى ٢٢ قسماً .

مكان لكل إنسان

وانطلقنا إلى بيت العامل أمي قلاجيف الذي يعمل بمصنع الأحذية وهو من مواليد سنة ١٩٤٠ ، وزوجته صوفيا العاملة في نفس المصنع ، وهي من مواليد سنة ١٩٤٣ ، رافقنا مدير المصنع ورئيس النقابة فيها . يتكون البيت من ثلاث غرف مع ملحقها .

قال أمي وصوفيا بأنهما تزوجا سنة ١٩٦٢ ، وهما قريبان من نفس منطقة أرسك ، وأنهما تعارفا مدة سنتين ، ثم تزوجا بعد ذلك

قالت الزوجة انها تعمل في المصنع منذ سنة ١٩٦٤ ، أما الزوج فقال : إنني أعمل في المصنع منذ سنة ١٩٥٩ وأتقاضى ٢٠٠ روبل كأجر .

* والزوجة كم هو أجرها ؟

أجابت : أجري ٢٣٠ روبلا شهرياً .

استفسرت . لماذا يفوق أجر الزوجة زوجها مع أنه أقدم منها في العمل ؟

أجاب مدير المصنع : لأن عمل الزوجة به دقة فنية تفوق عمل الزوج .

* كم عدد أطفالكم ؟

أجابت المرأة . لقد أصبحوا كباراً الآن ، فأنيس عمره ٢٣ سنة ، يتعلم بكلية الاقتصاد بجامعة قازان ، وروزيلا تعمل في قازان وتسكن هناك . وفوكناس عمرها ١٦ سنة وتعيش معنا وهي ما زالت طالبة .

سألت . ما هي إجراءات الزواج عندكم ؟

أجابوا : تتم الموافقة العائلية من قبل الأهل ، ثم يتم عقد الزواج في القسم المخصص لذلك .

* والشيخ ؟

- يمكن أن يعقد الزواج بواسطة الشيخ أيضاً ، حسب رغبة طرفي الزواج .

* هل أفهم بأنكما غير متدينين ؟

- إننا نحترم التراث الشعبي ونقدره ، ونحترم التقاليد ، لكننا غير متدينين ، صحيح أننا لا نصلي ، لكننا لا نشرب المشروب ، ولا نميل إلى أكل لحم الخنزير ، ونادراً ما ندخن السجائر .

* لكنكما مسلمان ؟

- نعم نحن تاريخياً مسلمون ، ونحن أننا قريبون من العرب .

* هل أفهم أنه أصبح لا يوجد لكم علاقة بالإسلام ؟

- نحن تاريخياً مسلمون .

* والآن ؟

- لا يوجد في الدستور أو في غيره من النصوص ما يمكن أن يشير إلى دين الفرد ، ونحن في الحقيقة غير



* الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عثمان

متدينين .

* هل أنتما حزبيان ؟

- قال الرجل : نعم أنا حزبي ، لكن زوجتي غير حزبية ، أما الأولاد فهم في منظمات الشبيبة .

* كيف تنظرون إلى وجود القوات السوفييتية في أفغانستان ؟

- هذا اجراء - كما نعتقد - مؤقت أملته التدخلات الاستعمارية ، وقد جاء بطلب من الحكومة الشرعية ، ونأمل أن ينتهي في أقرب فرصة ممكنة .

* والحرب العراقية الايرانية ؟

- إنها حرب غير مفهومة وغير مبررة ، والشعوب هي التي تدفع الثمن ، نأمل أن تنتهي ، ويحل السلام بين الجارتين .

* والقضية الفلسطينية كيف تنظرون إليها ؟

- لا يوجد إنسان بلا وطن ، فلماذا يفرض على الفلسطيني أن يكون بلا وطن ؟

تهامس الحضور فيما بينهم ، ثم طلبوا من الزوجة إحضار آلة موسيقية ، ثم أعلنوا : أن الزوج ماهر في العزف على الجارموشكا ، وهي آلة تشبه الناي ، قال

الزوج : إنه يعزف عليها منذ الصغر ، وعندما بدأت الموسيقا تتداخل مع مواطن الإحساس في كل فرد منا انطلق صوت الزوجة بعد لحنه ، وشاركها الحضور .

كانت النغمة نغمة شرقية ، والكلمات عصية على الفهم ، وعندما انتهى العزف والغناء سألت : ماذا كانت تقول كلمات الأغنية ؟

أجابت الزوجة : هي أغنية تترية قديمة ، يقول كلامها : « العالم كالدائرة ، وفيها مكان لكل الناس ، فلماذا لا نعيش عليها بسلام ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

الســحق بعنف :

قبل أن نذهب إلى أحد قصور الثقافة في المدينة قررنا زيارة إحدى الحدائق الكبيرة فيها ، وكان المساء يرخي سدوله ورؤوس الأشجار تتمايل برقة ، كأنها تشارك نفوسنا في التجاوب مع نغمات الموسيقا التي كانت تتسلل إلى آذاننا من بعيد ، وعن يسارنا كانت حديقة حيوانات صغيرة ، وتوافير مياه ، وملاعب لعدة رياضات على اليمين ، وتزايدت نغمات الموسيقا وضوحاً بشكل تدريجي ، وكانت حشود الشبان والشابات تتجه إلى مكان محدد ، فسرنا وراء الحشد .

وإذ بنا في مواجهة ساحة مسورة مكشوفة وعشرات الشبان والفتيات فيها ، بعضهم في قلب الساحة ، وبعضهم خارجها ، ودقات الموسيقا الغربية ونغماتها تتردد بين الجنبات ، والفتيان والفتيات يرقصون على نغماتها فرادى وجماعات ، والداخل إلى الحلبة يدفع كوبيكات قليلة ، ثم يشارك مع الجميع بالرقص أو التمايل حسب اتجاهه .

● سألت : هل هي طريقتكم في الخروج من الثقافات المغلقة ، وما يمكن أن يحصل فيها ؟

- أجاب مرافقنا : يبدو أنها طريقة الرفاق التتار الناعمة للاستجابة إلى رغبات الشبان والشابات وميلهم إلى الموسيقا والرقص

وذاك الشطر كان يمثر حياته بتؤدة ، والشبان والشبيبة لا يأبهون لذلك ، ودقات الموسيقا تتوالى ، والجميع كأنه يمارس حركات تنفيسية عن طاقاته الكامنة .

وانتقلنا من الحديقة العامة إلى قصر الثقافة التابع لنقابة البناء في المدينة . قال لنا السيد مارس شالداي نائب مدير النادي : يوجد برنامج سنوي لتنفيذ كثير من النشاطات الثقافية والفنية ، والاتجاه الأساسي ينصب على الاستجابة إلى رغبات الشبان والأطفال

بالنسبة للنشاطات الفنية ، وبخاصة بالنسبة للرقص الشعبي فإننا نستفيد من مجمل الموروث الشعبي ، بل ونذهب إلى القرى ، ونستفيد مما يقدم فيها من نشاطات ، وأحيانا نبقيه على ما هو عليه ، ونواح أخرى نطورها لأنها بحاجة إلى تطوير

وعلى سبيل المثال فإن فرقة الرقص الشعبي التي تراها أمامك شاركت في كثير من المهرجانات العالمية ، كمهرجان الشباب الذي أقيم في موسكو سنة ١٩٨٥ ، وهي تعتبر من الفرق المشهورة في الاتحاد السوفييتي ، وقد عرضت في موسكو ، كما عرضت في إسبانيا ، واليونان ، ومالطا ، وغيرها ...

ملابس الفرقة كانت تحاكي اللباس التتري التقليدي كما ذكر السيد شالداي ومعزوفات الموسيقا ظلت تتوالى ، وتنغيمات الأيدي والأرجل التي يؤديها فتيان وفتيات الفرقة أخذت تتجاوب وتتوافق معها ، ومع تلك الأصوات .

الخفة والسرعة والتنقل الخفيف على الأرض هو ما يميز الرقص الشعبي التتري .

تخرج الفرقة إلى الساحة الأمامية للنادي وتتحد في توزيع نغماتها وحركاتها ، فيتجمع حولها الناس ، ويسرع زميل المصور إلى التقاط عشرات الصور ، ثم تشد بجمعها اللحن والكلمات .

« العالم كالدائرة ، وفيها مكان لكل الناس ، فلماذا لا نعيش عليها بسلام ؟ » تجاوبت مع الكلمات ورددتها ، لكنني أضفت إليها ، السلام العادل ، نعم السلام العادل ... ! □

السوبرنوفا
كارثة فلكية!

بقلم : رؤوف وصفي

شوهدت ظاهرة فلكية نادرة الحدوث في شهر فبراير الماضي ، فقد انفجر نجم هائل في مجرة سحابة ماجلان الكبرى التي تبعد عنا (١٧٠،٠٠٠) سنة ضوئية ، وهي مسافة قريبة بالمقاييس الفلكية ، واهتم العلماء بتسجيل ذلك الحدث الفريد الذي انتظروه حوالي أربعمائة عام ، فلم يحدث أن انفجر نجم بهذا اللمعان منذ عام ١٦٠٤م .

وجه علماء الفلك مراصدهم البصرية و (الراديوية) إلى موقع محدد من مجرة سحابة ماجلان الكبرى ، كما صدرت الأوامر إلى عدد من الأقمار الصناعية بتوجيه أجهزة الرصد لديها نحو مكان الانفجار ، لقياس الإشعة الصادرة منه ، مثل أشعة جاما ، والأشعة السينية ، والأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية .

فالعلماء يدرسون حدثا فلكيا ، وقع منذ ١٧٠،٠٠٠ سنة ضوئية ، وهو يشاهد أمام أعينهم في الوقت الحاضر ، لأن الضوء استغرق كل هذه السنوات في الوصول إلى كوكب الأرض ، وهي فرصتهم للدراسة الواقعية لمراحل تطور النجوم ، بعد أن كانوا يلجأون للمعادلات الرياضية النظرية .

وهذا الانفجار المروع الذي يطلق عليه اسم (السوبرنوفا) يقذف بمادة النجم ومجالاته المغناطيسية وإشعاعاته إلى أعماق الكون ، وهو يمثل كارثة لنجم يحتضر ، بعد حياة مثيرة استمرت بلايين السنين ، لكن الأمر الغريب هو أن قلب النجم سيظل ينبض ملايين السنين مفعما بالحياة في شكل نجم (نيوتروني) ، أو قد يخلف الانفجار هوة لا قرار لها ، تبتلع النجوم التي حولها ، وتمثل إحدى أغرب ظواهر الكون كافة ، وهي الثقب الأسود .

وأثناء حدوث (السوبر نوفا) تندفع العناصر إلى الفضاء بفعل قوة الانفجار ، لتكون سحبا من الغاز والغبار ، ثم تنتج أيضا موجات صدمية تتخلل هذه السحب ، وربما تكون السبب في نشأة نجوم وكواكب جديدة .

فما هو سر - السوبر نوفا - ذلك الحدث الفلكي الذي يحمل في طياته موتا لنجم ، ويمنح الحياة لأجرام فضائية أخرى ؟

« السوبر نوفا » عبر التاريخ

ظل الفلكيون الصينيون القدماء يرقبون السماء آلاف السنين ، ويسجلون بدقة بالغة كل الظواهر الكونية ، لاعتقادهم بأنها ترتبط بأقدار الناس ، وبالأحداث فوق كوكب الأرض . وكان أكثر ما يثير تساؤلاتهم تلك النجوم التي كانت تتوهج فجأة في مكان ما من السماء ، لم تشاهد فيه نجوم من قبل ، ثم تعود للاختفاء مرة أخرى ، وقد أطلقوا على تلك النجوم المتوهجة « النجوم الزائرة » .

وقد سجل الصينيون في عام ١٨٣م نجما متوهجا في كوكبة (انطوروس) ، وقد استمر تألقه عدة أسابيع ، وكان أكثر الأجرام الفضائية إضاءة بعد الشمس والقمر ، كما رصدوا نجما آخر آلق توهجا في عام ٢٩٣م في كوكبة (العقرب) . وقد ظل متأججا في السماء حوالي ثمانية شهور

وفي عام ١٠٠٦م سجل الفلكيون في الصين ومصر وسويسرا وإيطاليا ظهور نجم جديد في كوكبة (الذئب) . واستمر فترة طويلة متألقا في الفضاء ، وتوهج نجم في كوكبة (الثور) عام ١٠٥٤م ، وكان واضحا للفلكيين في نصف الكرة الشمالي ، وكان متألقا بأكثر من عدة أضعاف تألق كوكب الزهرة الذي يسمى نجم الصباح والمساء ، وبقي هذا النجم الجديد مدة ثلاثة أسابيع متألقا ، حتى أنه يمكن رؤيته أثناء النهار ، وبعد ذلك بقي حوالي سنتين واضحا للعين المجردة .

واكتشف الفلكيون الصينيون واليابانيون نجما متوهجا عام ١١٨١م في كوكبة (ذات الكرسي) . ثم مرت أربعة قرون دون اكتشافات جديدة ، وعندما ظهر نجم « جديد » في القرن السادس عشر كانت الأمور مختلفة ، فقد تقدمت العلوم في أوروبا في مختلف المجالات ، ومنها علم الفلك ، حيث أحدث (نيقولا كوبرنيكوس) البولندي ١٤٧٣ - ١٥٤٣ - ثورة في المفاهيم السائدة في ذلك الوقت



مجرة سحابة ماجلان الكبيرة
حيث شوهدت سوبر نوفا ١٩٨٧م

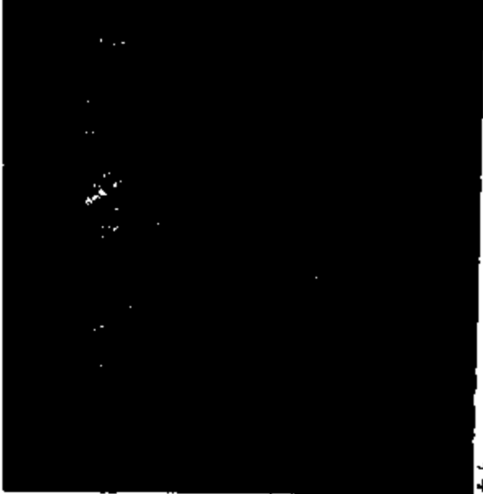
عندما قال إن الأرض تدور حول الشمس ، بعد أن ظل العالم يعتنق نظرية (بطليموس) التي تقول بأن الأرض هي مركز الكون مدة ألف وخمسمائة عام .

سديم السرطان بقايا « سوبر نوفا »

إن انفجار « السوبر نوفا » حدث فلكي مروع ، ولهذا كان من الصعب على العلماء أن يتصوروا أنه لا يترك أثرا في الفضاء ينم عن هذا الانفجار الذي يجعل النجم يطير شررا محترقا . مثل مجرة كاملة تحتوي على بلايين النجوم .

وتحقق أمل العلماء أخيرا ، فاكتشفوا « سديم السرطان » على بعد ٦٠٠٠ سنة ضوئية ، وهو عبارة عن كتلة غازية ممزقة ، تشبه شكل حيوان السرطان البحري وقد بدأ سديم السرطان يجذب اهتمام الفلكيين ، لأنه فريد في الفضاء . وبدراسته اتضح أنه يتمدد بسرعة ١٣٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، كما أنه مصدر قوي للنبضات الراديوية .

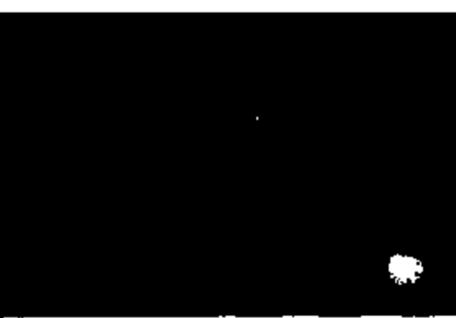
انفجار السوبر نوفا





قزم أبيض يحيط
به سديم كوكبي

رسم قديم يبين
كوكبات السماء



ميلاد النجوم



سديم السرطان





مراحل حدوث «النوفا» بين العملاق الأحمر والقزم الأبيض



وبالمزيد من الدراسات الفلكية وبتحديد موقع سديم السرطان في كوكبة الثور بالقرب من المكان الذي سجله الصينيون القدماء للنجم الزائر في عام ١٠٥٤م اتضح أن سديم السرطان هو بقايا النجم المتوهج المذكور ، وبدراسة الاشعاعات التي تصدر من السديم ظهر أنها لابد أن تنتج من مصدر يطلق طاقة هائلة أكبر من « النوفا » ، إذن فالانفجار الذي شوهد في عام ١٠٥٤م نشأ عنه سديم السرطان ، وهو « سوبر نوفا » واتضح أيضا بدراسة الانفجارات ١٠٠٦ ، و١٥٧٢ ، و ١٦٠٤م أنها ليست « نوفات » بل « سوبر نوفات » .

أكثر ضياء من بليون شمس

استطاع العلماء تقسيم « السوبر نوفات » إلى نوعين ، النوع الأول هو الشديد التألق والأكثر ضياء ، ويصل لمعانه إلى ما يقرب من ٥ ، ٢ بليون مرة قدر ضياء الشمس ، وعندما يصل إلى أقصى تألقه يعود إلى الخفوت بطريقة منتظمة . وقد اتضح من دراسة طيفية أنه يفتقر افتقاراً شديداً إلى الأيدروجين ، كما أنه يحدث في المجرات اللولبية والبيضاوية ، وفي أذرعتها ومراكزها أيضا ، أما النوع الثاني المتألق فأقل ضياء ، إذ يصل لمعانه إلى ما يقرب من بليون مرة قدر ضياء الشمس ، وبعد أن يصل إلى أقصى تألق يعود إلى الخفوت بطريقة غير منتظمة ، كما أنه غني بالأيدروجين ، ويكاد يحدث هذا النوع في المجرات اللولبية فقط ، وفي أذرعها بالتحديد .

أما عن الاختلافات في التركيب الكيميائي بين النوعين فالنوع الشديد التألق لا يحتوي على الأيدروجين ، وهذا يعني أن النجم المتفجر في نهاية حياته . ولأن عدم وجود الأيدروجين وتوفر الكربون والنيتروجين والاكسوجين يدل على أنه قزم أبيض .

فهل هذه الأنواع الشديدة التألق عبارة عن أقزام بيضاء متفجرة نتيجة وجودها في نظام ثنائي قريب مع عملاق أحمر كما أوضحنا من قبل في حالة « النوفا » ؟

إن الأمر يختلف قليلا في حالة السوبر نوفا ، فإذا كان القزم الأبيض كبيرا ، ولتكن كتلته ١.٣ قدر كتلة الشمس ، أي أقل من « حد شاندر اسيخار » ، أو إذا كان النجم الرفيق له في النظام الثنائي عملاقا أحمر هائلا ، ومن ثم يلقي بمادته إلى القزم الأبيض أسرع من المعتاد في حالة « النوفا » ، أو إذا حدث الأمران معا فإن « السوبر نوفا » هي التي تحدث ، وليس « النوفا » فقط .

وذلك أنه في هذه الحالة يكتسب القزم الأبيض المادة بمعدل سريع ، وبكمية هائلة ، وهكذا يتعدى حد (شاندر اسيخار) ، ومن ثم لا يتمكن من الاحتفاظ بكتلته ، فيتقلص وينهار فجأة ، فتصطدم نويات الكربون والاكسجين والنيتروجين معا بقوة هائلة ، فتحدث تفاعلات نووية قوية ، تنتج عنها طاقة مروعة سريعة ، ينشأ عنها انفجار مروع ، يصدر طاقة - في عدة أسابيع - تعادل ما تطلقه الشمس طوال عمرها ، أي خلال عشرة بلايين سنة .

أما النوع الثاني من « السوبر نوفا » (المتألق) فيحدث للنجم عندما يصل إلى مرحلة العمالقة الحمر ، وتكون كتلة النجم حوالي (٣) إلى (٤) مرات بقدر كتلة الشمس . ويتكون العملاق الأحمر من طبقات عديدة ، تحتوي الطبقة الخارجية على الأيدروجين والهليوم ، وتليها طبقات من الكربون والنيتروجين والاكسجين والنيون والصوديوم ، وذرات أخرى أثقل ، حتى تصل إلى المركز الذي يحوي ذرات الحديد والكوبالت والنيكل . وبصفة عامة تتكون كل طبقة من نتائج الاندماج النووي للذرات في الطبقة السابقة . وعندما يصبح مركز النجم من الحديد والكوبالت والنيكل لا يمكنه أن يصدر طاقة ، فسواء حدث تغير نووي في هذه العناصر بالاندماج النووي لينتج عنه نويات أكثر تعقيدا ، أو انشطار نووي تنشأ عنه نويات أقل تعقيدا ، وهنا لن يصدر النجم طاقة ، بل سوف يمتص الطاقة .



انفجار « السوبر نوفا » وتكون الثقب الأسود

وحينما يكبر مركز النجم المكون من الحديد ، يصل النجم إلى مرحلة يصبح فيها غير قادر على إصدار طاقة للاحتفاظ بكتلته ، ومن ثم تتقلص طبقاته الداخلية بشكل مفاجىء ، فتتحرر طاقة من الجاذبية ، فينطلق موجة صدمية تؤدي إلى انفجار الطبقات الخارجية إلى الفضاء ، وكذلك تشعل تفاعلات نووية فيها ، ومن ثم تتحرر طاقة إضافية تميز النوع الثاني (الثاني) من « سوبر نوفا » .

تقول نظرية حديثة بأن حدوث « السوبر نوفا » بسبب جسيمات النيوترينو . ولنتعرف أولا على هذا الجسم الغريب . ففي داخل الفرن الذري للنجوم يتحلل النيوترون إلى بروتون والكترون ، لكن اتضح بأن كتلة الجسيمين الأخيرين معا لا تساوي كتلة النيوترون التي نشأت منه ، ولا يمكن تفسير هذا النقص في الكتلة الكلية ، إلا بأن جزءا بسيطا من كتلة النيوترون قد تحول إلى طاقة يحملها جسيم آخر ، متعادل الشحنة ، له طاقة ، لكنه يكاد يكون بلا كتلة ، وقد أطلق على هذا الجسيم الشبح اسم (النيوترينو) .

يتكون عدد هائل من جسيمات النيوترينو في مرحلة ما قبل « السوبر نوفا » ، وذلك بطريقتين ، في الطريقة الأولى يتكون من الإشعاع مباشرة ، والمعروف أن لكل جسم من المادة جسيم من المادة المضادة ، ويتشابه الجسيمان في كل شيء ماعدا الشحنة الكهربية ، ويمكن للإشعاع إذا كان عالي الطاقة أن ينتج جسيمات من المادة والمادة المضادة ، فأشعة (جاما) التي تنتج في مركز نجم هائل لديها من الطاقة ما يمكنها من إنتاج الكترون والكترون مضاد (بوزيترون) ، وعندما يصطدمان ينتج النيوترينو .

أما الطريقة الثانية فعند اتحاد الالكترون مع البروتون لتكوين نيوترون ينتج من هذا الاتحاد تحرير جسم نيوترينو ، وعند تحلل النيوترون إلى الكترون وبروتون ينتج أيضا جسيم نيوترون آخر ، وتهرب جسيمات النيوترينو محملة بجزء من الطاقة ، وهذه الطاقة التي تحملها هي سبب حدوث « السوبر نوفا » ، فهذه الطاقة التي تحملها جسيمات النيوترينو الخارجة إلى الفضاء هي التي يفقدها



بقايا « سوبر نوفا » في كوكبة الشراع ، وتحتوي في داخلها على نجم نيوتروني

النجم بشكل مفاجيء ، بينما الطاقة التي تتحول إلى إشعاعات تندفع الى الطبقات الخارجية للنجم ، وهي بهذا تساعد في دعم النجم في مواجهة ضغط الجاذبية . وكلما فقدت الطاقة من مركز النجم بتأثير جسيمات النيوترينو يصبح غير قادر على مقاومة الجاذبية ، وعند حد معين تغلب الجاذبية ، ويصبح تقلص النجم أمرا لا مفر منه . ويؤدي هذا التقلص إلى اندماج الالكترونات والبروتونات لتنتج النيوترونات ، وعند تكوّن كل نيوترون يتحرر نيوترينو ، وهذا التقلص المفاجيء يحرر طاقة تحملها جسيمات النيوترينو إلى الطبقات الخارجية للنجم ، فتشتعل فيها التفاعلات النووية ، فتنفجر بشكل مروع مكونة « سوبر نوفا » .

بالرغم من أن « السوبر نوفا » تحدث عندما يكون النجم في مرحلة الاحتضار إلا أنه ينتج عنها « جنينا » ينبض بالحياة . فعند حدوث « السوبر نوفا » يكون تقلص مركز النجم مفاجئا وعنيفا ، بحيث يحطم التركيب الذري ، فتندمج الالكترونات مع البروتونات مكونة نيوترونات ، فتتلاصق مع النيوترونات الموجودة من قبل ، وهكذا يصبح النجم مكونا فقط من نيوترونات متراصة ، ولهذا يطلق عليه اسم « النجم النيوتروني » . وكان أول نجم نيوتروني تم اكتشافه في ثنايا السديم الغازي هو سديم السرطان . وبالمزيد من الدراسة اتضح أن النجم النيوتروني يصدر نبضات سريعة جدا في الثانية الواحدة ، ولهذا أطلق عليه أيضا اسم « النجم النابض » ، كما ظهر أيضا أنه يدور حول محوره بمعدل مرتفع جدا ، وهو لم يتشتت في الفضاء بسبب كثافته العالية .

لكن إذا كانت كتلة المركز المتقلص للنجم - بعد حدوث « السوبر نوفا » - تزيد عن ٣,٢ قدر كتلة شمسنا فإنه يظل يتقلص بعد مرحلة الأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية ، ويكون أغرب ظواهر الكون « الثقب الأسود » ، وهي هوة لا قرار لها ، وقبر مظلم في الفضاء - وحتى الضوء بسرعته الفائقة لا يستطيع الهرب من قبضتها ، وهي تبتلع النجوم التي تقترب منها ، حيث تنضغط وتتضاءل ، وتختفي مادتها في أسرع من لمح البصر . وبالرغم من أنها تصبح غير مرئية ، أي أن حجمها يصبح أصغر ، إلا أنها تبقى هناك في مركز الثقب الأسود بكتلتها وثقلها ، ومن ثم - ومع تراكم المادة - تصبح الجاذبية لا نهائية ، ويختلط الزمان بالمكان ، وتخترق كل النظريات الفيزيائية ، وتصبح الكثافة غير محدودة . ويرى بعض العلماء أنه بعد أن تختفي المادة في الثقب الأسود ، فإنها تمر في نفق كوني ، حيث تنبثق مرة أخرى من خلال ثقب أبيض ، سواء في كوننا أو في كون آخر . □


مجلة الأسرة والمجتمع
أحواض
أسماك الزينة
متعة وتثقيف
الوصفات
الشعبية
داء .. ودواء

أحواض أسماك الزينة

جمال للبيت وأداة تثقيف ومتعة



بقلم : رجب سعد السيد

أحواض أسماك الزينة في المنازل ليست قطعة (ديكور) جميلة فقط ، لكنها تؤدي وظائف كثيرة ، فهي تمتص ارهاق اليوم الطويل وتوتره ، وهي متعة للأبناء ، ومدخل طريف يتيح لهم الاطلاع على بعض أسرار الحياة .

انتشرت هواية تربية أسماك الزينة انتشارا واسعا ، وأصبحت هذه الهواية تلقى رواجا كبيرا عند مختلف شعوب العالم ، فأنشئت المصانع العديدة لانتاج مختلف مستلزمات هذه الهواية ، وانفتحت المتاجر الضخمة لتسويق هذه المنتجات وأقيمت المعارض الاحتفالية لترويجها والاعلان عنها .

وأحواض أسماك الزينة ليست شكلا جميلا يزين البيت فحسب ، لكنها أداة ثقافية ، تدفع أفراد الأسرة إلى القراءة في مجالات عديدة متنوعة ، قد تكون جديدة بالنسبة لهم ، بل وأكثر من ذلك ، فقد يكتسب بعض أفراد الأسرة قسطاً من المهارات اليدوية لكي يتسنى لهم القيام بأعمال الصيانة والرعاية للحوض وما فيه .

أما الأطفال فإن الحوض لن يكون مصدر بهجة مستمرة لهم فقط ، لكنه أيضا معرض علمي يطلعهم على بعض أسرار الحياة ، وينمي فيهم قوة الملاحظة ، ويقوي قدرات التفكير العلمي لديهم ويمكن للحوض أيضا أن يكون عاملا مشتركا يجمع حوله كل أفراد الأسرة ، يفكرون ويتحاورون ويتبادلون الاهتمام به وبما يحتويه .

وكما يقول كثير من علماء النفس فإن مراقبة حركة المياه الجميلة في حوض الأسماك يمكن أن تكون مخففا من الاجهاد العصبي ، إذ تمتص شحنات التوتر ، وتساعد على تهيئة أفراد الأسرة على نوم طبيعي عميق .

وقبل أن يتخذ القرار بتحديد المكان الذي سيوضع فيه الحوض لا بد من دراسة عاملين مهمين ، وهما الاضاءة ، ودرجة حرارة الموقع ، فالضوء الطبيعي المباشر - ضوء الشمس - يساعد على نمو الكائنات النباتية في الحوض ، كالطحالب غير المرغوب فيها ، مثلا ، ويفضل الخبراء الاكتفاء بالاضاءة الصناعية لسهولة التحكم فيها ، ويراعى كذلك عدم تعريض الأسماك لتغيرات مفاجئة في درجة الحرارة ، فهذه التغيرات قد تؤدي إلى صدمة تقتل بعض أنواع الأسماك الحساسة أو تمرضها ، لذلك يستحب الابتعاد بالحوض عن أجهزة التكييف .

ولا بد أيضا من التأكد من أن الطاولة أو الحامل المخصص لحمل الحوض مناسب للثقل الذي سيكون عليه . ولا تستهن بوزن الحوض في شكله النهائي .

ويفضل كثير من الهواة الأحواض ذوات الزوايا الداخلية المدورة لأنها تمنع الصدأ ، مثل الكروم . ويوصي الخبراء بأن لا تقل سعة أول حوض تقتنيه الأسرة عن عشر جالونات ، ويفضل أن يكون أكبر من ذلك ، فهو لن يحتاج فقط إلى عناية أقل ، بل سوف يعطي أيضا الحرية لاختيار أكبر مجموعة من الأسماك والنباتات .

سيحاول البائع إقناعك بضرورة شراء غطاء للحوض ، وهذا حق ، لأن الغطاء المحكم يقلل من تسرب الحرارة من الماء إلى الخارج ، ويقلل أيضا من كمية المياه التي يفقدها الحوض بالتبخر ، كما أنه يمنع الأسماك من الهرب قفزا إلى خارج الحوض ، ويقلل من احتمالات العبث بمحتوياته ، ويعطي الحوض لمسة إضافية ، إذ تثبت به وسيلة الاضاءة ، وتتفق آراء الخبراء على أن مصابيح الفلورسنت (النيون) أفضل من المصباح الكهربائي العادي من عدة أوجه هي قلة استهلاك الكهرباء ، وعدم إشعاع كمية كبيرة من الحرارة ، تؤثر على النظام الحراري للحوض .

خطوات تمهيدية

أما عن أسماك الزينة فإنها تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين : أسماك المياه الاستوائية أو الحارة ، وأسماك المياه الباردة ، والمجموعة الأخيرة أسهل من الأولى في تربيتها ، لأن الأسماك الاستوائية تحتاج إلى مزيد من الجهد لتوفير درجة الحرارة المناسبة لمياه الحوض .

ستجد عددا من أنواع السخانات ، يمكنك المفاضلة فيما بينها من حيث المزايا والتكاليف ، لكنك تحتاج إلى سخان ذي منظم حراري (ترموستات) ، بالاضافة إلى ميزان حراري (ترمومتر) ، لتسجيل درجة حرارة مياه الحوض مرة في اليوم أو اكثر.

وستحتاج إلى معدات للتهوية والترشيح ، وأجهزة مضخة ، وأنابيب مرور الهواء إلى داخل الحوض ، وهي تنتهي بالقرب من قاع الحوض بقطعة من الحجارة المسامية ، تسمى (حجر الهواء) ، تنظم تدفق فقاعات الهواء في مياه الحوض . ولا يكتمل رونق الحوض إلا بعد فرش قاعه بالرمال والحصى .

وتباع في المحلات المتخصصة لأسماك الزينة أنواع عديدة من الحصى ، أفضلها ذو الحجم المتوسط ، ويفضل ذو الألوان الطبيعية ، فإن كانت صناعية .



أوجد حوض السمك في الغرفة ركناً جميلاً تقضي فيه الأسرة بعض أمسياتها .

وجب التأكد من ثبات اللون ، وخلوه من السمية . ويمكنك أن تحسب احتياجك من الرمل أو الحصى على أساس رطلين لكل « جالون » من مياه الحوض .

والنباتات ضرورية للحوض ، وقيمتها الجمالية في المرتبة الثانية بعد ما توفره للأسماك من بيئة طبيعية ، تجد فيها المأوى والظل وحماية البيض في وقت التكاثر ، هذا بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية ، وهي استهلاك ثاني أكسيد الكربون الذائب في الماء ، وإمداد الحوض بغاز الأكسجين .

حرص ومتابعة

ومعظم أسماك الزينة تعيش في المياه التي تحتوي على نسب ضئيلة من أملاح الكلوريد أو الكبريتات أو الكربونات ، وبعضها يعيش في المياه المالحة ، بينما تعيش مجموعة ثالثة في المياه القليلة الملوحة .

وإذا كانت أسماكك من بيئة المياه العذبة ، فيمكن استخدام مياه (الصنبور) بعد تركها معرّضة للهواء لمدة يومين أو ثلاثة أيام قبل صبها في الحوض ، وذلك للتخلص من الكلوريد الضار بالأسماك .

والمستحسن أن تختار أسماكك من الأنواع التي تتكيف مع ماء (الصنبور) العادي ، مع مراقبته لكي لا ينحرف في أي من الاتجاهين : الحمضي أو القلوي ، ويمكنك التأكد من ثبات تعادلية ماء الحوض باستخدام أوراق عبّاد الشمس الملونة ، فإن بقيت كما هي بعد غمسها في الماء ، فإن الحالة مطمئنة ، وإن احمرّ لونها أو ازرقّ ، فإن ذلك يعني تغير حالة الماء إلى الحمضية أو القلوية ، على

الترتيب .

وأخطر مؤشرات تلوث مياه الحوض هو زيادة نسبة أملاح النيتريت والنيترات الذائبة في الماء ، فإذا حدث ذلك فإن الأسماك تموت تماما بعد أن ينعدم إقبالها على الطعام ، وتتقلص زعانفها ، وتضطرب حركتها ، ويمكنك في هذه الحالة أن تستخدم العقاقير الخاصة المتوفرة في الأسواق ، لكن أسلم معالجة لهذه الحالة هي أن تقوم بتغيير ثلث ماء الحوض ، من حين لآخر ، مع التأكد من ثبات درجة الحرارة .

كيف تختار الأسماك ؟

إن اختيار الأسماك التي ستسكن الحوض بعد تجهيزه يحتاج إلى دراسة متأنية ، للمفاضلة بين مختلف مزاياها . فإذا توفرت في بعض الأنواع خصائص الجمال ، مع عدم الاحتياج إلى مزيد من الجهد في الرعاية كانت هي الأفضل

وبعض أنواع الأسماك لا تطيق مشاركة أنواع أخرى لها في مياه الحوض ، فهي تعيش فردية ، ولا تكف عن العراك مع غيرها ، مثل : أوداتوس ، وسياميز فايتنج ، وريد تايل بلاك شارك ، فهي أنواع مزعجة ، يستحسن أن تتجنبها ، ما لم تتوفر لها ظروف المعيشة الخاصة بها .

ولا يغب عن بالك أنك تستضيف في بيتك كائنات حية ، وهي ضيوف عزيزة لديك ، ويجب أن تقوم بواجب إكرامها على الوجه الأكمل ، فتعرف أولا حاجاتها الغذائية ، فالأسماك إما آكلات عشب (نباتية) ، أو آكلات لحوم ، أو خليط من هذا وذاك ، فالنباتية منها تحتاج إلى وجبات صغيرة متلاحقة (كل ثلاث ساعات) ، أما آكلات اللحوم فإنها تفضل الوجبات الدسمة المشبعة ، ويفضل تثبيت مكان أو مكانين في الحوض لإلقاء الطعام منها ، وذلك لإتاحة الفرصة لكل سكان الحوض لأخذ احتياجاتهم من الطعام ، ومن المفضل أيضا أن (يتنوع) الطعام ، فيكون جافا مرة ، وطريا أخرى . وكثير من أنواع الأطعمة الجافة يباع معبأ في متاجر أسماك الزينة ، وأحسن أنواعه تلك المصنعة من عدة حبوب ، أما الأطعمة الطرية فهي تشمل الطحالب والعلق البكتيرية المقطعة وسيقان النباتات وجذورها ، وبرغوث الماء ، وديدان الأرض ، ويرقات الحشرات والقشريات

وعلى أي حال ثمة بعض القواعد الأساسية التي يجب ألا تغيب عن ذهن أي هاو لأسماك الزينة :

أولا : مراقبة العوامل والمؤشرات الطبيعية والكيميائية للحوض يوميا (درجة الحرارة ، درجة الحموضة .. الخ) .

ثانيا : تنظيم عملية التغذية للاحتفاظ بالأسماك في حالة صحية جيدة .

ثالثا : مراعاة توفير الفراغ الحيوي المناسب لمعيشة كل سمكة ، فلا يزدحم الحوض بالأسماك .

رابعا : ضرورة تغيير جزء من ماء الحوض كل أسبوعين للمحافظة على صلاحيته لمعيشة الأسماك

خامسا : الكشف الدوري على الأجهزة الملحقة بالحوض (كالمضخة والمرشحات والسخان) والتأكد من كفاءة عملها

سادسا : يجب ألا تزيد قوة السخان عن 1 وات ، لكل لتر من الماء

سابعا : مراعاة النظافة العامة والتامة بالحوض ، واستبعاد أي جسم عالق بالماء قابل للتحلل .

ثامنا : القراءة المستمرة ، للتعرف على أحدث الأفكار في مجال تربية أسماك الزينة .

ألم أقل لك ، في البداية ، إن حوض أسماك الزينة في بيتك جهاز تلفزيوني ؟؟ !! □



الوصفات الشعبية

داء.. ودواء!

بقلم : ريم الكيلاني

لم تزل وصفات جداتنا وامهاتنا هي اسلوب العلاج لكثير من الامراض رغم العلم وتقدم الطب ، ورغم ما تسببه من نتائج وخيمة .

الدنيا تتغير كل يوم ، والعالم لم يعد يومه كالأمس . فالتطور السريع الحادث في مظاهر الحياة أصاب كل مناطق وطننا العربي من مدن وقرى وكفور ونجوع وبدو وحضر ، وأصبحت أدوات الحياة العصرية منتشرة في كل مناطق الوطن على السواء ، وعلى الرغم من هذا فإن ثقافتنا الاجتماعية لم يصبها نفس القدر من التطور ، فما زالت عادات وتقاليد كثيرة تتحكم فينا ، وما زالت سلوكيات كثيرة منتشرة وسائدة رغم كل الاستنارة والعلم والتقدم .

حالات وشهود

لم يزل العلاج بالوصفات الشعبية قائما حتى اليوم ، وما زالت امثالنا الشعبية تحث على سؤال المجرب في الخبرة بدلا من سؤال الطبيب وبينما يشهد العالم ثورة علمية في علم الوراثة وتتم فيه عمليات جراحية معقدة ، فما زلنا في عديد من القرى والكفور والنجوع وحتى في الأحياء الفقيرة والمتوسطة في المدن الكبرى نعالج الاسهال بماء الارز أو البطاطس المسلوقة ، ونداوي الجرح بالبن المطحون ، ونسقي أطفالنا الصغار « الخشخاش » المغلي لكي يناموا ليلا ، وكثير من الامهات ما زلن يدلكن أجسام المواليد الجدد بالملح والزيت مدة أربعين يوما لمنع التهابات الجلد أو ظهور الحبوب ، وما زال العلاج بالكي منتشرا على شريحة مناطق كثيرة وأسماء عديدة في وطننا العربي .

تقول السيدة أم غازي وعمرها قد تجاوز الخمسين : الحمد لله أنني لم أذهب للطبيب في حياتي



كلها ، ولماذا أذهب اليه وكل الامراض معروفة لي وخلال عمري الطويل رأيت كل الأمراض ؟ وأعرف كيف كان آبائي وأهلي يعالجونها قبل أن يظهر ما يسمى بالأطباء .

اما الحاجة خضرة فتقول : لماذا نذهب للطبيب وأعراض المرض واضحة امامنا ؟ فمثلا نعرف أن الذي يمكن أن يسبب ارتفاع درجة حرارة الطفل إما التهاب اللوزتين أو ظهور اسنان جديدة او حصبة وهكذا ، وكل هذه امور علاجها معلوم ومعروف ، فلماذا الطبيب ؟

أما السيدة أم حسام فتقول : الطبيب بشر مثلنا يصيب ويخطىء ، وكثير من المرضى ذهبوا الى الأطباء ولم يجدي معهم العلاج ، ولكن الوصفات الشعبية معروفة ومجربة ومأمونة الجانب .

فهل نحتاج الى مزيد من شهادات الشهود ، وآراء وأقوال افراد آخرين من المجتمع ؟ اعتقد أن في اللحظة وفي العالم المحيط بنا كثيراً من الشهود والوقائع التي تفوق غرابتها كل مقدرة للخيال .

محاولة فهم

عوامل كثيرة تقف وراء هذه المفاهيم التي نعيشها ، منها اننا مستوردون للعصرية وادواتها ، وان علاقتنا بمظاهر التقدم هي علاقة استعمال وليست معايشة وخلقاً وابتكاراً ، ونحن بالتالي نعيش العصر بعقلية وثقافة قديمة ، وليس بعقل العصر وثقافته ، ومن هذه العوامل أيضاً الظروف الاقتصادية لوطننا العربي ، والفقر وما يستتبعه من ظواهر اجتماعية .

ومن هذه العوامل ايضا أن الثقافة الاجتماعية تتغير ببطء شديد ولذا كان منطقيا أن تتغير نحو الايجابية . فيجب ان يكون للمناخ العام كله ايجابيا .

الدكتورة ليلى القزويني اخصائية امراض الاطفال بمستشفى الصباح بالكويت تقول :

الوصفات او الممارسات الشعبية موجودة في كل ارجاء المعمورة ، وهي ليست بالشيء الغريب . بل إن هذه الممارسات كانت سابقة وجود علم الطب الحديث . لقد جاء الطب اليوم ليكمل ويضيف لكثير من الوصفات الشعبية القديمة التي ابتكر منها اشياء كثيرة معتمداً في ذلك على النظريات العلمية ، والقواعد الأساسية في تركيب العقار .

ونحن كأطباء لا نرفض كل الممارسات الشعبية ، بل اننا وفي حالات كثيرة ننصحها لمرضانا من ذوي حالات البسيطة . بكميات معلومة بحيث تكون مناسبة لعمر المريض وحالته . خاصة ان قدرة الطفل على الاحتمال اقل بكثير من الشخص الكبير . فالطفل حديث الولادة حين يصاب بالاسهال لا نستطيع مداواته بعقار ما . لكننا ننصح الام بوقف عملية الارضاع الطبيعية ، بل ان هذا النوع من العلاج معروف لدى جميع الامهات . لكن على النقيض من هذا التصرف التلقائي الايجابي ، نجد أن الام غالبا ما تخفف آلام طفلها باستعمال الخشخاش . وهو نوع من الاعشاب ذات النتائج السيئة الخطيرة ، فهو الى جانب كونه مخدراً ، قد يؤثر على مركز التنفس عند الطفل كما يسبب بعض حالات الاختناق ، وقد تلجأ بعضهن لاستعمال الينسون - خاصة في الليل - باعتباره نوعاً من الاعشاب المنومة مما قد ينتج عنه اسهال شديد .



كذلك فان كثيرات يفضلن علاج القروح والجروح باستعمال المؤن المنزلية كالبن للجروح ، ومعجون الطماطم ومعجون الاسنان للحروق ، واحيانا يعالجن التهاب الجلد او الاصابة بالحساسية بالزيت والملح والحقيقة ان هذه الاستعمالات لا تشفي بقدر ما تكون مصدرا فعالا لادخال الجراثيم الى الجسم فتسبب تلوث الجروح وتقرحها .

وتضيف الدكتورة القزويني : أن بعض النساء المتقدمات في السن يعبن اللجوء للطبيب واستعمال العقاقير الجديدة . باعتبار أن الأدوية الحديثة تزيد الوفيات ولا تقلل منها .

والحقيقة أن تطور الطب والمجتمعات أعطى فرصاً لظهور امراض كثيرة والسبب في ذلك زيادة الاهتمام بصحة المولود والطفل ، ففي الماضي كان

الطفل لما اصيب بالتهاب رئوي ، او التهاب السحايا يموت فورا فلا تكون هناك فرصة اخرى ، زد على ذلك عدم الاهتمام بالرضاعة الطبيعية اليوم ، حيث يعني ذلك قلة المناعة عند الطفل .

ان الوصفة الشعبية تعالج الاعراض ولا تعالج المرض الاصلي لان الانسان العادي غير المتخصص لا يكون قادرا على الوصول لحقيقة المرض وأسبابه ، ومن ثم فان الوصفة لا تكون مجدية في كل مرة ، خاصة ان هناك تشابهاً كثيراً في اعراض بعض الامراض كالتهاب السحايا ، والالتهاب الرئوي ، والتهاب المجاري البولية ، والتهاب الاذن ، والنزلات المعوية حيث يصاحبها جميعا صداع وارتفاع في درجة الحرارة مع اسهال واستفراغ . واستعمال وصفة شعبية واحدة لهذه الاعراض يعني تمكين المرض من جسمه .

والكي كذلك نوع من انواع العلاج امتاز ، ونتيجته مضمونة شريطة استعماله بطريقة علمية سليمة . والا اصبح مصدراً لادخال الجراثيم ، اضافة الى أنه نوع من التعذيب .

اما من اصعب الحالات التي يواجهها الطبيب كل يوم فهي تلك الحالات التي تدخل المستشفى بعد عدة من الممارسات الشعبية التي جربت دون ادنى فائدة ، فهناك حالات كثيرة تم فيها كي الاطفال ، بسبب الانتفاخ الناتج عن وجود التهاب في السحايا ، لكنه لم يشف ، بل أدى ذلك لزيادة حالة المرض حتى وصل الى التهاب في الدماغ ، وربما كانت المناعة في جسم الطفل قليلة ادى ذلك الى سرعة تأثير الجراثيم داخل هذا الجسد الضعيف . كذلك فان عمليات كي سرة الظهر او كي البطن قد يؤدي لشلل او تلوث الدم . ومن اكثر الحالات المستعصية استعمال الدواء دون استشارة طبيب ، وباجتهاد شخصي من الأم كأن يكون هذا اعتقادا منها بأن هذا الدواء ذو ذاك له فائدته وفعاليته .

هذه بعض الآراء في امور ما زالت سائدة وموجودة ويمارسها الناس يوميا . بالرغم من ثقافة التطور الكبيرة في العلاجات الطبية وغيرها □

شهية متفتحة

دعي فيكتور هيجو أحد أقطاب الأدب الفرنسي مرة لتناول طعام العشاء لدى أسرة فرنسية ، تعرف عليها منذ عهد قريب . وقد راق له الطعام . فأقبل عليه بشهية . حتى أن ربة البيت لم تتمالك نفسها ، فهنأته على ذلك ، فأحرج هيجو . لكنه تخلص من هذا الاحراج قائلا في لباقة : لو أنني كنت قد تعرفت إليك من قبل يا سيدتي لتفتحت شهيتي أكثر من ذلك .



هو..

برود

لم يثر بيننا خلاف حول هذا الموضوع أبدا ، لكنني بين الحين والآخر ، وكلما دار نقاش أشعر أنه لا تروق لي ، وأسمع رأيا لا يوافقني ، إلى أن جاء مسنداً وبحثت الموضوع معه عن قصد ، محاولة أن أصل إلى ما يفكر فيه ، وأسمع رأيه كاملا .

رزقنا الله بثلاثة أبناء على مدى سنوات ، ومن علينا بسعة في الرزق ، فأنجبنا بها من طاقتين ، ولمعاونتي في أعمال البيت استأجرنا خادمين وسائقاً ، ونظرا لطبيعة عمل زوجي فقد أصبح همه إدارة شئون البيت والاشراف على الأولاد من مسئولياتي وهمومي ، ومنذ استقر الأمر على هذا وزوجي لا يتدخل في شيء إطلاقا ، فإذا تأخر الولد ، أو مرض ، أو استأذن ليخرج مع أصحابه ، أو حتى تقدما في درجاته المدرسية ، كل ذلك لا يدخل في دائرة اهتمامه . يعود أحيانا من العمل في المساء ، فأشكو إليه من تصرف الأولاد ، أو من خطأ ارتكبه أحد الخدم ، وأطلب منه أن يثور عليهم ويغضب ، ويصدر أوامر صارمة حادة ويترك لي بعد ذلك مهمة المتابعة ، لكن برودة أعصابه وعدم اهتمامه يسببان لي صدمة ، وكثيرا ما يعود وأنا في ذروة غضبي فأطلب منه التدخل وإنزال العقاب ، لكنه ينظر إلي طويلا ، ويبتسم ، ثم يقول هذه معاركك أنت فخوضيها ، فليس لدي أي استعداد لأن أخوض معاركك بالنيابة .

إلى أن عاد يوماً وقت الظهر ، وكنت لا أرى ما أمامي من الغضب ، فقد أرسلت السائق منذ الصباح إلى بيت أختي الذي لا يستغرق الطريق إليه أكثر من نصف ساعة ، لكن السائق لم يعد حتى الظهر ، وعندما حان موعد عودة الأولاد من المدرسة طلبت سيارة أجرة واضطررت للذهاب بها إلى المدرسة لاحضارهم ، وعدت والسائق لم يعد بعد ، وبعد أن رويت لزوجي ما حدث طلبت منه أن ينزل العقاب اللائق بالسائق ، إذا كان يريد لأمور البيت أن تنتظم ، وبالفعل انصبت على السائق ، وما أن رآه زوجي حتى قال بصوت هادىء : « عليك أن تطيع أوامر سيدة البيت ، وتحسن من طرق عملك » هذا كل ما قاله فقط ، وهذا كل ما تدخل به ، ولذا فقد حرصت ألا أسمع منه وأعرف رأيه ، وبرودة ، فقد يكون في اعتقاده أنه يقيم في فندق لا في بيت ، وبالتالي فهو لا يتحمل أي مسئولية .

هدى



هي .. عصا

لا تريد أن تصدق ، وتظن أنني أقصد إثارة غيظها ، وكأنني مضطر لإصابتها بأمراض ضغط الدم والأعصاب .

لظروف عملي لا أعود إلى البيت إلا وقت الظهر للغداء ، والراحة ساعة واحدة ، ثم العودة مرة أخرى إلى العمل ، ثم أعود في المساء لأراجع أوراقاً ومذكرات وتقارير سأناقشها في اليوم التالي ، وهكذا ، فأنا نصف مقيم ، ونصف متابع ، ولكنها تريد اشتراكي في مشاكلها الصغيرة على طريقة المقيم المتابع المهتم .

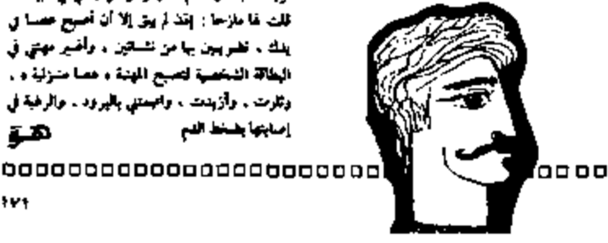
وأحاول أن أشرح لها وجهة نظري ، فأقول لها إن السلطة صنو المسؤولية ، وما دمت أنت قد تحملت المسؤولية فأنت تملكين سلطة الثواب والعقاب ، وليس جيداً في حالة أن أتدخل أنا بعقاب ما ، لأن هذا كفيل بأن يفقدك قدراً من هيبتك لدى الأبناء والخدم سواء بسواء . والجزء الأكبر لأهمية أنني كثيراً ما أكون غير حاضر هذه المشاحنات ، ولا يمكن أن ينقل إلي الاستفزاز بالعدوى ، ولا الغضب بالملامسة ، وبالتالي فإن ردود فعلي لا يمكن أن تتناسب مع الخطأ ولا تصححه .

ثم الأمر الآخر الذي حاولت كثيراً أن أقوله وهو أن العلاقات بين البشر لها قانون ، يتسع لأطرافها ، مهما كانت أطراف هذه العلاقة ، ومهما كان مستوى هذه العلاقة ، فأنا مثلاً أكثر الناس مقدرة على إدارة موظفي مكتبي وضبط عملهم ، وأدري بما يصلحهم ، فهذا يصلح بالكلمة الطيبة ، وذاك بالزجر ، وغيره بالتهديد ، وهكذا ، وليس مستحباً أبداً أن أوقع عقاباً على أحد ثم تأتي هي بعد ذلك وتلغي العقاب ، ورغم إيماني بصحة سلوك إتباع العقاب والعفو ، أو التوقف عن استمرار العقاب ، إلا أن هذا السلوك في تقديري مشروط بأن الذي يعاقب يجب أن يكون هو الذي يعفو ، لكن أن يعاقب طرف ويعفو آخر فهذا ما لا أقره بحال ، لأن الطرف المعاقب سيصبح بمثابة مصدر نكد وهم لأهل البيت ، يكرهون تواجده ، ويتحسسون عند وصوله ، لكنها تقول إن هذا ليس هدفها ، وهي لا تريد للأبناء والخدم أن يكرهوا تواجدي في البيت .

قلت لها مازحاً : إذن لم يبق إلا أن أصبح عصا في يدك ، تضربين بها من تشائين ، وأغير مهنتي في البطاقة الشخصية لتصبح المهنة « عصا منزلية » .

وثارت ، وأزبدت ، واتهمتني بالبرود ، والرغبة في إصابتها بضغط الدم

هو









الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

صَيف بلا عَناء

في اليوم الحادي والعشرين من شهر يونيو تتعامد الشمس مع خط ٢٣٫٥ شمال خط الاستواء المعروف بمدار السرطان ، وهنا فإن شمال الكرة الأرضية يحظى بالقدر الأوفر من أشعتها التي تختزن حرارتها في القشرة الأرضية فيكون هنا أعلى درجات الحرارة خلال شهري يوليو وأغسطس

بالمقابل فإن شهور الشتاء تكون سائدة في جنوب خط الاستواء من الكرة الأرضية .

يعاني الناس بحال من شهور الصيف بقدر بعده أو قربه من مدار السرطان ، غير أن الذي يحدد درجة المعاناة ثلاثة عوامل رئيسية هي :

أولا : درجة الحرارة ، فالإنسان من المخلوقات التي تتميز بدرجة حرارة جسمانية ثابتة بفضل منظم للحرارة يقع في المخ ، وهي درجة ٣٧ مئوية تقريبا ، غير أن جسمه قابل للتأقلم مع درجات متفاوتة حول درجة حرارة جسمه ، بفضل أجهزة تكييف تشكل أحد أسس تركيب جسمه ، منها الغدد العرقية ومنها أوعية الدم الجلدية .

ولعل أفضل درجة حرارة جوية يرتاح لها البدن دون إرهاق لأجهزة التكييف الذاتية تتراوح بين ١٨ إلى ٢٢ درجة مئوية ، فإذا زادت درجة الحرارة ، فإن الأوعية الدموية في الجلد تنفتح لتطلق فائض الحرارة ، هذا إلى أن الإنسان يفضل بعقله ، وبفضل طبيعة جسمه يعزف عن تناول أغذية الطاقة المنتجة للحرارة كالسكريات والدهنيات ، بل إن الطبيعة تعطيه الفرصة لتناول العديد من الفواكه والخضراوات في فصول الصيف مما لا تحمل في طياتها مخزونا كبيرا من مولدات الطاقة .

ثانيا : الرطوبة النسبية : والرطوبة النسبية تعني نسبة الماء الموجود في الهواء بالنسبة لكمية الماء التي تشبع الهواء في درجة حرارة معينة ، فإذا قلنا إن الرطوبة النسبية هي مئة في المئة ، فهذا يعني أن الهواء يحمل أكبر كمية من بخار الماء يمكن له أن يحملها وإذا كانت الرطوبة النسبية خمسين بالمئة فهذا يعني أن الهواء يحمل من بخار الماء نصف طاقته ، ومن هنا فإن نسبة الرطوبة العالية تحرم العرق الذي تفرزه

الفقد العرقية من التبخر ، وبالتالي فان عملية التبريد الذاتية بواسطة العرق تبطيء أو تتوقف ، ومن هنا تكون المعاناة في الجو مرتفع الرطوبة النسبية . وقد وجدوا أن الافضل نسبة للرطوبة يرتاح لها الجسم هي ما بين ٦٠ الى ٧٠ بالمائة ، لان الدرجات العليا من الرطوبة النسبية تسبب الجفاف للجلد ، والضيق بالنفس .

ثالثا : حركة الهواء : إن تبخر العرق من ناحية ، وتبريد الجلد من خلال التلامس لابد له من حركة الهواء الذي يتجدد ، إذ يتحرك الهواء الساخن الرطب ليحل محله هواء بارد وجاف ، ففي الأجواء ساكنة الهواء يصاب الناس بالضيق والعناء ، ومن هنا لجأ الانسان منذ القدم الى ابتكار المراوح بدءا بمراوح القش اليدوية ، وانتهاء بالمراوح الكهربائية التي تحرك الهواء فتخفف المعاناة .

من هذا المنطلق يجب التعامل مع الصيف حتى لا يجعلنا معاناة وضيقا .

طعام الصيف :

حرارة الجسم تتولد أساسا من حرق الطعام ومصدرها الرئيسي هو النشويات والسكريات المعروفة باسم الكربوهيدرات ومن الدهنيات إذ جرام الكربوهيدرات يعطي - اذا ما احترق - أربعة سعرات ، فيما يعطي جرام الدهنيات تسعة سعرات . لهذا فلابد من الاقلال ما أمكن من الأطعمة النشوية والسكرية والدهنية كما لابد من زيادة شرب الماء الذي يفرزه الجسم في هيئة العرق مختلطا بملح الطعام ، لذا ينصح الاطباء بزيادة رصيد الطعام من الملح لتعويض افراز الفقد العرقية ، والحمد لله اذ وفر لنا الخضراوات والفواكه المتنوعة في أيام الصيف .

في الصيف إذ ينصح بزيادة السوائل ينصح الاطباء بالاقلال من الطعام عامة ، والبعد عن الاسراف والتخمة .

ملابس الصيف :

يجب أن تتوفر في الملابس شروط تلائم والعوامل التي تتحكم في راحة الانسان او عنائه ، اذ لابد من الأقمشة التي توفر التهوية وتسمح للعرق أن يتبخر وطالما لا يحق التعرض المباشر للشمس بل لابد من ملابس تحمي الجلد من أشعة الشمس المباشرة . وغالبا تعتبر الملابس القطنية هي الأفضل بينما تعتبر النايلون والأكمام القصيرة لا تصلح للأجواء الخارجية المعرضة للشمس .

والأقمشة الصوفية على عكس ما يتوهم البعض منها لا تزيد حرارة الجسم بل ربما تخفضها ، ومن هنا نجد أن البدو أمام الافران يلبسون البسة صوفية لأن مسام القماش تحوي كثيرا من الهواء بين ثناياها والهواء عازل جيد للحرارة يمنعها من أن تصل الى جسم الانسان

الرياضة في الصيف :

الالعاب الرياضية عادة ما تولد الحرارة لهذا فليس كل الالعاب الرياضية صالحة لفصول الصيف لكن بعضها مثل السباحة يعتبر أفضل ما يمكن لأيام الحر واذا كانت هناك من رياضة مستحبة فالافضل ان تمارس داخل غرف مغلقة ذات تبريد مكيف .

أمراض الصيف :

ترتبط أمراض الصيف باختلال العوامل الثلاثة التي ذكرناها ، واستجابة الجسم لذلك ويمكن



مستعرض هذه الأمراض التي يمكن تلافيها بالسيطرة على العوامل التي تتحكم في قدرة الانسان على التأقلم :

أولا : الاجهاد الحراري وهي آلام عضلية حادة وشعور بالتعب والارهاق نتيجة فقد كمية كبيرة من ملح الطعام ومن الماء أثناء العرق ، خاصة في الأجواء ذات الرطوبة النسبية العالية ، حيث يفرز الانسان عرقا لا يتبخر الا القليل منه .

ثانيا : ضربة الحر : حين يعجز المركز المنظم للحرارة عن السيطرة على ميزان الصرف الحراري ، ويفقد القدرة على التفريق بين الحرارة المتولدة والمكتسبة وبين الحرارة المصروفة من وسائل التبريد الثلاثة فانه يتوقف عن العمل ، وربما يجف الجلد وترتفع درجة الحرارة ارتفاعا عاليا لان وسائل التبريد قد فقدت قدرتها على العمل حين غابت السيطرة العصبية ، هذه الحالة التي كانت تعرف باسم ضربة الشمس لا ترتبط بالشمس فقط وانما هي من تأثير الحرارة المرتفعة ، ومن هنا يجب اللجوء الى الاجواء الباردة المكيفة وعدم العمل في الأجواء والاوقات الحارة .

ثالثا : الطفح الحراري : وهو استفحال بسبب الغدد العرقية التي تطفح بالعرق ، لان فوهاتها قد سدت ولا سبيل لها لافرازها ، فيتسرب جزء من العرق تحت سطح الجلد ، ويسبب التهابا .

وربما كان الاستعمال المتكرر خير وقاية من هذه الحالة التي يحل بها الجلد بالحبيبات التي تثير الحكة والازعاج والمعاناة .

رابعا : تسمم الطعام : من المتفق عليه في جو الحرارة والرطوبة أن تسرع الميكروبات والجراثيم ، وتنمو بأكثر من جو البرودة والجفاف ، فلذا تجد هذه الميكروبات فرصتها للنمو السريع في الاطعمة غير المحفوظة ، وخاصة ما تعرض منها للحشرات ، مسببة أشكال التسمم الغذائي المختلفة ، ومن هنا كان الصيف فرصة مواتية للتسمم الغذائي ، وعليه فلا يجب اعداد كميات كبيرة من الطعام أيام الصيف ، وتحاشي الأطعمة القابلة للتسمم كالبيض والكريمات ومنتجات الحليب ، واذا ما فاض بعض منها فلابد من حفظه في الثلاجات .

الصيف يحمل حقا أسباب المعاناة ولكن لكل موسم لأسباب الوقاية ولغير المدرك لاسباب المعاناة .

طبيب الأسرة

ردود سريعة

● السيد محمد المشاوي - طرابلس - ليبيا :

اسم العقار المنتظر لعلاج الصلع هو المينوكسيديل ، سيطرح في الأسواق في القريب العاجل ، ومعه تفاصيل استعماله ، لأنه مازال قيد التجربة والاختبار .

● السيد ؛ - ع . - محرم بك - الاسكندرية - مصر :

لا شيء يمنع من الانجاب ، فتوكل على الله .

● السيد ي . خ . ع - اليمن الديمقراطي :

ربما لو استشرت طبيبا اختصاصيا في الغدد الصم لكان أفضل ، حيث أن رسالتك لا تتضمن أي تفصيل .



الخطر القادم

يبدو أننا وسط انشغالنا بقضايا كثيرة قد أصابنا الارتباك ، فلم نعد قادرين على تحديد ما هو مهم ، وما هو أهم ، وأصبحنا غارقين في كمّ من التفاصيل الصغيرة ، والخلافات ، والانقسامات ، وكلما استغرقتنا هموم الحاضر غاب عنا أفق المستقبل . ورغم أن العالم يطل على القرن الجديد بعقل جديد ، وثورات عديدة في مجالات شتى ، فإننا ما زلنا نعيش السنوات الباقية من قرننا هذا بعقلية قرن مضى ، وفي تقديري أن أخطر ما ينتقل إليه عالمنا هو هذا التحول الهائل في أمر المعرفة ، وقيمة المعلومات ، وأثر البحث العلمي ونتائجه ، وتفوق أن البحث العلمي قد أصبح واحدا من مجالات التنافس (الاستراتيجية) الكبرى ، فإن نتائج هذا البحث ، وشمول آثاره للمجتمع كله ، بنظم تعليمه ، وهياكل إنتاجه ، وشكل الإنتاج ، وكيفيته ، قد أصبحت قضية تشغل العالم القادم ، لكي يستطيع أن يواكب هذا التغيير الجذري الذي يحدث ، ولقد شهدت السنوات الماضية تراجعاً في كثير من (الكلاسيكيات) السائدة ، فلم تعد العمالة ، أي العنصر البشري ، تمثل قيمة كبيرة في العمل والصناعة ، وبدأ العالم يعرف (الأوتوماتية) ، وليس مجرد (الميكنة) ، وبدأ يشهد هذا التحول التدريجي من الصناعات ذات العمالة الكثيفة إلى الصناعات ذات المعرفة الكثيفة .

وعند هذه النقطة تتضح ملامح الخطر القادم الذي يتهددنا ، والذي سوف يحكم علينا بالتخلف سنوات أخرى طويلة ، إن لم نلحق بالركب ، فالمعرفة التقنية الحديثة تمثل الآن ٧٠٪ من قيمة إنتاج قطع (الكمبيوتر) ، مقابل ١٢٪ للعمالة ، وتمثل أيضا ٥٠٪ من قيمة إنتاج الأدوية ، مقابل ١٥٪ للعمالة ، وهكذا ، في عديد من قطاعات الإنتاج والصناعات الحيوية ، تتزايد القيمة النسبية للمعرفة ، وتتضاءل قيمة الكم البشري ، والمعرفة ليست تقنية يمتلكها الفرد ، ولا معلومة يمكن تداولها عند مستوى ما من المجتمع ، يتولى إدارة الحياة والتخطيط لها ، لكنها عقل المجتمع كله ، ونظمه ، وقوانينه ، وثقافته ، وسلوكه ، وما لم نكشف عن كثير من القضايا التي تأكل حاضرنا ، وتبعدنا عن آفاق المستقبل ، ونتنبه لهذا التحول الذي ينتقل إليه العالم ، فإن آفاق المستقبل لن تكون أبدا أفضل من حاضرنا . □

محمود عبد الوهاب



قصة مترجمة

تأليف : جيورجيو لوبيز فيونتس * / ترجمة : زهير شفيق رومية

يقع المنزل - وهو المنزل الوحيد في الوادي كله - على قمة هضبة منخفضة. من هذا الارتفاع يستطيع المرء أن يرى النهر و« الزريبة » أو بحقل القمح الناضج المنقط بأزهار اللوبياء التي كانت تعطي دوما محصولا وافرا.

هطول المطر أو بعض زخات قليلة منه كان هو الشيء الوحيد الذي تحتاجه الأرض. منذ الصباح لم يفعل (لينشو) الذي يعرف حقوله بالتفصيل شيئا سوى تفحص صفحة السماء الشمالية الشرقية.

- « الآن سنحظى فعلا يا امرأة ».

أجابت المرأة التي كانت تحضر طعام الغداء:

- « أجل، حسب مشيئة الله ».

كان الأولاد الكبار يعملون في الحقل، بينما الصغار يلعبون قرب المنزل حين دعتهم الأم جميعا.

- « تعالوا لتناول الغداء ».

أثناء تناولهم لتلك الوجبة - كما توقع لينشو تماما - بدأت قطرات ضخمة من المطر بالتساقط. وفي الشمال الشرقي كانت تبدو جبال ضخمة من السحب، وهي تتقدم، وكان الهواء نقيا لطيفا.

خرج الرجل يبحث عن شيء ما في « الزريبة »، لا لسبب، بل ليسمح لنفسه بالاستمتاع بالشعور الناتج عن انهمار المطر على جسده، وعندما رجع هتف قائلا:

« ليست تلك قطرات مطر تنهمر من السماء، إنها عملة معدنية جديدة، فالقطرات الكبيرة كأنها عشر قطع (سنتافو)، والصغيرة كأنها خمس منها » نظر بعيون الرضا إلى حقل القمح الناضج، وأزهار اللوبياء المتمايلة تحت غطاء من المطر، وفجأة بدأت تهب ريح عاصفة، تسقط معها حبات برد ضخمة جدا. وكانت الحبات فعلا تشبه عملة فضية جديدة، كما جعل الصبية يخرجون لجمع اللآلئ المتجمدة، معرضين أنفسهم للمطر. وصرخ

* الكاتب: ولد ونشأ بين هنود مكسيكو مما أتاح له النفاذ إلى تركيبة مفاهيم الهوية. كان شاعرا وصحفيا، وكاتب قصة ورواية. ربح جائزة مكسيكو الوطنية عام ١٩٣٥ عن روايته « الأنديو ».

الرجل كسير يحدث الأم :

ـ « في الواقع صار الوضع سيئا الآن ، ويمكن أن تمر العاصفة سريعا » .

ولم يتحول المطر ، بل هطل المطر والبرد مدة ساعة على البيت والحديقة ، وسطح الخشبة ، وحقل القمح ، وعلى الوادي كله . فأصبح الحقل تماما كأنه قد غطي بالثلج . ولم تبق ورقة واحدة على الشجرة ، وأتلف القمح كله ، واختفت الأزهار من نباتات اللوبياء ، وغمر الحزن روح لينشو وعندما انتهت العاصفة ، وقف وسط الحقل وخاطب أولاده : .

ـ « لو أنها كانت سحابة جراد لأبقت أكثر من هذا ، لم يترك البرد شيئا . لن نأكل القمح أو اللوبياء هذا العام » .

كانت تلك ليلة تعيسة .

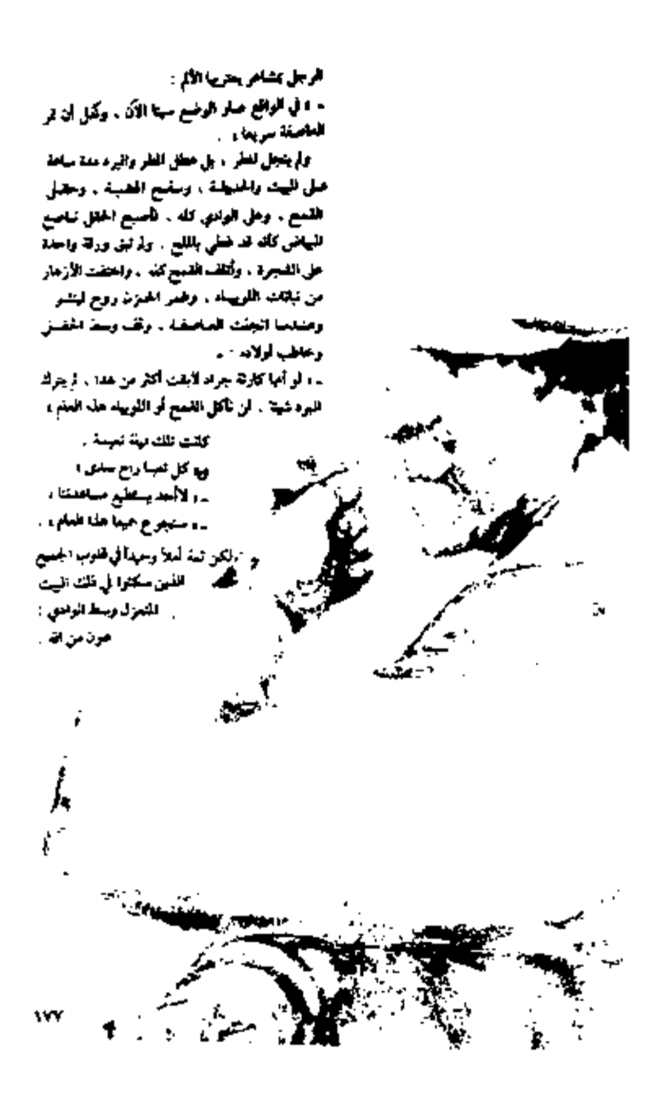
« يا لكل تعبنا راح سدى »

ـ « لا أحد يستطيع مساعدتنا » .

ـ « سنجوع جميعا هذا العام » .

ولكن ثمة أملا وحيدا في قلوب الجميع الذين سكنوا في ذلك البيت المنعزل وسط الوادي :

عون من الله .



ـ « لاتكن قلقا جدا ، حتى لو بدا هذا كخسارة اجمالية ، تذكر أن لا أحد يموت من الجوع » .

ـ « تلك مايقولونه : لا أحد يموت من الجوع » .

طوال الليل كان لينشو يفكر بأمله الوحيد وهو عون الله الذي ترى عيناه كل شيء ، حتى ماهو عالق في ضمير المرء .

كان لينشو كثور في هيئة انسان ، يعمل كحيوان في الحقول ، لكنه مازال يعرف كيف يكتب . وفي اليوم التالي عند انبلاج النهار ، وبعد أن أقنع نفسه بوجود روح حامية ، بدأ يخط رسالة سيحملها بنفسه الى المدينة ، ليضعها في البريد . ولم تكن سوى رسالة الى الله .

كتب : « يا الله . اذا لم تساعدني سأجوع مع أسرتي هذا العام ، انني بحاجة الى مائة (بيزو) ، لكي أعيد زرع الأرض من جديد ، وأعيش حتى يجيء المحصول ، لأن البرد . . » وكتب على الغلاف « الى الله » ، ووضع الرسالة داخله ، وذهب الى المدينة مرتبكا . وفي مكتب البريد وضع طابعا على الغلاف ، وأسقطه في صندوق البريد .

أحد المستخدمين الذي كان ساعي بريد ومرافقا ثم أخذها ليسرع الى مديره ضاحكا من أعماق قلبه ، ليريه الرسالة التي كتب على مغلفها الى الله . فلم يعرف أبدا خلال حياته كساعي بريد عنوانا كهذا . أما مدير البريد ـ هذا الرجل البدين اللطيف ـ فهو أيضا ينفجر مقهقها ، لكنه سرعان ماينقلب الى الجد ليطوي الرسالة ويضعها على مكتبه ويعلق قائلا :

« ياله من ايمان ، ليت لي ايمان الرجل الذي كتب هذه الرسالة ، حتى أؤمن بطريقته ، وآمل بالثقة التي يأمل بها ، فهاهو عنوان الرسالة الى الله ! » .



وحتى لايفقد الرجل ايمانه ، خطرت للمدير فكرة الاجابة على الرسالة ، لكنه عندما فتحها أدرك بوضوح أنه لكي يجيب عليها سيحتاج الى أكثر من النية الطيبة والحبر والورق ، لكنه مضى فيها عاقد العزم عليه ، فطلب نقودا من مستخدميه ، ودفع هو جزءا من راتبه ، وأرغم عددا من أصدقائه لتقديم شيء ، لأن في ذلك « عملا من أعمال الخير » .

كان مستحيلا أن يجمع مائة (بيزو) ، لكنه تمكن أن يرسل الى ذلك المزارع أكثر من نصف المائة بقليل . وضع الأوراق النقدية في ظرف معنون الى لينشو ، مع رسالة له تتضمن كلمة واحدة فقط كتوقيع وهي (الله) .

قدم لينشو في يوم الأحد التالي مبكرا أكثر من العادة ، ليسأل اذا كان ثمة رسالة له ، فسلمه ساعي البريد الرسالة بنفسه ، بينما راح المدير ينظر اليه من مدخل مكتبه ، ليجرب رضا رجل قام بعمل خير .

لم يظهر لينشو أدنى مفاجأة عند رؤية الأوراق النقدية لأنه واثق من حدوث ذلك ، لكنه أصبح غاضبا عندما عدها ، ان الله لايمكن ان يخطيء ، ولا أن ينكر على لينشو ما يطلبه .

وسرعان ماصعد لينشو الى الكوة ، وطلب ورقة وحبرا ، وعلى طاولة الكتابة العامة بدأ يخط رسالة أخرى ، وحاجباه منعقدان بشدة ، بسبب الجهد الذي كان يبذله ليعبر عن أفكاره ، وعندما انتهى ذهب الى الكوة ليشتري الطابع الذي لعقه بلسانه ثم ثبته على الغلاف بضغطة من أصبعه .

وفي اللحظة التي أسقط فيها الرسالة في صندوق البريد أسرع المدير وفتحها فوجد المزارع قد كتب فيها :

« يا الله ، بالنسبة للنقود التي طلبتها لم يصلني منها سوى سبعين بيزو ، أرسل الباقي ، لأنني بأمس الحاجة اليه ، لكن لاتبعثهم بالبريد ، لأن موظفيه ليسوا أكثر من مجموعة من اللصوص . لينشو » . □

حديث الشباب

شعر : عبدالعليم القباني



يامن عجبتَ لشيبتي وأنا الذي
أنفقتُ كلَّ مشاعري حتى الصِّبا

خذلتني فتركتُ عمري كلَّه
وتبعتُ للأمل البعيد مداعبا

وعرفتُ ما قدْ كانَ لوْ غيري كالتي
لم تُبقِ ثَمَّ مشارقا ومغاربا

حتى تركتُ دمي وقدْ أتعبتُه
حبّا تفجّر في عروقي لاهبا

ورجعتُ أنسجُ في الخيال رؤى المنى
حتى لبستُ من الشباب جلاببا

وأبيتني ورأيتُ أحلامَ الصِّبا
كالأمس ثَمَّ دوافعا وجوانبا

* * *

قل للذي راعَ المشيبُ شبابَه
فيم الحياةُ إذا انزويتَ مجانبا ؟

ياما ظننتُ الشيب يمنعُ حاملي
أن يستجيبَ ، لكان ظنّي كاذبا

أقبلْ على الدنيا بقلبٍ ضاحكٍ
تلقَ الذي ضيّعتَ منها آيبا

هذي العيونُ الواسعاتُ دلالُها
لم يُبقِ للشيب الموقّر جانبا

فلتجعلْ حياتك رحلةً في ظلّها
تلقَ الذي قد كان منها غائبا





بقلم: محمد خليفة التونسي

إعراب المقصور

يقسم النحاة الاسم (والصفة) - بالنظر إلى حرفه الأخير - أربعة أقسام: منقوص ومقصور وممدود وصحيح.

المنقوص - عندهم - هو الاسم المُعْرَب الذي آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها مثل: القاضي والجواري، وقد سمي منقوصا لنقص حرفه الأخير (الياء) لفظا لا كتابة في بعض التراكيب فيقال: هذا قاض، وهؤلاء جوار، ويدخلون في هذا النوع ما أشبهه إذا كان منتهيا بهمزة عند حذفها مثل: المرجيء والمستهزيء وشاطيء وشواطيء، فيقال فيها مُرجٍ ومُستهزٍ، وشاطٍ وشواطٍ، ولا تظهر على آخره إلا الفتحة حين يكون منصوبا، ولا تظهر عليه الضمة في الرفع أو الكسرة في الجر أو الخفض لثقلها إلا لضرورة شعرية.

والمقصور عندهم هو الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة (ولا بد من فتح ما قبلها) مثل: هدى وذكرى، ومستشفى، وسمي مقصورا لقصر النطق بألفه أو انحباس الصوت معها. ومن المتعذر أو المستحيل أن تظهر على آخره حركة من ضمة أو فتحة أو كسرة.

والممدود وهو الاسم المعرب الذي آخره ألف زائدة بعدها همزة، مثل سماء، وصحراء وأبناء وسمي ممدودا لامتداد النطق بألفه أو امتداد الصوت إذا وقف عليها ظهرت معها همزة في النطق، والفرق بين ألف المقصور وألف الممدود صوتيا فرق في الحكم وإن كانتا متماثلتين أصلا، وتظهر على الممدود كل الحركات: الضمة والفتحة والكسرة، وقد يمد المقصور، ويقصر الممدود.

والصحيح هو الاسم المعرب الذي ليس بمنقوص ولا مقصور ولا ممدود، مثل: جسر وكتف وسبأ وتظهر عليه الحركات الثلاث كالممدود.

وفي صفحة لغوية سابقة (العربي العدد ٣٢٥، ديسمبر سنة ١٩٨٥) تناولنا رأي النحاة في المنقوص، ووضحنا ما فيه من مآخذ. وخلاصة ما انتهينا إليه أنه قد لا يكون ناقصا بل مستقلا ويكون معربا وبحذفها يكون مبنيا في حالة الرفع والجر أو الخفض

غالبا ، ولا تظهر عليه الا حركة الفتحة عند نصبه فيكون حينئذ معربا .

وقد تدعو ضرورة الشعر إلى عدم اظهار الفتحة عند نصبه .

والبناء في المقصور لوضوح قصره بالتزام حالة واحدة كيف كان موقعه من الاعراب وهذا هو البناء . ونعرض هنا لتعريف النحاة إياه فنشير الى انه قد لايكون اسما مثل : سعى ومرمى بل يكون صفة ، مثل : الأولى والصغرى ويكون مفردا كما في الامثلة هنا ، أو جمعا مثل ، الربى والدمى والعلى ، ولالتزام آخره حالة واحدة يكون اعرابه بحركات مقدرة على الألف تمحلا وتعقيدا لامسوغ له ولا مبرر ، ولانزيد على انه عصبية تسربت الى أوهام النحاة لولعهم بالاعراب ، كما توهم الاسلاف الاقدمون في مجموعات النجوم وعدوا من بينها الدب القطبي والمرأة المسلسلة وبنات نعش ، وعدوا البروج اثنى عشر ، منها الجدي والسنبلة والسرطان والدلو والحوت، ولئن كانت هذه التسميات قد أفادت ولم تزل مستعملة ومفيدة ، فلا فائدة من الاعراب التقديري على المقصور والمنقوص وغيرهما إلا تصعيب النحو على المتعلم ولاسيما الناشيء ، وهو لا يُسهّل نطقا ولا فهما في الكلام بل يضيف صعوبة الى صعوبات أخرى في النحو وهي كثيرة

ان الحركات على آخر الكلمات ليست الا قرينة واحدة من القرائن التي تبين وظيفة الكلمة في الجملة . وبأمثال هذه القرائن بين كلمات الجملة نستدل على وظيفة الكلمة في موقعها من الجملة ومن سائر الجمل دون حاجة الى حركة اعرابية بل من أمثال هذه القرائن نعطي آخر الكلمة حقه من الحركة في الاعراب . ان كان مما تظهر عليه الحركة لا العكس . ولهذا يصيب النحاة حين يقولون « ان الاعراب فرع المعنى » فالحركة تتبع المعنى لا العكس .

وليس معنى هذا ان نستغني عن الحركات في لغتنا الفصيحة فالحركات فيها من أقوى خصائصها لاقتدارها اقتدار اللغة نفسها ، والحركات من مزاياها التي تمكننا احيانا كثيرة من ترتيب الكلمات في الجملة تقديما وتأخيرا كما يقتضي المعنى ، فتكون عونا على الأداء الدقيق المناسب لهذا المعنى دون ادنى التباس بغيره . ولكن هذا شيء وافتراض الحركة حيث لاتوجد شيء آخر . وهذا هو الوهم الذي نتوخى الخلاص منه لأنه لايفيد شيئا ، ثم هو يصعب اللغة على طلابها ولا سيما الناشئة .

ولننظر مثلا إلى اعراب كلمة « موسى » في هذه الجملة على طريقة متأخري النحاة المتحذلقة - « أصدقُ بثينة موسى » فكلمة موسى عندهم مجرورة بفتحة مقدرة على الألف نيابة عن الكسرة المقدرة على الألف لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة . » أفليس الأولى أن نقول في الاعراب . موسى مضاف اليه مبني ؟ وان شئنا قلنا انه في محل جر .

شبه المقصور والمنقوص

وتكثر في لغتنا الاسماء (والصفات) المقصورة والمنقوصة ، ولكنّ هناك نوع من الاسماء ليس من صميم لغتنا وقد كثر تداوله في اللغات الاخرى وهو الاسم الذي ينتهي بواو قبلها ضمة وكانوا يمثلون لها بكلمتي « سمندو ، وقمندو » ولكن لو تتبعنا امثلتها اليوم لوجدناها عندنا بالعشرات بل بالمئات مثل : اذكو وادلو ، ومثل عرفو ، ومثل : بنشو وتيتو ، وشورو ، ومثل الاسماء المصغرة للتدليل : زوزو ، وتوتو ولولو ، ومثل هذه الاسماء يجب اعتبارها مبنية . وكذلك الاسماء الاجنبية المشاكلة للمنقوص مثل : بيجي ، وكاني ، وموسوليني ، وكرابسكي ، ونضيف اليها الاسماء العربية التي نقلناها عن التركية مثل : شوقي ومشقي وصبري وحقي وشكري ، فالأفضل عدها مبنية وأن لا نحرك آخرها بالفتحة وان وقعت منصوبة . فهذا أيسر نطقا واعرابا وأحفظ لبنية الكلمة . □





هكذا غنى الآباء

لمعروف الرصافي

معروف (بن عبد الغني) الرصافي (١٨٧٧ - ١٩٤٥م) يعد هو وزميله جميل صدقي الزهاوي أشهر شعراء العراق في الجيل الماضي . عاشا في بغداد وكان بينها تنافس يخفى حينا ، ويظهر حينا . ولد في الرصافة (أحد شطري بغداد) فنسب اليها ، وفيها نشأ وتعلم . وكان تلميذا مدى عشر سنوات لنابغة علمائها محمود شكري الآلوسي في العلوم العربية والدينية . ثم صار معلما ومفتشا في مدارسها ، ورحل الى مصر وأقطار الشام وتركيا . وانتخب نائبا في مجلس المبعوثان العثماني (البرلمان التركي) ثم نائبا في مجلس النواب العراقي عدة مرات . وفي سنة ١٩٤١ خلال الحرب العالمية الثانية شارك في ثورة العراق ضد الاحتلال الانجليزي بخطبه وأناشيده . فلما فشلت الثورة اعتزل في بيت متواضع بحي الأعظمية (نسبة للامام الأعظم أبي حنيفة حيث مشهده ومسجده) ببغداد . وبقي في عزلته ليعيش في ضنك حتى وفاته . وقد تولى جهازه ودفنه أحد أعيان بغداد ، وقبره في مقابر الاعظمية كسائر ما حوله من قبور العامة . وبعد نحو عشرين سنة أقيم له تمثال في أحد ساحات بغداد

ألف عدة كتب في اللغة والادب . وقد ألف بعض مريديه العراقيين عدة كتب في أدبه وحياته . وكلها مطبوعة . وله ديوان كبير (طبع أكثر من مرة) في موضوعات قومية ووطنية واجتماعية . وكان من دعاة الحرية والتجديد في الادب والاجتماع .

وقصيدته هنا أهداها الى مغنيتنا الكبيرة أم كلثوم حين غنت في بغداد سنة ١٩٣٢ كما قدم اليها أمثالها بعدد كبير من شعراء بغداد

أمُّ كلثومَ في فنون الأغاني   أمةٌ وحدها بهذا الزمان
هي في الشرق وحدها ربةُ الفن   فما إنْ للفن ربٌّ ثان
ذاع من صوتها لها اليوم صيتٌ   عمَّ كلَّ الأمصار والبلدان
ما تغنَّت إلا وقد سحرتنا   بافتتانٍ لها، وأيِّ افتتان
في الأغاني تُمثِّل الحبَّ تمثيـ   ـلا صريحا بصوتها الفتّان
يتجلَّى في لحنها مشهدُ الحبِّ   وألوانُ الوصال والهجران
فتريك المحبَّ عند التلاقي   وتريك المحبَّ عند التداني
وتريك الحبيبَ عند الفراق   وتريك الحبيب عند اقتران
كلُّ هذا في صوتها يتجلَّى   من خلال الأنغام والألحان
صفحاتٍ من الغرام تراها   ظاهراتٍ في صوتها للعيان
تُنشِدُ الشعر في الغناء، فتأتي   بلحونٍ مطابقات المعاني
فإذا أنشدتْ عن الوصل أبدتْ   فيه لحنَ السرور والجذلان
وإذا أنشدتْ عن الهجر جاءت   بلحونٍ تدعو إلى الأحزان
كم سمعنا كلامَ السرور بلحنٍ،   وبلحنٍ كلاما من الأشجان
نفهمُ الروحُ منطقَ الحبِّ مما   تتغنَّى به، بلا ترجمان
فكأنَّ الأنغام في الصوت منها   ناطقاتٌ لنا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا   كيف فعلُ الغناء في الإنسان
حُسنُ صوتٍ يزينه حُسنُ لحنٍ   فيه للسامعين حُسنُ بيان
نبراتٌ في صوتها مُشجياتٌ   تتركُ السامعين في هيمان
تسترقُّ القلوبَ منا بصوتٍ   تجدُ الحسنَ منه بالآذان
كلُّ لحنٍ إذا سمعناه منها   هبَّ فينا دبيبُ بنت الحان[1]
في وقار الحليم يجعلنا طو   را، وطورا في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها   وترى لذةً لنا في التفاني
وترانا نهتزُّ حين تُغنّي   فكأنا في حالة الطيران
وكأنَّ الأرواح إذ تتعالى   طربا، خرجتْ من الأبدان
حتى في مرتقى الأغاريد تعلو   حين تشدو ونحن في خطران
يشعر المرء حين يُصغي إليها   بغرامٍ من صوتها وحنان
بنتُ فنٍّ غنَّت لنا فسقتنا   من فنون الغناء بنت دنان[2]
هكذا فلتكنْ بذا الفن مُغنيا   هكذا فلتكن على الفنّان

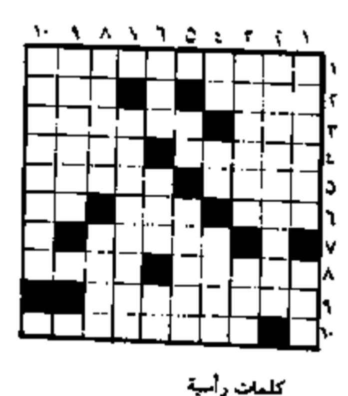
---

(١) بنت الحان: الخمر، والحان: موضع شرابها

(٢) بنت الدنان: الخمر، والدنان: جمع دن، وهو: الوعاء الذي تخزن فيه الخمر



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



كلمات أفقية

١ - صاحب نظرية النشوء والارتقاء
٢ - مادة ضرورية ، بطريق الجو
٣ - أعلى الشيء ، مستطر مبعثرا
٤ - ابليس مبعثرة ، تجدها في قيراط
٥ - خيط الشيء ، زلزال مبعثرة
٦ - جاهدت بالخير ، نسمع ، حرف نداء
٧ - تفاخر
٨ - الاسم الأول لرحالة ايطالي مشهور ، منسوب للأرض .
٩ - مؤلف وفيلسوف ومؤرخ وسياسي تونسي
١٠ - من ألقاب الأكاسرة

كلمات رأسية

١ - بطلة أقاصيص ألف ليلة وليلة ، اضطرب
٢ - أداة اخترعها الفلكيون العرب تعرف أيضا بآلة النجوم .
٣ - وصف للجبال ، أمام النظر
٤ - حرف نفي وجزم ، أرض مبتورة ، حطك مبعثرة
٥ - سقي ، إله النور والجمال عند اليونان
٦ - كثير الطعن والتهجم ، أداة شرط ، خشف مقلوبة
٧ - رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بين (١٩٥٣ - ١٩٦١م)
٨ - سفرجل مبعثرة ، ينظر متأملا
٩ - معركة كبرى انهزم فيها نابليون بونابرت
١٠ - مدينة يابانية نكبت في الحرب الكونية الثانية

حل مسابقة العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧



كتاب الشهر

تأليف: جيمس آدمز/ عرض ونقد : رافع عبد الرحمن





الثائر إرهابي في نظر عدوه ، وهكذا ، فبينما يعتبر كثيرون ثورة الشعب الفلسطيني حركة مشروعة للتحرر الوطني يراها أعداؤها حركة إرهابية .

مؤلف هذا الكتاب الذي يتبنى وجهة النظر المعادية لا يتوقف ليناقش تهمة الارهاب التي تلصقها « اسرائيل » وأمريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بل يأخذها كمسلمة بديهية ، ويمضي للبحث عن مصادر تمويل المنظمة التي يقرنها بعدد من المنظمات الارهابية الأخرى .

من أجل إيجاد تعريف الإرهاب والإرهابيين يختار المؤلف تعريفا واحدا ، يورد نصه في مدخل الكتاب ، ليناقشه شكليا ، ويضع تعريفا أكثر تحديدا منه .

فأي تعريف يختار ؟

هل يختار تعريفا يربط الإرهاب بانتهاك حقوق الانسان ، واختصاصه بالعنف ؟ هل يختار تعريفا يميز بين الإرهاب والنضال المشروع الذي تخوضه الشعوب المقهورة ضد المستبدين بها ومستغليها ؟

إنه لا يفعل ذلك ، فهو لا ينتمي الى شعب من هذه الشعوب ، ولا تهمه قضاياها ، ولا يهمه من حقوق الانسان إلا حق اليهود في الهجرة من الاتحاد السوفيتي ، وبعض الحقوق الشكلية الأخرى ، لذا يختار تعريفا يناسب كل هذه المنطلقات ، إنه تعريف المخابرات المركزية الأمريكية للإرهاب الذي تبنته وزارة الخارجية الأمريكية فيما بعد . يقول التعريف : الإرهاب هو التهديد باستخدام العنف ، من أجل أغراض سياسية ، من قبل أفراد أو جماعات ، سواء كانوا يعملون من أجل سلطة حكومية قائمة أو ضدها ، فعندما يكون القصد من هذه الأعمال زعزعة مجموعة مستهدفة تتجاوز الضحايا الفعليين ، أو ضربها أو إرهابها .

ويشمل الإرهاب مجموعات تسعى الى قلب نظم حكم معينة ، أو إزالة ظلم واقع على أمة ، أو مجموعة ، أو الإخلال بالنظام الدولي كغاية في حد ذاتها .

ونحن نلاحظ هنا أن صيغة التعريف واسعة تماما ، بحيث تجعل كل من يستعمل العنف إرهابيا ، لكن المؤلف لا يهدف من وراء ذلك الى إبعاد تهمة الإرهاب عن الشعوب المضطهدة التي تستخدم العنف لرفع الاضطهاد عنها ، بل يسعى الى اخراج القوى التي تدعمها وكالة المخابرات المركزية من الصف الإرهابي . فالمؤلف في بحثه عن تعريف « أضيق » ملكي أكثر من الملك .

تعريف آدمز وحقائق الكون

ويقدم آدمز تعريفه : « الإرهابي فرد ، أو عضو في جماعة ، تريد تحقيق أهداف سياسية ، مستخدمة وسائل عنيفة غالبا ، تلحق إصابات بالمدنيين الأبرياء ، تؤيدها أقلية فقط من الشعب الذي تدعي تمثيله » واستنادا الى تعريفه هو يقوم المؤلف بحركة تقتصها الرصانة بإخراج من يريده من دائرة الإرهاب ، وإدخال من يريد ، فيخرج معارضي النظام الأفغاني ، ومعارضي نظام نيكاراجوا ، ويبقي من التعريف ما يتسع لمنظمة التحرير الفلسطينية التي يضعها جنبا الى جنب مع الألوية الحمراء والجيش الجمهوري الايرلندي .

فكيف أدخل المؤلف منظمة التحرير في الثوب الذي أعده لها مسبقا ؟ لقد شوه ببساطة صورة المنظمة ، ولنقرأ ما يقول عن المنظمة والألوية الحمراء ، وقد ترنيا معا : « إن جذور مثل هاتين الجماعتين الإرهابيتين تكمن في الاستياء الاجتماعي لدى أقلية من السكان التي تفشل في الوصول الى التعبير من خلال القنوات الديمقراطية العادية » : إنه بذلك لا يشوه المنظمة فحسب ، بل يشوه مجمل القضية الفلسطينية التي يعرف القارىء العربي حقيقتها ، ثم يزعم أن المنظمة لم تنجح قط في كسب « التأييد الشعبي من الفلسطينيين في « اسرائيل » والضفة الغربية ، حيث تعيش الغالبية العظمى من الفلسطينيين .

ومن الحقائق الموضوعية التي لا تخضع للاجتهادات واختلاف وجهات النظر أن غالبية أبناء فلسطين يعيشون خارجها ، وليس داخلها . كما أن تأييد أبناء فلسطين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة لمنظمة التحرير واضح لكل من يريد أن يرى الواقع كما هو . والتأييد الشامل الذي يعترف به العالم أجمع إلا أمريكا و « إسرائيل » يتجسد يوميا في التصدي للمؤامرات التي تستهدف عقد الصفقات بالقفز عن المنظمة أو النيل من انفراد المنظمة بتمثيل الشعب الفلسطيني .

لكن المؤلف لا يرى إلا ما يريد . وقد أعد تعريفه مسبقا للإرهاب . وعلى المنظمة أن تدخل ضمن هذا التعريف ، حتى لو تناقض تعريفه المذكور مع حقائق الكون .

إرهاب الدولة

تحت هذا العنوان يخصص المؤلف الجزء الأول من الكتاب ليتناول دور بعض الدول في دعم الإرهاب . وقد لاحظنا أن تعريفه للإرهاب لا يشمل إرهاب الدولة . والعنوان يستدعي إلى ذهن القارىء ممارسات الولايات المتحدة في كثير من أنحاء العالم . وممارسات « إسرائيل » ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية . وممارسات النظام العنصري في جنوب افريقيا الخ . لكننا لن نجد في هذا الفصل شيئا مما يخطر ببالنا . فلسان حال المؤلف يقول : (من كان ضدنا فهو الإرهابي . ومن كان معنا فهو ضد الإرهاب) . وهكذا نجد أنفسنا أمام أحاديث عن بلغاريا ، وارتباطها بالحركات الإرهابية في أوروبا والشرق الأوسط . وعن الأسلحة التي وصلت إلى منظمة التحرير الفلسطينية عن طريقها . وعن دور كوبا في دعم الثورات في مختلف أنحاء العالم . وبعد أن يفرغ من كل ذلك دون أن ينسى ربط كل ذلك بموقف الدول الاشتراكية يتناول دور الولايات المتحدة في مواجهة الإرهاب . وحتى الأخص منذ جاءت إدارة ريغان إلى السلطة) ويشير إلى دعم الولايات المتحدة حرب العصابات في ليبيا ، وأفغانستان ، وإيران ونيكاراغوا وكمبوديا وتشاد . فيتطلع آخر جهة يربط المؤلف والقارىء الباحث عن الإرهاب الحقيقي ، باحث عن تعريفه

وفي الفصل الثاني من الجزء الأول يستعرض المؤلف تطورات القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ كما يراها بمنظاره . لفهم تطور الحركات الإرهابية التي تعمل تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية . وينطلق من حقيقة وجود جماعات فلسطينية لا وزن لها في الساحة الفلسطينية ليزعم أن كل دولة رئيسية في الشرق الأوسط لها جماعتها الإرهابية الخاصة في منظمة التحرير ، ثم يصف المنظمة بأنها مؤسسة متعددة الجنسيات

وفي الفصل الثالث من الجزء الأول يقرر المؤلف أن المنظمة استفادت من الارتفاع الفاحش لعائدات النفط . هذا الارتفاع الذي أسهم في تكريس الإرهاب ، كسمة قائمة في السياسة الدولية . ثم يشير إلى استمرار المنظمة في الاعتماد المتزايد على مصادرها المالية الخاصة في السنوات الأخيرة ، بعد انخفاض المساعدات العربية التي تتلقاها .

ويخلص إلى أن « إرهابيي اليوم » قد علموا أن الدعم الذي يتلقونه من الحكومة لا يركن إليه ، وأن عليهم أن يؤسسوا مصادر تمويلهم الخاصة . للمحافظة على بقائهم . مشيرا إلى أن منظمة التحرير كانت في المقدمة على هذا الطريق .

رأس المال المجرم

في الجزء الثاني من الكتاب ، المخصص لتناول المنظمة يلقي الكاتب الضوء على مؤسسة « صامد » ، في سياق إبرازه لتطوير « بنية أساسية » للمنظمة ، وسعيها إلى الاعتماد على مصادر تمويل خاصة . ثم يفيض في الحديث عن منظمة « أيلول الأسود » ، وينتهي إلى حقيقة يعتبرها مهمة . وهي أن « صامد » و



« أيلول الأسود » أنشئا في نفس الفترة ، وينسى أن « صامد » مؤسسة خيرية ، تساعد أبناء الشهداء الفلسطينيين ، وتسهم في المحافظة على التراث الفلسطيني أمام محاولات تشويه ، لكن هذا لا يضير المؤلف كثيرا ، فيضع « صامد » و « أيلول الأسود » بنفس السلة ، تحت عنوان استفزازي هو (رأس المال المجرم) ، ويبالغ أمرز في تشويه صورة المنظمة ، فالفدائيون يلتحقون بالمنظمات طمعا في المال ، والمنظمات تتنافس في إغرائهم ، « كأن للولاء سعره » ، بل « تسرق كل منها صيد الأخرى » ، ومنظمة التحرير وحزب الكتائب في كتاب أمرز يقومان معا بالسطو على البنك البريطاني للشرق الأوسط عام ١٩٧٦ .

وفي نهاية هذا الجزء يشير أمرز الى أن « اسرائيل » ارتكبت خطأ لسنين حين اعتقدت أن بإمكانها حل مشكلتها الأمنية بإخراج المنظمة من لبنان ، إذ لم تدرك مدى التطور الذي حققته المنظمة خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية ، وهو يقصد مصادر التمويل الخاصة التي نجحت المنظمة في تأسيسها ، ويرسم أمرز صورة للصندوق الفلسطيني ، واستثمارات المنظمة التي توفر لها دخلا مضمونا ، مشيرا الى أنه « مع نمو ثرواتها تراجع الإرهاب ، وتم الاعتماد على القوة العسكرية ، فقرار بسيط بشن هجوم إرهابي في الشمس أصبح في غاية التعقيد .

والمؤلف هنا يتجاهل العقبات الكبيرة التي تعترض العمل المسلح الفلسطيني ضد « اسرائيل » ، ويتناسى أن هذه العقبات راجعة الى تعقد الأوضاع الفلسطينية والعربية ، وليس الى الثروة التي أحالت العمل المسلح .

ويبالغ المؤلف في تضخيم حجم استثمارات المنظمة ، ليجعلها تغطي الكرة الأرضية من نيكاراجوا غربا الى اليابان شرقا ، وتشمل أسواق المال العالمية ، وأسواق التجارة ، والنقل الجوي في أوروبا الغربية ، وعددا من دول العالم الثالث . وفي النهاية يدعو الى تناول هذه الصورة كدراسة حالة ، لبيان احتمالات المواجهة التقليدية للإرهاب .

وكان جديرا بإنجازات المنظمة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها أن تشكل صورة ، تعكس الوجه الحقيقي لنضال الشعب الفلسطيني ومنظمته ، وتميز بوضوح بين التمرد الأعرق من الحركات الإرهابية من جهة والنضال الحتمي المعبر عن حركة شعب ، لحقت به أبشع أشكال الظلم والقهر الذي يتناسب مع الجماعات تتشكل في نسيج التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، لكن كيف للكاتب يشهر تعريفه العجيب في وجه القارئ منذ البداية أن يدرك ذلك ، أو يفكر في الالتفات اليه ؟

يستعرض الكاتب في الجزء الثالث نشأة الجيش الجمهوري الايرلندي عام ١٩٥٦ ، بشكله المعروف ، نتيجة للتفرقة التي يتعرض لها (الكاثوليك) على أيدي (البروتستانت) في ايرلندا الشمالية ، وانشقاقه عام ١٩٦٩ ، ثم يستعرض الدور الذي قامت به منظمة « نوريد » في دعم الجيش بالمال والسلاح ، قبل أن تتعاون الولايات المتحدة مع بريطانيا في قطع هذه القناة التمويلية .

والمؤلف - كالعادة - لا يتطرق الى الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء حركة الجيش الجمهوري الايرلندي ، باعتباره نتيجة لظلم تاريخي ، واقع على

ملبا الشعب ، منذ زمن طويل ، وذلك بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف على مشروعية الأسلوب ، لكنه في محاولة للظهور بمظهر الكاتب الموضوعي الأمين يشير الى التضحية بالذات والإضراب عن الطعام في السجون ، كصور تدعو الى احترام رجال الجيش الجمهوري الايرلندي ، وإشارة كهذه لم يكن ممكنا منحها لرجال منظمة التحرير الذين رغم الكاتب أنهم لم يحسنوا استخدام الأسلحة التي كانت بحوزتهم عندما غزت « اسرائيل » لبنان .

الخطف والفدية

تحت هذا العنوان يتناول المؤلف ممارسات الألوية الحمراء ، حيث ان « الخطف من أجل الفدية يبقى الطريقة المفضلة لدى الألوية الحمراء » لزيادة ماليتها ، كما يشير الى دور الجيش الجمهوري الايرلندي ، ويقول إن عمليات خطف من أجل الحصول على فدية نفذت في ثلاث وسبعين دولة منذ عام ١٩٦٨ ، وحصل الخاطفون على ثلاثمائة وخمسين مليون دولار بهذه الطريقة ، منها أكثر من مائة وخمسين مليونا دفعتها شركات أمريكية ، ويتطرق الى استفادة شركات التأمين من قيام كثير من المؤسسات بالتأمين على الضحايا المحتملين للاختطاف من كبار موظفيها ، ويشير الى دور المفاوضين الذين يساومون الخاطفين لإخلاء سبيل الضحايا مقابل الفدية ، مؤكدا الضرر الذي يلحقونه بمكافحة هذا النوع من الإرهاب .

الربح والخسارة

يضع المؤلف في النهاية خلاصة ما توصل اليه ، فيشير الى أن منظمات إرهابية عديدة قد ظهرت في الستينات والسبعينات ، وقد تلاشت ، بينما نمت منظمات أخرى ، واستمرت ، وفي تعليله لاستمرار الأخيرة يقول : السبب هو أنهم كانوا رأسماليين أفضل .

● تمويل الارهاب .

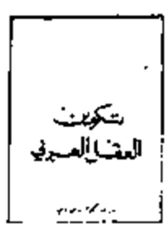
ويقول آدمز : « آن الأوان لتدرك الحكومات الغربية أنه لا يوجد حل سريع وسهل لمشكلة الارهاب» ، ويدعو تلك الحكومات الى التضحية بالكسب قصير المدى الذي يجتز لأغراضا سياسية لصالح تحقيق فوائد بعيدة المدى ، عن طريق تقويض القاعدة الاقتصادية للإرهاب الدولي ، ويدعو الى بذل الجهود في تعقب مصادر التمويل ، والحسابات المصرفية (البنكية) ، والاستثمارات الخاصة بالجماعات الإرهابية ، بدل التركيز على مكافحة الإرهابيين الذين يقومون بعمليات التفجير والاغتيال . ومن أقواله في هذا المجال قوله : « مادامت « اسرائيل » تصر على قياس نجاحها بعدد إرهابيِّ منظمة التحرير الفلسطينية الذين تستطيع قتلهم ، فإن المنظمة تستمر في النمو ثروة وقوة » .

إن ضيق الأفق هو الذي يجعل آدمز يرى في المال المحرك الأساسي ، والعامل الذي يضمن الاستمرار ، لحركة تحرر وطني ، فاقاعدة سياسية ، واجتماعية واسعة جدا ، كمنظمة التحرير ، وتاريخها يثبت أنها وجهت الى العدو ضربات موجعة ، وخاضت معارك كثيرة ، خرجت منها أقوى مما كانت في وقت لم تكن تملك فيه أموالا تذكر ، ألم يقل آدمز نفسه إن « الإرهاب » والاعتماد على القوة العسكرية قد تراجع مع نمو ثروة المنظمة ؟

إن منظمة التحرير ليست مثل تلك الجماعات التي يقارنها بها آدمز ، كمنظمة (بادر ماينهوف) ، والجيش الأحمر الياباني ، إن العنف الذي تمارسه منظمة التحرير يعبر عن حركة شعب شرد في المخيمات والمنافي ، واقتلع من أرضه ، بينما خضع من بقي منه في أرضه لظلم لا يحتمل ، لذلك فهو عنف له ضرورته التاريخية ، وهو يحظى بتأييد الشعوب العربية ، وعشرات من دول العالم وشعوبه . لكن كيف يمكن لكاتب منحاز مسبقا ضد كل ما هو مشروع أن يرى كل هذه الحقائق ؟ ! □

من المكتبة العربية





تأليف : الدكتور محمد عابد الجابري
عرض وتعليق : جمال وردة

إن نقد العقل الصانع للفكر جزء أساسي وأولي من كل مشروع حضاري نهضوي . لكن هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض ، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لأدواته ومفاهيمه وتصوراته ورؤاه ؟

عن جماعة الدراسات العربية للتاريخ والمجتمع وطرحا - الكويت - صدرت هذه الدراسة العلمية للدكتور محمد عابد الجابري ، طارحة منهجا علميا جديدا في تناول التاريخ العربي ، وكشف المقومات الأساسية للمجتمع العربي الإسلامي ، وذلك من أجل إيضاح الرؤية المستقبلية لهذا المجتمع ، أمام التحولات الجذرية التي تجري بتسارع ملحوظ في بنياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

الثالوث العقلي

يبدأ الدكتور الجابري بتعريف للعقل العربي على أنه مجمل المبادئ والقواعد التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة الإنسانية ، مع ضرورة التمييز - في نفس الوقت - بين العقل العربي والعقل اليوناني والعقل الأوروبي الحديث . لكن لماذا التركيز على هذا الثالوث العقلي الإنساني فقط ؟

إن المعطيات التاريخية المتوفرة لحضارتنا - حسب رأيه - إلى الاعتراف للعرب واليونان والأوروبيين بأنهم وحدهم مارسوا التفكير النظري العقلي بالشكل الذي سمح بقيام معرفة علمية أو فلسفية أو تشريعية منفصلة تماما عن الأساطير أو الخرافات . ومتحررة إلى حد كبير عن الرؤية (الميثولوجية) التي كانت تتعامل مع أشياء الطبيعة كأشياء حية ، ذوات نفوس ، تمارس تأثيرها على الإنسان ، وعلى إمكاناته المعرفية . صحيح أن حضارات عريقة قد سادت قديما في مصر وبابل والهند والصين وغيرها ، وأن شعوب هذه الحضارات قد مارست العلم إنتاجا وتطبيقا ، ولكن الصحيح أيضا أن البنية العامة لهذه

فالثقافات كانت بنية كالسحر ، أو ما في معناه ، وليس العلم هو العنصر الأساسي الفاعل فيها . ان الحضارات التي مارست التفكير العلمي بوعي فأنتجت الفلسفة والعلم هي تلك التي كان العقل يمارس داخلها درجة من السيادة ، لا تلك التي للسحر أو لغيره من ضروب التفكير اللاعقلي في تلك الحضارات القديمة . إن الحضارات الثلاث - اليونانية والعربية والأوروبية الحديثة - هي وحدها التي مارست التفكير بالعقل ، وفي العقل أيضا ، رغم عملية التأثير والتأثر والتمايز بين هذه الثقافات .

دور اللغة

هناك معطيات كثيرة يمكن أن تبرر اعطاء الأولوية للغة العربية في دراسة مكونات العقل العربي . لأنه إذا كان أهم ما ساهم به العربي في الحضارة الاسلامية التي ورثت الحضارات السابقة لها هو اللغة العربية والدين فالدين الاسلامي قد يغدو عربيا ، ولا يمكن أن يستغني عن لغة العرب . لأن القرآن وهو كتاب عربي مبين لا يمكن نقله الى لغة أخرى دون المساس به . فالعربية جزء - كما يقول علماء أصول الفقه ، ونستطيع أن ندرك أبعاد هذا المبدأ الأصولي اذ لاحظنا ذلك الدور البالغ الأهمية الذي تلعبه اللغة العربية في الدراسات والأبحاث الاسلامية . وإن كثيرا من الخلافات المذهبية والفقهية مرده الى اللغة ، وكذلك وجدت الصراعات السياسية التي كانت تحركها أصلا دوافع اجتماعية أو طائفية في النص الديني العربي بفضل مطاوعة اللغة ما تستمد منه سندا أو غطاء . إن اللغة ليست مجرد أداة للفكر ، بل هي القالب الذي يتشكل فيه الفكر ، وذلك يعني أن اللغة التي تحدد قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير . ولكن لو نظرنا الى قواميسنا القديمة والمعاصرة لوجدنا أن مادتها قد جمعت في عصر التدوين ، من أفواه الأعراب الذين بقوا الى ذلك العصر منعزلين ، لم يحتكر صفو لسانهم بالاختلاط مع سكان المدن والحضر . إن قاموس « لسان العرب » وهو أغنى القواميس وأضخمها في اللغة العربية لا ينقل الينا حتى شظايا معجم لأسماء الأشياء الطبيعية والصناعية ، ولا المفاهيم النظرية وأنواع المصطلحات التي عرفها عصره - القرن السابع والثامن للهجرة - إن الثمانين ألف مادة لغوية التي يضمها هذا القاموس الذي نعتز به لا تخرج عن دائرة حياة ذلك « الأعرابي » الذي كان يطل عصر التدوين ، « تلك الحياة التي تمثل خشونة البداوة بتعبير ابن خلدون » ، وهنا تكمن المفارقة الخطيرة التي يعاني منها الانسان العربي الى اليوم . ذلك أنه من جهة تتوفر له لغة للكتابة والتفكير ، على درجة عالية من الرقي ، من حيث آلياتها الداخلية . ولكن هذه اللغة نفسها لا تسعفه بالكلمات الضرورية عندما يريد التعبير عن أشياء العالم المعاصر . وإن هذا الفقر الحضاري في اللغة العربية يقابله فيها غنى يتجلى ، بشكل خاصة في كثرة المترادفات التي يرجع جزء منها الى الاشتقاق الصناعي على طريقة الخليل بن أحمد . وفي جزء آخر منها يرجع الى السماع من قبائل مختلفة . فكانت النتيجة هذا الكم الهائل من الكلمات التي هي من أصل واحد ، وهكذا أصبحت لغة المعجم - لغة الأصل والمشتق - أوسع كثيرا من لغة الواقع . ولكن في دائرة خشونة البداوة فقط والنتيجة هي أن اللغة العربية الفصحى - لغة المعاجم والشعر والثقافة - ظلت تنقل الى أهلها عالما يزداد بعدا عن عالمهم وما تزال كذلك ، وهو عالم يحتوي يعيشونه في أحلامهم وخيالهم ووجدانهم ، عالم يتناقض مع العالم الحضاري الذي يعيشونه ويزداد غنى وتعقيدا .

حضارة وفقه

إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة الاسلامية بأحدى منتجاتها فإنه سيكون علينا أن نقول إنها حضارة « فقه » . وذلك بغض المعنى الذي ينطبق على

الحضارة اليونانية حينما نقول أنها حضارة فلسفة ، وعلى الحضارة الأوروبية المعاصرة حين نصفها بأنها حضارة علم وتقنية . ونستطيع أن نقول دون تردد أن الفقه الاسلامي إنتاج عربي اسلامي محض . وهو الى جانب علوم اللغة يبقى المعطى الخاص للثقافة العربية ، وعبثا حاول المستشرقون إيجاد صلة مباشرة أو غير مباشرة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي . ويبقى الفقه الاسلامي - أقرب منتوجات العقل العربي في التعبير عن خصوصيته . والحق أن أصالة الفقه الاسلامي ترجع الى ذلك العلم المنهجي الذي لانجد له مثيلا في الثقافات السابقة أو اللاحقة . ويمكن القول أن علم أصول الفقه هو أول محاولة إنسانية استهدفت إنشاء علم للقانون ، متميز عن القوانين التفصيلية الخاصة بهذا السلوك أو ذاك ، علم يمكن تطبيقه في دراسة قانون أي بلد أو أي عصر . لقد وجدت على الدوام وفي كل المجتمعات قوانين وأعراف ، فلقد كانت هناك شريعة حمورابي ، والألواح الاثنا عشر عند اليونان . وقوانين جستنيان عند الرومان ، فضلا عن القوانين الصينية والهندية . لكن هذه القوانين كلها لم تكن مؤسسة على علم أصول . فهذا العلم قد ابتكره المسلمون ، ولا نجد له نظيرا عند الأمم الأخرى . إن أهمية هذا العلم تكمن في طابعه المنهجي ، وقواعده المعرفية التي يتوصل بها الى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة ، وهو بالنسبة للفقه كالمنطق بالنسبة للفلسفة . فإذا كانت مهمة الفقه التشريع للمجتمع فإن مهمة أصول الفقه هي التشريع للعقل . ودون التقليل من أهمية ساحة الأصوليين الذين جاءوا بعد الشافعي في إخصاب هذا العلم نستطيع القول أن القواعد التي وضعها « الشافعي » لاتقل أهمية بالنسبة لتكوين العقل العربي الاسلامي عن قواعد المنهج التي وضعها « ديكارت » بالنسبة لتكوين الفكر الفرنسي ، بشكل خاص ، و العقلية الأوروبية الحديثة بشكل عام . لقد كانت الخطوة التي خطاها الشافعي بالفقه الاسلامي على صعيد التنظير خطوة متواضعة . لكن نتائجها سرعان ما ظهر في علم أصول الفقه الذي اتخذ صيغة علمية منهجية ، كانت بالنسبة للشريعة كالمنطق بالنسبة للفلسفة ، وقد كان هذا العلم أحد وجهي العقلية الاسلامية ، أما الوجه الآخر فهو علم الكلام . لكن ما ان انتهى عصر التدوين بفترة قصيرة حتى بدأت عملية الاجترار والجمود . فقد سد باب الاجتهاد في الفقه . وانصرف الناس الى تقليد أئمة المذاهب الأربعة ، وظهر ما يسمى بالمناظرات ، ثم قيام علم الجدل الذي ركز على نقاط الاختلاف الفقهية . وهكذا تحول القياس البياني الذي كان في الأصل أداة إنتاج للمعرفة الفقهية والنحوية واللغوية بطريقة منظمة الى حرفة كلامية ، كل همها « حفظ رأي أو هدمه » كما قال ابن خلدون . وهكذا انتهى الأمر بالعقلية العربية الى نفس النهاية التي عرفتها العقلية اليونانية ، وبدأ العقل العربي مباشرة بعد عصر التدوين وكأنه يلتهم نفسه .

الفشل والنجاح

وإذا نظرنا الى طبيعة اللحظة التاريخية التي برزت فيها الحضارة العربية الاسلامية لتسلم زمام القيادة العالمية على المستوى الثقافي وجدناها تسجل بداية النهاية للعصر « الهلينستي » ، عصر الانحطاط بالنسبة لتاريخ الفكر البشري . لقد كان منظورا الى الحضارة العربية الاسلامية باعتبارها بداية البداية للنهضة التي تحققت كاملة في أوروبا ، منذ نفس اللحظة التي انتكست فيها التجربة الحضارية العربية في القرن الخامس عشر . فلماذا فشلنا فيما نجح فيه غيرنا ؟

ولماذا لم تتمكن التجربة العربية من الاستمرار والصمود ؟ وهل يرجع ذلك الى غياب العنصر المحرك للتقدم الفلسفي وهو العلم ؟ كما تطرح علينا التجربة الأوروبية التساؤل عن عدم استطاعة النهضة

العربية في القرون الوسطى بأن تشق طريقها كما فعلت أوروبا . وهل يرجع ذلك إلى غياب العنصر المحرك للتقدم العلمي وهو التجربة ؟

البياني والعرفاني

لقد صنف الدكتور الجابري كافة العلوم والمعارف في الثقافة العربية في ثلاث مجموعات ، وهي علوم « البيان » أو الفكر الديني العقلي ، وعلوم « العرفان » أو الفكر الاغنوصي الباطني ، ثم علوم « البرهان » أو الفكر الفلسفي العلمي .

ويلاحظ أن هذه العلوم جميعها قد بلغت نضوجها مع بداية تاريخها ، وأن العقل العربي الذي شيدها لم يضف جديدا إلى ما أبدعه فيها خلال عصر التدوين . وبقيت هذه العلوم سجينة لانتاج ذلك العصر ، فلقد كان الموضوع الذي تعامل معه العقل « البياني » العربي ، وما يزال ، هو النصوص ، والتعامل مع النصوص غير التعامل مع الطبيعة وقوانينها . وإن الانجاز الذي تحقق في مجال اللغة والفقه لم يكن مجرد قوانين ، تهدي الفقيه بها ، بل اتجهت إلى قوالب وقيود للعقل نفسه ، وذلك يعني تثبيت آليات لنشاطه في اطار معين ، لا يجوز اختراقه . وعندما اكتمل البناء في اللغة والتشريع ولم يعد هناك مجال للمزيد أصبح العقل العربي سجينا لهذا البناء الذي طوق نفسه به ، ولم يكن بعد ذلك مناص من الركود ولا مفر من التقليد . وبالرغم من بعض الملامح المشرقة للتقدم العلمي العربي على يد بعض علمائنا كالخوارزمي في الرياضيات ، والسموأل المغربي في منهج التحليل والتركيب ، وابن الهيثم الذي مارس الاستقراء العلمي والتجريبي بطريقة منهجية ، بالاضافة إلى بعض الانجازات العلمية في ميدان الفلك التي حققها البيروني والبطروجي وغيرهما . الا أننا لابد أن نسجل بأن العلم العربي بهذا المعنى قد بقي من أول الأمر حتى نهايته خارج مسرح الصراع في الثقافة العربية ، و بالتالي فهو لم يدخل في أية علاقة مع أي طرف من الأطراف المتصارعة فيها ، فلا هو مع الدين ولا مع الفلسفة ، لأن الصراع في الثقافة العربية لم يكن بين الأسطورة والعلم كما كان الأمر في الثقافة اليونانية ، ولم يكن بين العلم والكنيسة ، كما حدث في التجربة الأوروبية الحديثة ، بل لقد ظل الصراع في الفكر العربي بين النظام « البياني » والنظام « العرفاني » ، وعندما دخلت الفلسفة العلمية كطرف ثالث كان دورها كعامل مساعد لاذكاء هذا الصراع وليس لتصفيته أو للتحكم فيه فلقد كان الصراع الفكري في الثقافة العربية صراعا سياسيا بالدرجة الأولى .

دين ودنيا

إن اللحظات الحاسمة في تطور الفكر العربي الاسلامي لم يحددها العلم ، وإنما حددتها السياسة . ذلك لأن الاسلام التاريخي الواقعي كان في آن واحد دينا ودنيا ، وبما أن الفكر الذي كان حاضرا في الصراع (الايديولوجي) العام كان فكرا دينيا أو على الأقل في علاقة مباشرة مع الدين فإنه كان أيضا ولهذا السبب في علاقة مباشرة مع السياسة .

لقد كانت المواقف السياسية تبحث لها دائما عن سند ديني يدعم وجهة نظرها . وهكذا تحول علم الكلام من مجرد كلام في العقيدة إلى ممارسة سياسية في الدين . وقد اتسعت لتصبح ممارسة للسياسة في الفلسفة أيضا . أما ممارسة العلم فلقد بقيت على الهامش دون ضجة وبفعاليات فردية ، وهكذا ظل العلم العربي التجريبي - علم الخوارزمي وابن الهيثم وابن النفيس - خارج مسرح الحركة الثقافية العربية ، ولم يشارك في تشكيل العقل العربي ، ولم يحدد توقفه . وهكذا بقي الزمن الثقافي ممتدا على بساط واحد ، منذ عصر التدوين وحتى عصر ابن خلدون ، وبعدها ضاع البحر ، وتلاطمت فيه الأمواج . □

مكتبة العربي

مختـــارات

الكتاب / رؤية جديدة لعبد الناصر
المؤلف / مصطفى طيبة
الناشر / المركز المصري العربي - القاهرة
عدد الصفحات / ١٤١ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٦م

بعد نحو ١٧ عاما على وفاة عبد الناصر مازالت الدراسات التي تتناول تجربته وحياته وآثره تصدر بحقائق وتحليلات جديدة ، تدل على غنى شخصية الزعيم الراحل ، وعمق التجربة التي انتهت بموته عام ١٩٧٠

ومع ذلك فان مؤلف هذا الكتاب بعد أن يرصد التجربة الناصرية ، ويتابع تطوراتها واتجاهاتها المختلفة ، والطريق المتعرجة التي سلكتها ، يقدم أطروحته القائمة على أن المشروع العربي القومي كما طمح اليه الزعيم الراحل مايزال صالحا كأساس تنهض به أمتنا العربية ، وبالتالي فالمشروع القومي الناصري لم ينته بموت عبد الناصر ، وهذا ما يطمح الكتاب الى اثباته .

● ●

الكتاب / أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي
المؤلفة / ليلى محمد صالح
الناشر / دار ذات السلاسل - الكويت
عدد الصفحات / ٤٢٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

في هذا الكتاب ، وهو الجزء الثاني من كتاب يهدف الى التعريف بأدب المرأة في الخليج العربي ، تؤكد المؤلفة أنها لاتهدف الى نقد او تحليل النصوص الادبية ، بل الى تسجيل وتأريخ الواقع الثقافي والأدبي ، في هذه المنطقة من الوطن العربي .

والمؤلفة هنا تستكمل ما كانت بدأته في الجزء الاول من كتابها ، فتلقى ضوءاً على شاعرات وكاتبات اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي ، وفي سلطنة عمان . والى جانب السيرة الذاتية لكل منهن ، تعطى المؤلفة الحيز الأكبر من الكتاب للنصوص الخاصة بهن ، مما يزيد من أهمية الكتاب في كونه مرجعاً بيليوغرافيا لمن يود الاستزادة بعد ذلك ، والقيام بدراسة تتضمن النقد والتحليل التي قالت المؤلفة إنها لم تهدف اليه في هذا الكتاب .

● ●

الكتاب / الضفة والقطاع - دراسة وثائقية
المؤلف / رفعت سيد احمد
الناشر / دار العروبة للصحافة والنشر والتوزيع - القاهرة
عدد الصفحات / ١١٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

ينصب الجهد الرئيسي لهذا الكتاب على تقديم دراسة وثائقية لاهم المشكلات المتعلقة بالأراضي الفلسطينية المحتلة ، المعروفة باسم الضفة

والقطاع . وهذه المشكلات هي مشكلة المستوطنات التي قدمها المؤلف تحت عنوان مأزق المكان ومشكلة المياه التي قدمها تحت عنوان أزمة الارتواء . ثم الوضع القانوني للضفة والقطاع الذي قدمه لنا المؤلف تحت عنوان تقنين الهوية الضائعة ، والى جانب هذه الفصول الثلاثة المهمة . أضاف المؤلف ملحقا يتضمن الوثائق المختلفة التي بنى عليها دراسته . ليقدم مادة مهمة للباحثين والدارسين لهذه البقعة من وطننا العربي التي تختزل صراعا يتعلق بوجودنا ومصيرنا .

* *

الكتاب / المملكة السوداء ـ قصص

المؤلف / محمد خضير

الناشر / وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد

عدد الصفحات / ١٩٧ من القطع الكبير

سنة النشر / ١٩٨٦

الطبعة الثانية من مجموعة القاص العراقي الاول ، ومن خلال مجموع القصص التي كتبت بتقنية فنية عالية ، وتكثيف شديد ، يرسم المؤلف لوحات فنية للحياة العراقية . الأعياد الدينية . العلاقات العائلية وبؤس العالم السفلي في المدينة وزقاقه وبساطته في الريف .

وقد استخدم المؤلف مهاراته الكتابية باطلاقها ليقدم العالم الداخلي لشخصياته المتحركة في عالم متشابك ببؤسه وجماله وغناه ومتعه الصغيرة ، ملتجأ الى اشكال فنية راقية تجمع بين تقنيات السينما والتصوير والجملة المعبرة المشغولة بالايحاء .*

* *

الكتاب / تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية

المؤلف / أحمد ذياب وآخرون

الناشر / التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ـ تونس

عدد الصفحات : ١١٨ من القطع المتوسط

سنة النشر / ١٩٨٧

من أهم المشكلات التي تواجه امتنا العربية في نهضتها مشكلة المصطلحات العلمية التي لم يتم التوصل الى صيغة بشأن تعريبها ، وهذا الكتاب حصيلة أبحاث ومداخلات جرت في ندوة تحت عنوان « تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية » شارك فيها اكثر من باحث معظمهم من تونس .

بالرغم من أن تجربة التعريب في تونس هي المطروحة في هذا الكتاب ، الا ان هذا الجهد يضاف الى جهود اخرى في مجال التعريب ، ليشكل بالتالي حصيلة جيدة في هذا المجال المهم ، والحيوي بالنسبة لامتنا العربية .

* *

الكتاب / الايدز ـ معضلة القرن العشرين

المؤلف / د . محمد صادق زلزلة

الناشر / ذات السلاسل ـ الكويت

عدد الصفحات / ٢٦٦ من القطع المتوسط

سنة النشر / ١٩٨٦

يتناول المؤلف في كتابه هذا المعلومات الأولية والمهمة عن مرض متلازمة نقص المناعة المكتسبة « المعروف باسم الايدز » ، وهو المرض الذي أهلك مئات الالوف في انحاء كثيرة من العالم ، دون أن يعرف له علاج شاف حتى الآن .

وبالاضافة الى تاريخ اكتشافه ، والطريقة التي تم بها هذا الاكتشاف ، يقدم المؤلف معلومات مهمة عن طريقة انتشار هذا المرض في الجسم ، والحالات والأماكن التي يسود فيها ، وكذلك طرق علاجه التي يقول انها البحث عنه جدواها حتى الآن . لكنه يتوقع أن يتم استخلاص طعم ضد هذا المرض قبل نهاية هذا العقد □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٥
أغسطس ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 - الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٥ » . وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ سبتمبر ١٩٨٧ .

... الجامع في الأدوية المفردة » كتاب يتحدث عن ١٤٠٠ نبات ، ويحدد خصائصها النباتية ، وفوائدها الطبية ، عاش مؤلفه - وكان من مواليد مالقة - نحوا من خمسين عاما . . من سنة ١١٩٧ - ١٢٤٨م . . فمن هو مؤلفه ؟

٢ - اذكر نباتاً واحداً لا جذور له ، ونباتا آخر لا أوراق له ؟

٣ - ما وجه الشبه بين الورد والتفاح ؟ ولماذا تنتمي شجرة التفاح الى أسرة الورد في عرف علماء النبات ؟

- الشبه قائم بين زهور الورد وزهور التفاح من حيث الشكل .
- الشبه قائم بين (رائحة) الورد (وطعم) التفاح وإن كان هذا الشبه غامضا
- التفاح لا يشبه الورد من قريب ولا من بعيد

٤ - نبات (رافليسيا) أو الجثة النتنة . . اشتهر بأن زهرته هي الزهرة الكبرى في عالم النبات ، ولونها برتقالي مائل الى البني . . وتعلوها بقع بيضاء ، أين ينمو هذا النبات ؟

- في أحراج آسيا وغاباتها
- في القارة القطبية الجنوبية
- على سفوح جبل كلمنجارو بافريقيا

٥ - يذكر التاريخ أن عدد سكان ايرلندا نقص بنسبة الثلث تقريبا في غضون الثلاث سنوات : ١٨٤٧ - ١٨٥٠ وقد بلغ ٦,٥ مليون نسمة سنة ١٨٤٦ ولم يتجاوز ٦,٠ مليون نسمة عام ١٨٥١ ترى ما السبب ؟

- زلزال مدمر ضرب العاصمة دبلن وضواحيها .
- الحروب الأهلية الضروس وكانت حروبا

مهنية طائفية .

* المرض الفطري الذي أصاب محصول البطاطس في البلاد آنذاك .

٦ـ الكينا دواء الملاريا الشهير ، ذو أصل نباتي وقد أثبت فاعليته على مدى القرون . ترى ما اسم الشجرة التي استخلص هذا العقار من لحائها ؟

* شجرة الكينا .

* شكرة الكنكوريا التي تنمو على سفوح جبال الانديز في أمريكا الجنوبية .

* شجرة خشخاش البرتقال .

٧ ـ يسميها أهل الغرب (بلادونا) ونسميها نحن العرب (ست الحسن) وهي لا تعدو كونها عشبة طبية سامة .. ترى لم هذه التسمية التي تبدو مضللة ؟

* نظرا لحسن شكل العشبة .

* سموها كذلك لأن عصارتها توسع العين وتزيدها جمالا وقد استعملتها النساء في الماضي

٨ ـ لبن الثدي هو الغذاء المثالي للطفل الرضيع دون أدنى ريب ولكنه ليس بلا منافس ، على كل حال ، فثمة فاكهة تتميز بنفس عناصر اللبن الغذائية

ـ والفاكهة فوق ذلك كله سهلة الهضم ويستطيع هضمها الطفل الرضيع ، ترى أي فاكهة هذه :

* التفاح

* الموز

* كمثرى الافوكاتو

٩ ـ الشعير ، الذرة ، القمح ، الأرز

تلك هي الحبوب التي يعيش عليها الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، ولعل من البديهي أن الانسان لم يعرف هذه الحبوب الأربع كلها دفعة واحدة ، ولكن في أزمنة مختلفة من التاريخ .
والمطلوب ترتيب هذه الحبوب تبعا للأوقات التي عرفها ، واستخدمها الانسان فيها ، بادئا بالأقدم فالأحدث . .

١٠ ـ الخمور إما حمراء أو بيضاء كما هو معروف ، وكذلك الأعناب إما حمراء أو بيضاء كما هو معروف أيضا ، فمن أي الأعناب تصنع الخمور البيضاء ؟

* تصنع من الأعناب البيضاء ولا تصنع من الحمراء .

* تصنع من الأعناب البيضاء كما تصنع من الأعناب الحمراء أيضا .

١١ ـ اشتهرت بورتوريكو بخليجها الوضاء الذي يضيء في الليل دون كهرباء ، والذي اشتهر باسم الخليج (الفلورسانت) .. ترى ما سر هذا الخليج ؟

* الحيوانات الصغيرة التي توجد فيه وهي من النوع الوضاء

* النباتات الصغيرة (البحرية) التي تتكاثر فيه ، وهي من النوع الوهاج الذي يرى ضوءه من على بعد ١٥ مترا .

١٢ ـ في سنة ٩٥١م وصل الى قرطبة الراهب نيقولاوس سفيرا للامبراطور قسطنطين السابع ، امبراطور القسطنطينية آنذاك ، وهو يحمل هدية الامبراطور الى أمير الأندلس ، ولم تكن الهدية سوى كتاب ، ولم يكن موضوع ذلك الكتاب سوى النباتات الطبية ذات الفوائد العلاجية ، وكان كتابا شهيرا كتبه ديوسقوريدس أحد كتاب اليونان وأطبائهم المعروفين ، ترى من كان أمير الأندلس الذي قبل الهدية وسعد بها كثيرا ؟ ☐

حل مسابقة العدد ٣٤٢

١ ـ الثريد هو فتة الخبز بالمرق . يقال ثرد الخبز ، أي فتته ثم بلله بالمرق ، فالخبز اذن ثريد أو مثرود .

٢ ـ القطران هو المسؤول عن اصابة المدخن بالسرطان ، والنيكوتين هو المسؤول عن اصابته بامراض القلب . . والجدير بالذكر أن القطران يتسبب بسرطان الرئة بخاصة . . وحسبك أن تضع مايكفي من القطران على اذن احد الفئران لترى بأم عينك كيف تصاب تلك الاذن بالسرطان . . ويتسبب القطران أيضا باصابات خطيرة للجهاز التنفسي عامة . .

اما النيكوتين فهو المسؤول عن اصابة المدخن بامراض القلب ، وهو يصيب الأعصاب باضرار بالغة ، ثم أنه سام وعنصر ادمان . .

٣ ـ البقدونس هو أغناها بالفيتامين أ والفيتامين ج وبالحديد في آن معا . فالاوقية منه تحتوي على ٢٢,٥٠٠ وحدة من فيتامين أ بينما الجزر لايحتوي الا على ١,٣٧٥ وحدة . . ويحتوي البقدونس أيضا على ثلاثة اضعاف مايحتويه عصير الليمون من فيتامين ج . .

والجدير بالذكر أن البقدونس غني جدا بالحديد أيضا . . فالاوقية منه تحتوي على ٥,٧٦٣ ملغرام حديد . . بينما اوقية السبانخ لاتزيد محتوياتها من الحديد على ١,٢ ملغرام فقط . . .

٤ ـ الجزر يحسن القدرة على الرؤية في الظلام . . فهو غني بالكاروتين وهذا يصنع الفيتامين (أ) في الجسم . . ولما كان نقص هذا الفيتامين في الجسم هو سبب عمى الظلام في كثير من الاحيان ، كان الجزر سببا هاما في تغلب المرء على تلك الآفة .

٥ ـ الخبز الأسمر يحتوي على مزيد من الفيتامينات والحديد والالياف لاسيما اذا لم تسحب منه نخالته .

٦ ـ يحتوي الحليب على ٦٥ حريرة . . بينما يحتوي الجبن الشوكلاتي على ٣٥٠ حريرة (في المائة غرام) .

٧ ـ بينما الكستناء اذ تبلغ حروراتها ٦٢٠ حريرة او سعرا حراريا للمائة غرام ، ولاتزيد الحريرات في بيض الدجاج (١٠٠ غرام) على ١٥٠ حريرة .

٨ ـ لو قارنا بين ملعقة من البن المحمص المطحون وملعقة أخرى مماثلة من اوراق الشاي الجافة لوجدنا مقدار الكافئين (اسم المادة المنبهة في كلا القهوة والشاي) في الثانية اكثر من مقداره في الاولى ، ومع ذلك نجد أثر شرب الشاي في التنبيه أقل من اثر شرب القهوة . . ويعود ذلك كما لايخفى الى مدى التركيز او التخفيف الذي يخضع له كل من المشروبين . . فالكوب من مشروب الشاي يحتوي على ٦٠٪ من الكافئين الذي يحتويه كوب مماثل من مشروب القهوة (الامريكية بالتحديد) .

٩ ـ لحوم الاسماك وشحومها وزيوتها لاتسبب الاصابة بامراض القلب كما تفعل اللحوم والشحوم والزيوت المستخرجة من الماشية وحيوانات البر ، ذلك أن المواد الدهنية غير مشبعة في الاولى . . وهي مشبعة في الثانية ، وتسبب بالتالي أمراض القلب . . ويميزون بين المواد الدهنية المشبعة وغير المشبعة . . بأن هذه الاخيرة تفقد سيولتها في درجة حرارة الغرف

مـــــايو ١٩٨٧

العادية .. حوالي ٢٠ درجة مئوية) من هنا كان الشبه الكبير بين زيوت الاسماك وزيوت النباتات .

١٠ ـ سكان ولاية يوتا من المورمون يمتنعون بحكم مذهبهم عن التدخين والكحول ، وهذا هو السبب الذي جعلهم اقل عرضة للاصابة بالسرطانات من سائر سكان الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ٤٠٪ ـ ٦٦٪ والجدير بالذكر أن عدد سكان المورمون ١,٦ مليون نسمة .

١١ ـ الفيتامينات لا تسهم في بناء انسجة الجسم والتي تولد مايحتاج من طاقة فمهمتها الوحيدة هي مساعدة الجسم على أداء العمل لوظائفه ، وهي مهمة اساسية ولاريب ، بحيث يصاب الجسم بامراض خطيرة لو نقصت مقادير الفيتامينات فيه .

١٢ ـ الفالوذج حلواء ، طعما .. تعمل من الدقيق والماء والعسل .. والكلمة دخيلة وجمعها فواليذ .. ومرادفها (الفالوذ) وكذلك (الفالوذق) □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٢ مـــــايو ١٩٨٧

الجائزة الأولى : المنصف السالمي / المعهد الثانوي المختلط / القيروان / الجمهورية التونسية .

الجائزة الثانية : خالد أحمد صالح حسن / عمان / المملكة الأردنية الهاشمية .

الجائزة الثالثة : فتحي محمد أحمد / المجلس القومي للبحوث / الخرطوم / جمهورية السودان الديمقراطية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد نبيل محمد غنيم / القاهرة / ميدان الملك / جمهورية مصر العربية .

٢ ـ باسم عبد الستار محمد فيض / الصفاة / الكويت .

٣ ـ محمد أيمن أبو الفوت / قونيا / تركيا .

٤ ـ يوسف علي الشكيل / كلية العلوم / جامعة صنعاء / الجمهورية العربية اليمنية .

٥ ـ دكتورة عائشة السباعي / حماة / الجمهورية العربية السورية .

٦ ـ محمد شريف طالم / الجزائر .

٧ ـ سهيل موسى يوسف السكر / الرياض / المملكة العربية السعودية

٨ ـ نور الدين ياسين عطير / بغداد / حي الكفاح / الجمهورية العراقية .



معركة بلا سلاح

يسود الاعتقاد بأن الهند هي الموطن الأول للعبة الشطرنج وأن اللعبة كما نعرفها اليوم قد تطورت من لعبة هندية قديمة كانت تعرف باسم «الشاطورانجا» والتي كانت شائعة في مقاطعة البنجاب الهندية حوالي سنة ٥٠٠ قبل ميلاد السيد المسيح.

وتعاقبت القرون بعد ذلك دون أن يكون للهند حضور على الساحة الشطرنجية الدولية باستثناء ظهور اللاعب الهندي الميلوري سلطان خان في الثلاثينات من هذا القرن.

وفي السنوات القليلة الماضية بدأت اللعبة بالازدهار في الهند من جديد، وفي عام ١٩٨٢ تمكن الصبي الهندي «باروا» من إلحاق الهزيمة باللاعب الكبير فيكتور كورتشنوي وفي عام ١٩٨٤ تمكن لاعب آخر يدعى «أناند» من الفوز بلقب أستاذ دولي. ومن أحدث انتصارات اللاعبين الهنود فوز الفتى «أناند» في إحدى المباريات البريطانية المفتوحة التي جرت مؤخراً على البطل الأمريكي المرموق «دي فرميان» في الدور الثاني من الدفاع الصقلي:

□ ف. أناند	■ د. دي فرميان
١) هـ٤	جـ٥
٢) ح - و٣	د٦
٣) د٤	جـ × د٤
٤) ح × د٤	ح - و٦
٥) ح - جـ٣	أ٦

الأسود يختار طريقة «نايدورف»

٦) ف - هـ٣	هـ٥
٧) ح - و٣	ف - هـ٧
٨) ف - جـ٤	ف - هـ٦؟

نقلة متسرعة و - جـ٧ أفضل ثم التبييت

٩) ف × هـ٦	و × هـ٦
١٠) ح - ز٥	و - د٧

١١) و - و٣ مستعداً لنقل الوزير إلى حـ٣ لمهاجمة هـ٦ ولو لعب الأسود بالحصان لنقله بعد ذلك إلى د٥ لرد الأبيض بنقل الفيل إلى ب٦

١١)	د٥
١٢) هـ × د٥	هـ × د٥
١٣) ت ت (طويل)	د٤
١٤) ح (٣) - هـ٤	ت

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج
العدد ٣٤٢
مايو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - مدحت توفيق - الجيزة / ج م ع
٢ - فايزة أسعد - حمص / سوريا
٣ - عبدالمطلب نورالكي / السودان
٤ - أحمد كرامة - عدن / اليمن الديمقراطية
٥ - حسام عبدالهادي / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - أسامة رمضان - القاهرة / ج م ع
٢ - جمال عبدالغني - الدوحة / قطر
٣ - سارة الزيد / السعودية
٤ - حسين عبدالسلام - طرابلس / ليبيا
٥ - الأزهر بوعزيز - الرديف / تونس

---

١٥) ف - د ٢   ح - جـ ٦
١٦) ح × و ٦ +   ز × و ٦ ؟
١٧) و - ب ٣ +   م - حـ ٨
١٨) ح - و ٧ +   م - ز ٧
١٩) ف - حـ ٦ +   م - ز ٦ شكل (١)
٢٠) ف × و ٨   ر × و ٨
٢١) ر - د ٣ ! نقلة بديعة ، فلو أخذ الأسود الحصان لكش الأبيض الملك بالرخ في ز ٣ ليخسر الأسود رخه الثاني ومن ثم الدور كله .
٢١) ....   و ٥
٢٢) ر - ز ٣ +   م - و ٦
٢٣) ح - حـ ٦   و ٤
٢٤) ح - ز ٨ +   م - و ٥
٢٥) ر - ز ٧   د ٣
٢٦) ر - د ١   هـ ٤
٢٧) ح × هـ ٧ +   ح × هـ ٧
٢٨) ر - و ٧ +   ر × و ٧
٢٩) و × و ٧ +   م - هـ ٥
٣٠) جـ × د ٣   هـ × د ٣
٣١) ر - هـ ١ +   م - د ٤
٣٢) و - و ٦ +   م - جـ ٤
٣٣) و - جـ ٣ +   يستسلم

مسألة العدد ٣٤٥

مات ٤

مهداة من الصديق عزام حلبا (لبنان)

حل مسألة عدد يونيو ٣٤٣

١) و - حـ ٧   م - ب ٦
٢) و - جـ ٧ +   ح × جـ ٧
٣) ف × د ٤ كش مات .



على هذه الصفحات .. نرحب بالقراء

المساجد القديمة في الكويت

● نشر في مجلة العربي في العدد ٣٣٧ شهر ديسمبر سنة ١٩٨٦ موضوع عن المساجد القديمة في الكويت . وتطرق كاتب المقال إلى مسجد البحر ، المشهور بمسجد النصف ، فأشار - خطأ أو سهواً - إلى أن المسجد المذكور هو مسجد بطي بن الجلاهمة ، والصحيح أن مسجد الجلاهمة كما هو معروف في « محلة ابن خميس » ، أما المسجد الذي في « محلة النصف » فهو في الحقيقة والواقع مسجد بطي آل بطي ، ومشهور باسم عائلة النصف الكريمة .

وفي معرض الحديث عن المسجد المذكور ، ولندرة المعلومات حول ذلك المسجد ، والظروف المحيطة به ، لا سيما أن معظم العائلة قد نكب بكارثة غرق في البحر منذ زمن بعيد ، ولم يبق منها إلا الأطفال والنساء ، وبصفتي أحد أفراد هذه العائلة ، فقد تجمع لدي بعض البيانات عن مسجد البطي مستندا في ذلك ما عثرنا عليه في أوراق المرحوم « سلطان البطي بوطيبان » من حقائق ، وشهادات أشخاص عدول ، منهم من هو حي يرزق ، كما أننا استندنا في ذلك بعض المؤرخين الثقاة في الكويت ، مثل الأستاذ حمد السعيدان في كتابه (الموسوعة الكويتية ص ٢٠٣) والسيد سيف مرزوق الشملان في برنامجه التلفزيوني (صفحات من تاريخ الكويت) ، ومساهمة منا في توضيح جانب خفي من تاريخ بلدنا أقدم البيانات التالية .

بعد بناء السور الأول جاء البطي بوطيبان من منطقة الزبارة في قطر ، ونزل ومن معه عند مكان يسمى البدلة ، ثم انتقلوا إلى منطقة الشرق ، ثم بنوا مسجد البطي (١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م) ، كما بنوا الجزء الشرقي من السور الشرقي من السور الثاني ، وشيدوا في السور برجاً « غولة » يطل على السيف ، وهو عبارة عن غرفة عالية للحراسة ، ثم بنوا بوابة (دروازة) في سور الكويت الثاني ، وهي البوابة الأولى من الشرق ١٢١٠ هـ - ١٧٩٥ م ، وبعد انتهاء موسم البحر كانوا يسحبون السفن إلى اليابسة ، ثم يقيمون وليمة كبيرة يكون الطعام فيها أكلة تسمى « المحمّر » ، وهي أكلة شعبية محببة لدى الكويتيين وأهل الخليج

وتقول المصادر التاريخية بأنه قد ظهر من بين أفراد هذه الأسرة عدد من ربابنة « نواخذة » الغوص .

وقد جاء في ص ٢٠٣ من الموسوعة الكويتية أن مسجد البطي الذي أسسه المرحوم بطي البوطيبان ١١٩٠ هـ الموافق ١٧٧٦ م قد جدده راشد النصف بالاشتراك مع آل العصفور سنة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م ، ثم جددته الأوقاف سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م ، ومن ثم اشتهر باسم الأسرة الكريمة

المعروفة أسرة المصف .

وقبل أن أنهي رسالتي أهيب بكل من يريد الكتابة عن مسجد آل بطي ، أو بوابة (دروازة) آل بطي ، أو أسرة آل بطي بأن يراجعنا قبل ذلك ، إذ أن لدينا معلومات قد تفيده ، كما نهيب بكل من لديه معلومات أو شهادات حول هذه الموضوعات أن يوافينا بها ، شاكرين حسن تعاون الجميع .

المستشار أحمد سلطان البطي بو طيبان ـ الكويت

كلمة أخيرة في موضوع الأرقام الأجنبية

● لقد رأيت أن تكون هذه الرسالة إلى المرجع الأعلى والمسؤول الأول في مجلة العربي الغراء التي جمعت بين دفتيها الأدب والعلم على أعلى المستويات .

قرأت على صفحات المجلة وفي القسم المخصص لحوار القراء في عدد نيسان ١٩٨٧ تحت عنوان « حول استعمال الأرقام الأجنبية في العربي » آراء تستنكر استعمال هذه الأرقام .

إن الأرقام الأجنبية التي استعملت في عدد العربي الممتاز سنة ١٩٨٧ ليست أجنبية ، بل هي عربية ، وقد طورتها الحضارة الإسلامية ، ونقلتها إلى العالم ضمن ما نقلت له من علم ومعرفة .

وهذه الحقيقة الثابتة قد قام بتبنيها الأجانب قبل الأهل ، وذلك حسب ما ورد في مراجعهم ، وكتبهم ، ولو عدنا إلى الموسوعة البريطانية أو الأمريكية أو هارفرد لوجدنا ما يؤكد بأن كلا نوعي الأرقام .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٠ و 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، 0 من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية وتطويرها .

أورد هنا على سبيل المثال لا الحصر ترجمة لما جاء على لسان السيد / سيد حسين نصر في كتابه العلوم الإسلامية طبعة عام ١٩٧٦ صفحة ٧٧ ، عندما يفكر الغربيون بالحضارة الإسلامية أول ما يتبادر إلى مفاهيم هو الأرقام العربية التي وصلتهم من العالم الإسلامي بين القرون الرابع والعاشر . . . »

أما الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية فقد أفرد بحثا خاصا لعلم الحساب على الصفحات (٢٥٥ ـ ٢٧٢) من كتابه (المرجع في تاريخ العلوم عند العرب) وتحدث فيه عن الحساب عند أمم الأرض جمعاء ، وعن ماهية الأرقام التي كانوا يستعملونها ، وماذا صنع العرب لهذا العلم ، وكيف أصبحت بفضل العرب ، وكيف تم للعرب اكتشاف الصفر ، إلى أن استتب الأمر على الشكل النهائي لمجموعتي الأرقام السابقتين .

ألا يكفي أن أمم الأرض جمعاء تستعمل مراتب الأرقام من اليمين إلى اليسار وهذا ما يقطع كل شك بأن كلا المجموعتين عربيتان ؟

ملاحظة أخيرة أود أن تلقى منكم كل اهتمام ، وهي أن تقوم مجلة العربي بنشر بحث عن هذه المسألة على صفحاتها ، ليكون في متناول الجميع ، حيث يقطع الشك باليقين ، وتنتهي المسألة .

ختاما أتوجه بالتحية لمجلتنا الغراء التي أتاحت لقرائها حوارا مفتوحا على صفحاتها ، وشكرا .

محمد فائز الأصفري ـ مهندس عضو مساعد في الجمعية الأمريكية ـ سوريا ـ حلب

العربي :

ـ نشكر للقارىء الكريم متابعته ، وسيلاحظ أنه يوجد على صفحات هذا العدد مقال حول هذا



الموضوع ، للدكتور سعيد النجار ، لعله يضع النقاط على الحروف .

هذه المرة من السارق ؟

● مرة أخرى تتفجر قضية السرقة الأدبية من خلال رسالتين ، وصلتا إلى مجلة العربي ، الرسالة الأولى من الدكتور ابراهيم الدسوقي ، أستاذ بكلية طب القاهرة ، والرسالة الثانية من السيد مصطفى محمد مصطفى ، بإذاعة البرنامج الثاني من القاهرة ، كلتا الرسالتين تركزان اتهاما واحدا ، يقول الاتهام : إن القصيدة المنشورة في العدد ٣٤٠ شهر مارس سنة ١٩٨٧ من مجلة العربي تحت عنوان « الموت على صدرها » للشاعر السوداني علي عبد القيوم مسروقة . والدليل الذي قدمته الرسالتان واحد ، وهو صورة للقصيدة نفسها ، منشورة في مجلة « الثقافة الجديدة » ، وهي سلسلة ثقافية ، غير دورية ، تصدر في جمهورية مصر العربية ، العدد السادس يوليو سنة ١٩٨٥ ، تحت العنوان نفسه ، باعتبارها من الأعمال الفائزة في المسابقة الأدبية للثقافة الجماهيرية ، للشاعر عادل فرج عبد العال » .

ثم تمضي الرسالتان طويلا بأسى عن العبث ، والاستهانة ، والسطو على جهد الآخرين ، وتلحان على مجلة العربي أن تتأكد قبل نشر أي عمل من صحة نسبه إلى مؤلفه » .

ولأنه لا توجد بعد طريقة قاطعة يمكن بها توفير هذا التأكد قبل النشر لم يكن أمامنا سوى أن نعود إلى الشاعر نفسه علي عبد القيوم ، لأنه بالمصادفة يعمل في معهد الكويت للأبحاث العلمية ، وبالتالي يمكن مراجعته شخصيا ، ووضعنا بين يديه الرسالتين ، وصورة القصيدة المنسوبة للشاعر عادل فرج عبد العال .

وبين الذهول والدهشة والرغبة في تبرئة ساحته طلب منا الشاعر أن نمنحه فرصة لإثبات أن القصيدة له ، لأنه هو نفسه لا يعرف كيف تم ذلك ، فهو لم يرسل بقصيدته (التي كتبها قبلا من وقت بعيد) لغير مجلة العربي ، لكنه قد قدم نسخا منها إلى بعض أصدقائه ، لقراءتها بصفة شخصية ، ولا دليل لديه سوى دعواه نفسها .

ثم عاد الشاعر علي عبد القيوم في المرة الثانية ، ليلقي إلينا ببعض الضوء على هذه القضية ، وفي هذه المرة كانت معه نسخة من جريدة « الأيام » العدد الثاني الصادر في مارس ١٩٨٥ ، وبها قصيدته « الموت فوق صدرها » ، منشورة باسمه هذه المرة ، ويذيلها أن تاريخ كتابة القصيدة هو سنة ١٩٧٤ » ، والتفسير الذي قدمه هو أن أحد أصدقائه الذين أعطاهم نسخة من قصيدته قد أرسل بها إلى الجريدة ، فنشرت في هذا التاريخ السابق بالقطع على تاريخ نشرها في المجلة المصرية ، وهو يوجه تهمة السرقة إلى السيد عادل فرج عبد العال الذي سرق قصيدته مرتين ، مرة ليفوز بها بإحدى جوائز مسابقة الثقافة الجماهيرية في مصر ، ومرة بنشرها في « الثقافة الجديدة » .

تلك هي الوقائع ، نسوقها كما جرت بتفاصيلها ، ونترك للقراء الكرام أن يستخبروا الحقيقة ، وإن كنا نؤكد أن الضمان الحقيقي لوقف تيار السرقة الأدبية ـ

مهما يكن السارق ومهما تكن ظروف السرقة - هو يقظة الضمير ، وإدراك أن مضمار الكذب قصير ، وأن مكاسب السرقة لا تعني شيئا أمام يقظة الفرد ويقظة الضمير .

تحية من الأرجنتين

● السيد الدكتور محمد الرميحي ،

من صميم القلب نبعث إليكم بأصدق عواطف التهنئة ببلوغ مجلتنا « العربي » عامها الثلاثين . وقد صدقتم عندما قلتم في الافتتاحية : « إن العربي قد قدمت لقرائها في الوطن العربي والإسلامي وعبر البحار أيضا حصيلة ثقافية وفكرية غزيرة ، عاقدة العزم على استمرار المسيرة وتجديدها » .

صدقتم بما قلتم ، وأخذ الله بيدكم في طريق النجاح ، لكي يظل الحرف العربي والثقافة العربية في الطليعة . من صميم القلب نبعث لكم بالتحيات والاعجاب والاكبار والشكر العميق ، « فالعربي » هي مفخرة العرب أينما حل ، وحيثما وجد .

الياس قنصل وشقيقه يوسف قنصل - الأرجنتين

هل يكون تطوير التربية هو أساس النهضة ؟

● طالعت مقال الدكتور محمد عبد السلام الذي نشر بعنوان « العلوم وطموحات المستقبل » بالعدد ٣٣٨ يناير سنة ١٩٨٧ من مجلة العربي ، والذي استعرض فيه أوجه التخلف في الأمة العربية على الرغم من الامكانات البشرية والاقتصادية الهائلة التي تمتلكها هذه الأمة ، وقد عزا أسباب التخلف إلى افتقار الأقطار العربية إلى الأنظمة المتطورة للجمعيات العلمية .

ولئن إذ أحيي الدكتور عبد السلام على غيرته القومية ، وتوصياته الهامة التي أنهى بها مقاله ، للخروج من هذا التخلف ، أود أن أشير إلى أن مفتاح الحل لحالتنا المتخلفة إنما يكمن في التربية ، فالمحاولات المختلفة لتطوير المناهج التربوية في الأقطار العربية مازالت تراوح في مكانها . إذ أن هذه المناهج إنما توضع للطالب المتوسط ، دون النظر إلى قدرات الطالب المبدع ، وفي ذلك قتل لمواهبه ، ودون مراعاة لقدرات من هم دون المتوسط ، وفي ذلك جور عليهم . أضف إلى ذلك إلحاح هذه المناهج على الحفظ والتلقين ، وإتيان الامتحانات بصورتها التقليدية لتكريس ذلك كله .

إن الهدف الرئيسي للتربية هو تعليم الطفل كيف يفكر ، وكيف يكتشف المشكلة ، وكيف يصل إلى حلها ، والتعليم الجديد هو الذي يعمل على تفجير الطاقات الإبداعية لدى الناشئة ، وإثارة التفكير عندهم بما يؤدي إلى تغيير سلوكهم ، ليتناسب مع الثورة العلمية والتعليمية في العصر الحديث ، فعملية الإبداع الفكري ، وتنميته لدى الجيل الجديد هي التي سوف تسهم في خلق التطور الحضاري والعلمي الذي نتطلع إليه .

كما أن اعتماد أسلوب التعلم الذاتي في التربية هو الأساس الصحيح لتنمية الإبداع من ناحية ، ولتحقيق التعلم المستمر من ناحية أخرى ، حيث يتابع الطالب أثناء الدراسة وبعدها التطور المستمر للعلوم وللمعرفة في مجال تخصصه ، أو في أي مجال آخر يهتم به . إننا بحاجة حقا إلى الثورة على تكديس المعلومات ، وخزنها في الذاكرة ، والتخلص من الامتحانات التقليدية ، إذا أردنا أن نصل إلى تحقيق التطور الحضاري المنشود .

عبد اللطيف الصعيد - سوريا - حمص

السوق العربية المشتركة

● في الوقت الذي تزداد فيه حدة الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالدول النامية - ونحن العرب جزء منها - نجد أن كل قطر عربي يفكر بطريقته الخاصة : كيف يتفادى هذه الأزمة وحده ؟

حوار القراء..

مع أن هذه الأزمة ذات طبيعة جماعية . وبالتالي فلا بد أن تكون المواجهة جماعية . جاء عصر النفط ، وجاءت الأرقام الخيالية لمردوداته ، وتحقق إنجازات كثيرة لهذا العصر ، لكنها كلها غالبا ذات طابع قطري . وكنا نسمع بين حين وآخر عن السوق العربية المشتركة الذي يمثل الرد الطموح على تحديات هذا العصر ، عصر الشركات الكبرى المتعددة الجنسية ، والسوق الأوروبية المشتركة . لكن هذا السوق العربي لم يظهر أبدا إلى حيز الوجود ليصبح حقيقة واقعة . وجاءت مرحلة انخفاض أسعار البترول ، ولا زلنا كما نحن ، فالبرتقال الفائض في ليبيا لا يعرفه الفقير في موريتانيا ، والتكاليف الباهظة المهدورة لزراعة الطماطم في البيوت (البلاستيكية) كان يجب أن تصرف على زراعة الخضروات في اليمن أو في السودان ـ فهل حان الوقت لنعرف الطريق إلى المواجهة الصحيحة لتحديات هذا العصر ، ولمواجهة أزماته ؟

لا زلنا على الأمل ، ولن يعرف التشاؤم طريقه إلينا .

سلطان عبده سيف الشيباني ـ اليمن / صنعاء

العبرة لمن يعتبر ؟

● قرأت باهتمام مقالة « احتكار القمة وخسارة الحرب » للدكتور غسان حداحت ، في عدد ابريل سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » ، وتأثرت بمحتواها الذي يمثل واقع أمتنا العربية في هذا الظرف الراهن التي أنعم الله عليها فيه بثروات نفطية وغير نفطية ، لكن من المؤسف لم تحسن الافادة من هذه النعمة ، كما أوضح مقال الدكتور . وأود أن أذكر بهذه المناسبة تعليلا آخر على ما أشار إليه الدكتور غسان في مجال ثان ، وذلك بالاشارة إلى ما جرى بخصوص أسهم شركة إسلامية (في أحد الأقطار العربية) ، وهي شركة ذات نفوذ واسع ، أنشئت تحت شعار « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، فبعد مضي ثلاث سنوات من طرح أسهم هذه الشركة للتداول كانت النتيجة إيقاف التعامل بهذه الاسهم ، بسبب الخسارة الفادحة الناجمة عن شراء كميات وفيرة من المعادن الثمينة بأسعار باهظة آنذاك ، ثم اضطرت الشركة ـ لسبب أو لآخر ـ إلى بيع هذه الكميات بأسعار بخسة ، مما أدى إلى ضياع مدخرات كثيرة من المسلمين ذوي الدخول المحدودة .

والعبرة المستخلصة من ذلك هي ضرورة حسن التصرف في هذه النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة باستثمارها في مجالات إنتاجية دائمة ونامية ، وإلا فإننا بذلك نبرهن على أننا لم نكن أهلا لنعم الله سبحانه وتعالى

د . محمد مروان النحاس ـ دمشق



■ نظر الناس إلى داخل بيتي من الشقوق ، وعيروني ، فوجب عليّ أن أفتح لهم النوافذ والأبواب ليروني كما أنا ، لا كما يتخيلون (روسو)



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٧ م

أدب أمريكا اللاتينية

قضايا ومشكلات

تنسيق وتقديم : فرناندث مورينو

ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد

مراجعة : د. شاكر مصطفى



الكتاب ١١٦

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت





مجلة العلوم الاجتماعية
تصدرها جامعة الكويت
مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
رئيس التحرير : د. فهد ثاقب الثاقب
مشتركوها من الأكاديميين العرب.
توزيع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
الموزع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية
توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ - تلكس : ٢٢٦١٦ - KUNIVER الكويت
٢٥٤٦٣٨٢

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٥ أول أغسطس ١٩٨٧

السحب - ١

تأليف : أريستوفانيس

ترجمة وتقديم أدبي : د. أحمد عتمان

مراجعة وتقديم تاريخي : د. عبد اللطيف أحمد علي

الجزء الأول

١ـ المقدمة التاريخية

٢ـ المقدمة الأدبية

